صفر - رجب ١٤٤٥
خريف دشتاء ١٤٠٢ه.ش

لواء الحمد

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالمعارف الإسلامية

اسنه اربعه - العدد سبعه

٧

لواء الحمد

October 2022- february2024
Safar - Rajab 1445

Liwa'al-Hamd

The Biannual Journal of Islamic Studies

Vol.3,No.7

- قراءة حديثة في مغفرة الذنب في سورة الفتح: بناءً على حديث « تحميل النبي (ص) ذنوب الشيعة » / د.مريم حكمت نيا
- جهود السديدي الحلي في ضبط التراث المكتوب: نهج البلاغة نموذجا / د.قاسم شهري، د. رضاعرب البافراني،الشيخ قيس بهجت العطار
- منظومة في الإمامة / آية الله السيدمحمدحسن الميرجهاني الإصفهاني
- الفضائل العلوية في المعراج النبوي / علي أصغرحداديان، أميرتوحيدي، السيدمحمدرضوي
- ملحمة الزهراء (عليها السلام) / د. محمدمسجدجامعي
- محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد:سيرته وحياته وآثاره ومدرسته التفسيرية
  د.مصطفى مطهري
- تحقيق في نسبة كتاب (روضةالكافي) للكليني / د.السيدرضامؤدب، إبراهيم يعقوبيان
- نقدوتحقيق في كتاب (المدرسةالشيعيّة في مسارالتكامل) القسم الثاني أستاذ حسن طارمي راد

- Al-Sadidi Al-Hilli's Efforts in documenting the written heritage: Nahj Al-Balaghah as a example\
  DrQasemShahri , Dr. Reza Arab Al-Bafrani , Sheikh Qais Bahjat Al-Attar
- Analysis of the Excellences of Ali (a.s.) in the Ascension of the Holy Prophet. (s.a.w.a) \
  Aliasghar Hadadian Naayeni1, Amir Tauheedi2, Sayed MohammadRazavi3
- Poems about Mastership (Manzoomah Fi al-Welaayah) \
  Ayatollah Sayed Mohammad Hasan Mirjahaani
- SUMMARIES OF LEWAA AL-HAMD 7 – CONCLUSIONTe Epic of Zahra. (s.a) \
  Dr. Mohammad Masjed-Jamei
- Muhammad Ibn Hasan Ibn al-Waleed \
  Sayed Mustafa Mutahhari
- Analysis of Attribution of the book Rauzah al-Kaf to Kulaini.(r.a) \
  Sayed Reza Muaddab & Ibrahim Yaqoobian

Publisher: Naba Cultural Organization -Tehran **ISSN 2717-3143**

مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية

السنة الأربعة - العدد السبعة

صفر- رجب ١٤٤٥

October - February 2024

خريف و شتاء ١٤٠٢هـ.ش

تصدر عن

مؤسسة النبأ الثقافية

طهران

لـــواء الحمـــد

مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالدراسات الإسلامية

تصدر عن مؤسسة النبأ الثقافية في طهران

العنوان البريدي: شارع شريعتي، شارع أديبي، رقم ٢٦

الهاتف: ٠٠٩٨ ٢١ ٧٧٥٠٦٦٠٢

مطبعة: تقويم (شارع حافظ، زقاق هورتاب، رقم٤)

هاتف: ٨٨٩٣٥٥٠٧

تجليد: صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف (افسريه، الشارع الثالث ١٥ متري، شارع٩، رقم٧٨).

هاتف: ٣٣٦٤٨٢٣٥

البريد الإلكتروني

nababamobin@yahoo.com

موقعنا على شبكة الإنترنت

WWW.Nabacultural.org

المدير المسؤول

د. محمدحسين شهري

رئيس التحرير

د. عبدالحسين طالعی

هيئة التحرير (حسب الترتيب الأبجدي)

د. خليل باستان
د. رضا برنجكار
الشيخ محمد بيابانی أسكويی
السيّد محمدباقر محمدصادق الحكيم
د. مريم حكمت نيا
الشيخ حسن طارمی
الشيخ رضا المختاري
السيّد هادي المدرسي
د. يوسف الهادي

المدير التنفيذي

راضيه كرمي

معتمد التعريب

علي الضميري ـ محمود توكلي

معتمد اللغة الإنجليزية

شبيب رضوي

فهرس المقالات

كلمة التحرير ٥

قراءة حديثة في مغفرة الذنب في سورة الفتح؛ بناءً على حديث «تحميل النبي ﷺ ذنوب الشيعة» ٩
تأليف: مريم حكمت نيا (أستاذ مساعد جامعة قم)

جهود السّديدي الحلّي في ضبط التراث المكتوب: نهج البلاغة نموذجاً ٣٢
الدكتور قاسم شهري / الدكتور رضا عرب البافراني / سماحة الشيخ قيس بهجت العطار

منظومة فى الإمامة ٥٠
آية الله السيد محمد حسن الميرجهاني الإصفهاني (١٣١٩-١٤١٣)

الفضائل العلوية في المعراج النبوي ٧٤
علي أصغر حداديان / أمير توحيدي / السيد محمد رضوي

ملحمة الزهراء عليها السلام ٩٦
د. محمد مسجد جامعي

محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد؛ سيرته و حياته و آثاره و مدرسته التفسيرية ١٢١
الدكتور السيد مصطفى مطهري

تحقيق في نسبة كتاب (روضة الكافي) للكليني ١٧٥
السيد رضا مؤدّب / إبراهيم يعقوبيان

نقد و تحقيق في كتاب (المدرسة الشيعيّة في مسار التّكامل) القسم الثاني ١٩٥
أستاذ حسن طارمى راد

٥
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الجهود المبنيّة على الحديث بمعنى الاعمال التى تنظم فى مجال الحديث، مشتملة على التحقيق و الكتابة و ترويج كلام رسول الله و الائمة الهدى عليهم السلام؛ لها تاريخ قديم، بل يعود الى حياة نبيّ الرحمة و افعال ذلك الرسول الكريم. كان صلى الله عليه وآله وسلم يحكى للناس الحقائق الوحيانيّة بلغة الوحى و حذّر فى الوقت نفسه ممّن يكذّب عليه عن علم و تعمّد، أى كان يفتح اعين الناس على ظاهرة التزوير و التحريف القبيحة.

٢- بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم واصلت هذه الجهود، ضمن إجراءات الحرّاس الوفيّين القليلين الذين تجاهلوا المنع الذى فرضته الحكومة على عدم الترويج للحديث و البيان و كتابة الحديث. اولئك حاولوا بالبيان و البنان فى نشر التراث النبوى الثمين. و فى هذا الصدد، حصيلة عمل الشيعة جدير بالثناء و الفخر. اربعمائة اصل وحده، نبذة من هذه الحصيلة. و ربّما من وراء الكواليس حدثت المحاولات الضوئيّة و التضحيات النادرة على هذا الطريق التى لم تصل الى الاجيال القادمة. شهادة الله العالم بالغيب وحدها هى التى تدلّ على كرامتهم و ثوابهم.

٣- على جبين هذه السلسلة الضوئيّة كتب شاملة منذ نهاية القرن الثالث. كم من المعاناة المؤلمة التى تحمّلوها ليوصلوا الكنوز القيّمة و نحن نظنّ خطأً أنّه تمّ الوصول اليه منذ اليوم الأوّل دون تكاليف باهظة و قبول المخاطر الصعبة. مهّدت تلك الكتب الشاملة الطريق لأعمال القيّمة بحيث ظهرت فى فترات لاحقة مجموعات حديثيّة بترتيبات و اقسام جديدة و مبنيّة على الحاجة ممّا أدّى الى إثراء مكتبة مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

٤- كلّ هذا كان من قبل التّطورّات الصناعيّة و الاتّصالات السريعة فى القرنين او الثلاثة قرون اخيرة. و رغم أنّ هذه التغيّرات العميقة حدثت فى عالم الصناعة إلّا أنّ أصداء التغيير تردّدت فى اجواء الفكر و المنهج و ثقافة حياة الناس. و بعد هذه التّغيّرات وجد الانسان إختلافات جدّية مع الانسان قبل ذلك فى جميع مجالات الحياة و اتّخذ مجال الحياة الشخصيّة و الاجتماعيّة لوناً مختلفاً؛ كما تركت هذه التّغيّرات آثاراً واضحة ايضاً و ملموسة على ثقافة قبول الوحى من قبل الشعب.

٥- نعيش الآن فى عالم صعب و معقّد و ملئ بالتّغيّرات و ملئ بالاسئلة الجديدة و يحتاج الى إجابات معقولة و منطقيّة. لقد تخلّى جيل اليوم عن لغة الأمس و يركض كالعطشان وراء الماء ليروى عطشه. إنّ الاستغلال من قبل مبتكرى المياه الملوّثة من هذا العطش الكثير و السؤال المتزايد، هو واقع مرير يحدث فى مثل هذه البيئة. إنّ تجاهل كل هذه الكيفيّات ليس من قواعد العقل و لا من قواعد الحكمة.

٦- كنز الحديث عبارة عن مجموعة من المعلومات التى اذا لم تتمّ معالجتها و لا يقوم انتاج العلم بمعنى اليوم عليها فإنّها تبدو كأنّها مجموعة راكدة و رجعيّة. مثل هذا الكنز بهذه النظرة فى الدنيا التى لا يوجد فيه الانقطاع و يتطلّع الى المستقبل فى كلّ لحظة لا منزلة له فى الوهلة الاولى. و هذا احد اسرار النفور من الدين و أحياناً معاداة الدين لدى بعض أبناء الجيل الجديد الذين هم فضوليون و يتابعون الأخبار و لا يفهمون الماضى.

٧- و فى مجال الحياة الاجتماعيّة تتمّ مناقشة التّبعات البيئيّة و الاجتماعية الناجمة عن انشطة التنمية باعتبارها تحدّياً يتطلّب حلولاً حديثة، حلولاً تطرح علميّة و مدروسة و واقعيّة و يمكن رؤية هذه الحقيقة بطريقة أخرى: التبعات الثقافيّة و الدينيّة و العقائديّة للانشطة التنموية أى تتطلّب ضرورة إحياء المنظومة الدينيّة و العقائديّة المتضرّرة. إنّ الشرعيّة الاخلاقيّة للمؤسّسات الدينيّة و خاصةً المؤسّسات المسؤولة عن النصوص الوحيانيّة تعتمد على ادراك هذه الضرورة.

٨- و ايّ الرعونة و الحياة اليوميّة فى العمليّة يؤدّى الى حرق الفرص و إهدار رأس المال المعنوى للأمم. إنّ الافكار و المناهج المناهضة للتحوّلات لا تجد مكاناً فى بيئة اليوم،

فضلاً عن بيئة المستقبل. فالفهم العميق و الشامل و المعصّر للتطوّرات، هو الاقلّ ضرورة للمؤسّسات و المراكز التى أدرجت الجهود المبنيّة على الحديث فى برنامجها. ألم يحذّر امير المؤمنين عليه الصلاة و السلام ببيان سماويّ منذ قرون: «إنّ أخا الحرب الأرقّ و من نام لم يُنَم عنه» (نهج البلاغة، رسالة ٦٢)

٩- اليوم يتوقّع الناس الحصول على إجابات لأسئلتهم و إحتياجاتهم من خلال إنفاق اقلّ قدر من الوقت و المال. فاذا لم يحصلوا على إجابة يتخلّون عن هذه المدرسة و يتّجهون الى مدارس أخرى تجيبهم. الرجل العطشان يطلب الماء و اذا لم يجد إحتياجاتها من المياه النظيفة و الصافية فإنّها يتّجه الى المياه الملوّثة. الكلام أبعد من هذا اليوم يبتعد الجميع عن التعميمات و يبحثون عن مدرسة تقدّم ميثاقاً شاملاً لحياة اليوم و تعطى مؤشرات عمليّة دون الحاجة الى تقييم أساسيّات تجميع المؤشرات. و فى هذه الأثناء ينبغى على محاولى مدرسة اهل البيت عليهم السلام ارشاد المستخدمين الى المؤشرات السماويّة، استناداً الى خزانة الحديث الغنيّة مع المعالجة اللازمة.

١٠- فاذا تخلّى أولياء مدرسة اهل البيت عليهم السلام و المجتهدون فى مجال الحديث عن اتباع النهج الفاعلى فسوف يضطرّون الى منهج سلبى و ردّ الفعلى الذى لا يجتاج قصوره الى الايضاح. معرفة الفرص و تهديدات الفضاء الجديد و الحلّ لمواجهة التعديات الجديدة ضرورة نتيجة انكارها لن تؤدّى الّا الى إزالة مثل هؤلاء الممثّلين من المشهد. و هذا القانون العام و الجامع ينطبق ايضاً على أولياء الجهود المبنيّة على الرواية، طوعاً او كرهاً.

١١- لقد شهد فضاء رواية الحديث و دراية الحديث أوراقاً مشرقة فى إتّجاه نشر ثقافة اهل البيت عليهم السلام. لكن مرافقة البيئة الجديدة تتطلّب إجابات لاسئلة جديدة، اسئلة مثل:

*ما هى مكانة الذكاء الاصطناعى فى سماء مستقبل دراسة الحديث و ما هى كيفيّة التفاعل معها؟

*ما هى مكانة التقنيات و الادوات و الاساليب التعليميّة و البحثيّة اليوم فى الجهود الثقافية المتعلّقة باهل البيت عليهم السلام؟

*والى اى مدى يستفيد المحاولون فى مجال الحديث من كل هذا التنوّع و الشمول؟

*هل هناك توازن بين البحث و الترويج فى مجال الحديث؟

*الى ايّ مدى تثمّن أجواءنا الحديثيّة الجهود الترويجيّة؟

*هل هذا هو النهج الصحيح لارسال اشخاص ذوى المواهب المنخفضة و الجودة المنخفضة الى المناطق المحرومة و تجاهل كل الخلفيّة الفكرية و الامكانات الالمعيّة الموجودة فى هذه المناطق؟

*هل وصلت البحوث المتعدّدة التخصّصات و البحوث الميدانيّة و البحوث التطبيقيّة و المبنيّة على المسألة الى مكانتها الصحيحة فى مجموعة الجهود المبنيّة على الحديث؟

١٢-على ايّ حال؛ هذا المجال الصعب يحتاج الى نخبة من الناس الذى:

*يكون متجذّراً فى التقليد القديم لاحاديث الامس و متجذّراً فى بيئة اليوم المبنيّة على المعلومات.

*و له مع الاعمال الطويلة الامد، جذر تأسيسى و الخلّة و الوئام.

*لا تُلوّث العمل الثقافى الاساسى بالعمل المبنىّ على العرض و تحديد الكميّات و التظاهر. ليعلموا أنّ الديناميكيّة المتأصّلة فى الثقافة تجذب دائماً عناصر جديدة الى الفضاء الثقافى. هذا الجذب ما يزال يحتاج الى الترحيب الوافر.

١٣- إنّ اهمّ عنصر ضرورى لأولئك الذين يحاولون فى مجال الحديث و مولّد التّيار و التحويليّة أن يهتمّوا دائماً الى ذلك الامام الكريم، الذى إمامته نظام الدين و قبول ولايته هو محور الدين. سيتمّ ذلك الكريم حلّ كلّ إضطرابات ديننا و دنيانا و ليس هناك أمل فى إنتظام الامور إلّا بانتظاره، الذى قال جدّه الكريم باب مدينة العلم النبوى امير المؤمنين عليه السلام ضمن تفسير الحروف الهجائيّة فى تفسير التاء: «و التاء تمام الامر بقائم آل محمد عليهم السلام» (معانى الاخبار،ص ٤٣). نأمل الى الرعاية الربّانيّة بعبارة «يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها» و نرجو أن يصلح الله نواقصنا مع ظهور هذا الذى هو مقام الامر. آمّين!

٩
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

قراءة حديثة في مغفرة الذنب في سورة الفتح؛ بناءً على حديث «تحميل النبي صلى الله عليه وآله ذنوب الشيعة»

تأليف: مريم حكمت نيا[١]

الملخّص: أحد البحوث التفسيرية الجديرة بالتحليل، التحقيق في آيات القرآن الكريم الخاصّة بمفهوم الذنب في الآية الثانية من سورة الفتح المباركة. فالآية المشار إليها ـ في النظرة الأولى ـ تتعارض وعقيدة عصمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد اجتذبت إليها أنظار المفسّرين، فصار كلّ منهم ـ حسب عقيدته ـ يدوّن مطالب بهذا الصدد. وهذه الدراسة جرى فيها السعي إلى نقل الأحاديث عن الأئمة الاطهار عليهم السلام الخاصة بمفهوم ذنب النبيّ الأعظم، و مدى ردّها أو قبولها من قِبل المحقّقين وطبيعة القراءة الحديثة لهذا الأمر، اعتماداً على الاستدلال الأدبي والروائي والعقلي والفطري بغرض الوصول إلى النتيجة المقبولة..

المصطلحات الرئيسيّة: الذنب، سورة الفتح، النبي، التفسير، العصمة، تحميل النبي ذنوب الشيعة.

١. أستاذ مساعد جامعة قم

المقدمة

القرآن المجيد، ورغم ما يتّصف به من الوضوح والشفافية والبساطة واليسر والنأي عن الإبهام، وبداعي السعة اللامتناهية وعمق المطالب وآفاقه الفائقة على البعد البشري من جهة، ونسبية فهمها من قِبل الناس، واختلاف مستويات التلقّي والفهم من جهة أُخرى، فإنه كتاب حوت آياته المباركه تساؤلات لاتنتهي، ولعل الإجابة عنها خارجة عن طاقة أكثر الناس، ناهيك عن أنّ هذا الأمر يجسّد إحدى الحكم الإلهية غير المتناهية.. وذلك لكي يصقل الناس أذهانهم ويندفع قراء القرآن إلى مزيد التفكير في غاياته ومعانيه ويغوصوا في أعماقه، فينتفعوا من حقائقه الأصيلة، فيأخذ كل فرد من الأفراد من منافعه بمستوى علمه ومعرفته، ويتوصّل ـ ما وسعه ـ إلى الحكم الإلهية الفذّة؛ فيدرك دين الله أكثر وأكثر...

و إنّ أحد البحوث التراثية الحاصلة بين المحقّقين ومفسّري القرآن والتي كانت محطّ الملاحظة والنقد... ما تضمّنته الآيات الأولى من سورة الفتح المباركة وكانت بمثابة كنز متعدد الأسئلة والاستفهامات...

والسؤال محطّ اهتمام هذه الدراسة هو: ذنب النبيّ الأكرم ﷺ الذي يذهب الشيعة إلى عصمته وطهارته المطلقة... ظاهر قوله تعالى:

(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) [الفتح/ ٢] يصرّح بذنبه صلوات الله عليه و آله... وهذا ما أدّى إلى حصول التفاوت والاختلاف بين التفاسير، بما في ذلك تفاسير الشيعة رغم اعتقادهم بالعصمة النبوية... ولعلّنا سنعرض بعضاً منها إلى النقد في هذه الدراسة. و إنّ ثمّ دراسات وضعت بصدد الإجابة عن هذا التساؤل، ومنها دراسة تحت عنوان «تحقيق ونقد منظار القاموس القرآني في معنى (الذنب) المنسوب إلى النبي ﷺ في القرآن المجيد» تأليف السيد محمود طيب الحسيني ومطهرة السادات الطيب الحسيني. إذ عمد مؤلّفان هذه الدراسة إلى التحقيق في ما يسمى بذنب الرسول، مع استعراض لرأي السيد على أكبر القريشى صاحب كتاب (قاموس القرآن) و (تفسير أحسن الحديث) بشكل دقيق وحديث مضافاً

اِلى تقييم آرائه، إذ قال في تبيين قضية الذنب النبوي: «ثمّ تصورات متّصلة بتأخير النصر الإلهي، حيث خطر على ذهن النبي بشكل لاإرادي تبعاً للحالة البشرية»

وعدّ الكاتبان ـ عبر التحقيق في رأي العلّامة الطباطبائي ـ نظرته نظرة غير مسبوقة، وقال: برأي العلّامة، يكون المقصود المتقدم للنبي: صراعه مع المشركين وعبادة الأصنام في مكة وقبل الهجرة بالتبع. والمراد بالذنب النبوي المتأخر: مواصلة إبلاغ الرسالة النبوية والأضرار اللاحقة بالمشركين في المدينة المنورة وما بعد الهجرة الشريفة، والدماء المراقة في الحروب المختلفة للمشركين وصناديد قريش. (تحقيقات كلامي، ربيع ١٣٩٧ ش، رقم ٢٠ ص ١٠١-١١٦).

الدراسة الأخرى: «تحقيق تطبيقي للآية الثانية من سورة الفتح من منظار مفسري الفريقين» تأليف: محمد بشير المقدسي و حسين علوي مهر. وقد عمد مؤلفو هذه الدراسة اِلى التحقيق في آراء مفسّري الفريقين فى ما يرتبط بمعنى الذنب. واستنتجوا أنّ مصطلح (الذنب) الوارد في الآية الثانية من سورة الفتح بمعنى ذنب النبي في نظر المشركين، وليس بمعنى الذنب الشرعي الذي يستوجب العقاب الإلهي (مطالعات تطبيقي قرآن وحديث، ربيع وصيف سنة ١٣٩٨ ش، رقم ١٢ ص ٢٥-٤٨).

وليس واحدة من هذه الدراسات والمقالات الشبيهة في تفسير الذنب اَشارت اِلى ذنب الامة، ولم تسلط على ذلك أضواء التحقيق والدراسة، ومن هنا، فإنّ النتيجة التي نحصل عليها من هذه المقالة لم تحظَ بالتفاتهم واهتمامهم...

وبشكل عام، وبنظرة سطحية، إما أن نتجاهل عصمة النبي، ونرى في ارتكاب النبي للذنب اَمراً وارداً ومتوقّعاً... أو أن نتّخذ اِلى هذه الآيات الإلهية الصريحة منحىً تأويلياً... وهذا الخيار الثاني لا ينتهي اِلى التصديق والإيمان به ما لم يقترن اِلى الادلة النقلية والعقلية المتقنة. ولكن المؤلف يذهب اِلى أنه لدى تغيير النظرة والاستعانة بالقوانين البلاغية والسنن الفطرية، يتمّ الاقتراب وإلى حد كبير من الحقائق وادراك مقصود الآية الشريفة ومرادها.

وبهذا الصدد؛ لابدّ من تقصّي مفهوم مفردة (الذنب)، ثم نتابع آراء العلماء ومفسّري الشيعة في هذا المفهوم، ثم لعلّنا بالاعتماد على القرآن والعترة وبالاستمداد من الحجة الباطنية (العقل السليم الرشيد) نتحصّل على النتيجة المرجوّة والمناسبة والجديرة بالبحث العلمي.

وحيث أنّ العصمة ـ في الفكر الشيعي ـ غير قابلة للخدش، وللشيعة في ذلك دلائل متقنة وقاطعة... فاننا نلج هذا البحث، ثم نذكّر بصورة إجماليّة بالآراء الخاصة في تبرير وتفسير (الذنب النبوي) من بين حنايا تفاسير الشيعة.

تحقيق مفهوم (ذنب النبي) الوارد في الآية الثانية من سورة الفتح

الشيعة؛ وطبقاً لمعتقداتهم ينفون عن النبي وأهل بيته صلوات الله عليه وعليهم إمكانيّة وقوع كلّ نوع من أنواع الذنب، وفضلاً عن الكبيرة والصغيرة وما يسمّى بترك الأولى... وذلك أنهم عليهم الصلاة والسلام مصدر ومعين الطهر والطهارة؛ بل إنّ جميع الطهارة والطهر ـ في جميع مناحي الوجود ـ تجري من وعن حياضهم ووجودهم ـ وإنّ لمسهم باعث على التطهّر... فكيف ينسب إلى الله عزّوجلّ غفران ما تقدّم وما تأخّر من ذنب في هذه السورة المباركة إلى النبي صلوات الله عليه وآله؟ وياترى ما الغرض من غفران الذنب النبوي، لا سيّما وأنّ هذا الغفران مرتبط بشكل مباشر بالفتح المبين الذي ذكر في الآية السالفة على أنه العلة الأصلية في مغفرة الله للذنب النبوي؟!

للخروج والتخلص من هذا الإشكال، نلقي نظرة على المعنى اللغوي للذنب والمغفرة، ثم نمرّ على مختلف الآراء، ونعمد إلى شرح وإيضاح كلّ منها للوصول إلى النتيجة المعقولة.

المعنى اللّغوي للذنب والمغفرة

مفردة الذَنب وبالنظر إلى العلاقة المعنوية مع ما يرتبط به من تبعة، فيكون الذنب كما هو الذَنَب، أي أنّ للذّنب عاقبة تتبع الإنسان مثلما يتبع الذّنَب جسم الحيوان، فالذّنب يشترك في تحديد مصير وعاقبة الإنسان، ولا ريب أنّ كلّ عمل يقوم به الأنسان يكون له تأثير في حياته وعاقبته ـ شاءَ أم أبى ـ كما له دور في رسم ملامح شخصية

وصناعة مصيره. ومن هنا؛ عرّف الطباطبائي في (تفسير الميزان) الذّنب بأنّه كلّ عمل له عواقب غير حميدة؛ كما أُشير إلى ذلك في كتب اللغة. وعرّف ابن منظور الذّنب بأنّه الإثم والجُرم والمعصية (ابن منظور، ١٩٨٨، ص ٦٤). أمّا مصطلح (المغفرة) في اللغة، فهو بمعنى السّتر والحجب والتغطية للشيء (ابن منظور، ص ٩١).

وبالنظر إلى معنى الذنب والمغفرة يتّضح أنّ مغفرة وغفران الذنب هو التغطية عليه أو تجاهله بحيث تخفى عواقب هذا الذنب عن أنظار الآخرين.

تفسير (الذنب) في الأحاديث

الأحاديث الواردة في تفسير الآية الثانية من سورة الفتح حوت ثلاثة تفاسير للذنب عموماً، وهي عبارة عن:

١- ذنب النبي عن زاوية المشركين:

ورد في الحديث أنّ المأمون سأل الإمام الرضا عليه السلام عن ذنب النبي صلى الله عليه وآله المذكور في سورة الفتح؛ اذ قال له: يابن رسول الله! أليس من قولك أن الأنبياء عليهم السلام معصومون؟

قال: «بلى»

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن... فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ: (ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر). قال الرضا عليه السلام:

«لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً، فلمّا جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص؛ كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب.. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ... فلمّا فتح الله عزوجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له: يا محمد! انا فتحنا لك مكة فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي أهل مكّة بدعائك إلى توحيد الله فى ما تقدم وما تأخّر.. لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقى منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا

دعـا النـاس إليـه... فصـار ذنبـه عندهـم فـي ذلـك مغفـوراً بظهـوره عليهـم». (الطبرسـي، ١٤٠٣ ق.: ٤٣٠ هـ ق).

إنّ بيان الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية جدير بالالتفات من بُعدين:

أولاً: إشارة الامام بعبارة «بظهوره عليهم» تشيرإلى أنّ قدرة وغلبة النبي سبب في تغير موقف المشركين إزاءه، كما هو الأمر في المجتمعات القوميّة الصغيرة، أو المجتمعات القوميّة الكبيرة، وحتى العالمية؛ حيث تجتذب المجتمعات المغلوبة إلى ثقافة المجتمعات والفتوحات العسكرية الغالبة وحضارتها حتى تخسر ثقافة المغلوب وتذوب في الثقافة الغالبة... وعليه، فإنّ غلبة النبي بداعي الانتصار و الفتح، ولا سيّما فتح مكة، كانت عاملاً و سبباً مهمّاً في تغيير الوضع و الموقف والنظرة من قِبل المشركين إزاء ما كانوا يعتبرونه ذنباً وجريرة صورت من قِبل النبي صلى الله عليه وآله تجاههم.

ثانياً: يتأتّى من بيان الإمام الرضا عليه السلام أنّ الذنب عبارة عن أمر نسبيٍ، وواضح أنّ ما يُعدُّ ذنباً عندالله تعالى، وما يعتبر ذنباً في منظار المجتمعات البشرية المختلفة شيئاً متفاوتاً...

وقد تقدم القول في مصطلح (الذنب) وهو أنه كلّ فعل يتضمّن عواقب غير مطلوبة، وذلك أن (المطلوبة) و(غير المطلوبة) تُتَصوّر بالتبع إلى شاكلة وذائقة كلّ مجتمع على حدة، وكذا بناءً على العرف والنظرة والمنطق الخاص بكلّ بيئة اجتماعية عامة، فالذنب يمكن اَن اَمراً نسبيّاً.

فمثلاً؛ في حقبة النبي لوط عليه السلام كان الشذود الجنسي فعلاً مقبولاً من قبل مجتمعه، بل محبذاً، فى ما الطهر والتطّهر أمراً مكروهاً منفوراً.. ومن هنا؛ وجدنا قوم لوط الشاذّين الموبوئين يستهزؤون بهذا النبي الجليل وبأتباعه ويحقّرونهم ويجهدون في معادلات إخراجهم وطردهم عن قريتهم، ويقولون: (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف / ٨٢] أو: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [النمل / ٥٦]

في حين أنّ هذا العمل يُعدّ ذنباً عظيماً من المنظار الالهي والنبوي، ومردُّه إلى

الشهوة والجهالة والإسراف وتطرف قوم لوط... و القرآن المجيد يقول: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)[الأعراف/ ٨٠-٨١].

وفي آية أُخرى قال تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [النمل/ ٥٤-٥٥].

..بهذه النظرة والحيثية التي هي حيثية منطقية ومقبولة تماماً... كان ذنب النبي من وجهة نظرة أهل مكة والمشركين يُعدّ ذنباً هو الأكبر والأشنع.. ولا ريب أن ديانة التوحيد ونفي عبادة الأصنام في مجتمع كان يعبد (٣٦٠) صنماً؛ هو بمثابة ذنب عظيم جداً يمكن نسبته إلى النبي ﷺ واتّهامه به ... ولذا؛ فقد قال القرآن المجيد: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ* أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص/ ٤-٥].

فقد كانوا يتعجّبون أنّ فرداً أتاهم لينهاهم عن عبادة الأوثان، فأعلنوا الحرب الشعواء عنده وصارعوه بلا رحمة ونسبوا إليه الموبقات من الصفات، مثل الافتراء على السماء والشعر الكاذب والكهانة والسحر...

فلمّا فتحت مكة المكرّمة وتمكّن النبي ﷺ منها ومن أهلها وغلبت قوته عليهم وكفّوا عن مواجهتهم ـ العلنية على الأقل ـ ضده وسلّموا له، رأيتهم يتجاهلون ويتناسون الذنب الذي كانوا نسبوه إليه .. وصارت الدعوة إلى التوحيد التي كانت في زعم المشركين ذنباً وجُرماً؛ أمراً يمكن أن يُتجاهل وتُطوى صفحته.. وقد تسبب ذلك في أن يعمد بعض أهل مكّة إلى الخروج منها وتركها، فيما الآخرون مالوا إلى دين الإسلام طوعاً أو خوفاً وكرهاً...

وعلى هذا النحو؛ فقد تركت الغلبة العسكرية والسياسية وحيازة القدرة تأثيرها في المشركين الذين لم يكونوا ليقبلوا الإسلام؛ حتى تركوا مكة أو لم يقبلوا الإسلام طوعاً ورغبة. ولكنهم أسلموا ـ اعلنوا إسلامهم ـ مضطرّين... ولكن غلبة التوحيد الثقافية على ثقافة الشرك وتغيّر نظرة المشركين إلى الاسلام والرسول قد ترك أثره في وجود الذين أسلموا

عن ميل ورغبة واطّلاع؛ حتى آمنوا بالنبيّ عن علم، بعد أن تغيّرت نظرتهم إزاءه. فهم لم يكتفوا بعدم تلقي الدعوة المحمدية ذنباً، بل عدّوها أمراً مطلوباً.. وفي الآيات المشار إليها آنفاً؛ ومع سبر أغوارها نجد أنها تناولت ثلاث فرق بالاسم والوصف، وهي: المؤمنون والمنافقون والمشركون..

وهذا كان تفسير الإمام الرضا عليه السلام لهذه الآية.. وبقبول هذه الرواية.. وفضلاً عن تفسير مصطلح (الذنب) يكون قد أُزيح الإشكال المتعلّق بـ(الفتح المبين) وبين (الذنب).

٢- غفران ذنوب شيعة النبي صلى الله عليه وآله وشيعة اميرالمؤمنين عليه السلام

ما سيخضع للتحقيق في هذه الدراسة بشكل جاد، هو كيفية احتساب ذنوب شيعة النبي صلى الله عليه وآله أو شيعة علي عليه السلام على النبي الأكرم.

ورد في الرواية أن عمر بن يزيد سأل مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الذنب.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزوجل: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)؟

قال: «ما كان له ذنب ولا همَّ بذنب، ولكن الله حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له» (المجلسي، ١٩٨٣م.: ٧٦؛ الطبرسي، ١٤٠٦ ق.: ١٦٨).

ورواية أخرى تبين بالقول: سُئل أبو الحسن الثالث ـ الإمام علي الهادي عليه السلام ـ عن قول الله عزّوجلّ: (ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر)، فقال: «وأيّ ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله متقدّماً أو متأخّراً؟ وإنّما حمّله الله ذنوب شيعة علي عليه السلام ممّن مضى منهم وبقي؛ ثمّ غفرها له». (المجلسي، ١٩٨٣م.: ٢٧٢)

وهاتان الروايتان كأنها تتحدّثان عن غفران شيعة النبي أو شيعة اَمير المؤمنين عليها وآلهما الصلاة والسلام.

بادئ ذي بدء تبدو الروايتان ـ أو مؤدّى الروايتين ـ عجيبتين وغير مقبولتين ـ وذلك أنّ بعض مفسّري الشيعة كانوا يجتنبون اِيرادهما، فيما البعض منهم إذا ما أوردوهما كانوا

يتجنّبون شرحهما والتعليق عليهما.. و البعض الآخر ذهبوا إلى أنّ الذنب المتقدم هو ذنب الأمة، والذنب المتأخر ما يغفر في إطار الشفاعة النبوية.

فالطبرسي في (مجمع البيان) ولدى تبرير مغفرة الذنب النبوي تحدّث عن (ذنب الأمة) وقال: «ولاصحابنا فيه وجهان من التأويل: أحدهما: أن المراد: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر بشفاعتك... وحسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال والسبب بينه وبين أُمّته» (الطبرسى ١٤٠٦ ق.: ١٦٨)، ثم أورد الروايتين أعلاه باعتبارهما تتناولان مغفرة شيعة النبي وعلي عليهما وآلهما السلام.

والعلّامة الطباطبائي اكتفى بهذا المقدار أيضاً وكرّر ذكر الوجه الذي أورده الطبرسي وقال: «من ذلك: ما ارتضاه جمع من أصحابنا من أنّ المراد بمغفرة ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، مغفرة ما تقدم من ذنوب أُمته وما تأخر منها بشفاعته ﷺ. ولا ضيرَ في إضافة ذنوب أُمته ﷺ إليه؛ للاتّصال والسبب بينه وبين أمته» (الطباطبائي ١٩٧٣ م.: ٢٥٦)

وهكذا يكون هذان العلمان قد رضيا مغفرة ذنوب الآمة من قبل النبي الأكرم ﷺ ووجود الاتّصال والعلاقة بينه وبين أُمته، وقبلا التفسير هذا كونه دليل جوازه.. رغم أنّ الطباطبائي ـ لدى هذا القول ـ لم يجد ثمّ علاقة تربط بين الفتح ومغفرة الذنب.. وواصل يقول: إنّ هذا الحديث يحلّ الكثير من المشكلات، ولكن يبقى الإشكال في وجود العلاقة بين الفتح و مغفرة الذنوب. (الطباطبائي ١٩٧٣ م.: ٢٥٦)

وما يقوي الإشكال هو أنّ المغفرة ليست مجرد مغفرة ذنب شخص النبي، ليتمّ التصرف كما القول السالف في معنى الذنب واعتبار الذنب من نوع آخر، وإنما الأمر تعدى المغفرة ليصل إلى مسألة (التحميل).. فكيف يتسنّى لله تعالى أن يجعل ذنوب جماعات في ذمة وعنق رسول الله ﷺ ثم يغفرها؟ في حين أن القرآن المجيد يقول مصرّحاً: (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [النجم / ٣٨] فكيف يتحمل النبي ﷺ ذنوب أمّته أو ذنوب شيعة علي عليه السلام؟ أو كيف يحمّله الله تعالى إيّاها؟!

لقد شكّك محمد حسين فضل الله ـ من بين مفسرين الشيعة ـ في صحة هذه الرواية ـ

ثم ردّها قائلاً: «ولكنّنا لا نعتقد صحة هذه الروايات، لأنها لا تنسجم مع الأسس الفكرية الإسلامية، فإنه لا معنى للقول بما جاء في بعض هذه الروايات... لأنه لا معنى لتحميله تلك الذنوب، كما لا معنى لاعتبار الفتح أساساً لذلك، في الوقت الذي لم يكن فيه للشيعة أي وجود واقعي في المجتمع الإسلامي، وكيف يمكن للقرآن أن يتحدّث عن نتيجة للفتح لا تتصل به»؟ (فضل الله، ١٩٩٨ م.: ٩٨)

اِن الإشكالات التي أوردها محمد حسين فضل الله على هذه الروايات يمكن تلخيصها بأربعة أمور:

* عدم تناسب الرواية مع أسس الفكر الإسلامي.
* عدم وجود معنىً لمسألة تحميل النبي ذنوب الشيعة.
* عدم وجود العلاقة بين الفتح والمغفرة.
* فقد موجودية الشيعة في المجتمع المسلم حين نزول الآية...

وهذه مطالب تفصح وتفضح طبيعة رؤية محمد حسين فضل الله إزاء المباني والأسس الدينية. وهذا ما يميّزه عن المفسرين الآخرين. وذلك أنه رؤية الطبرسي والطباطبائي والعديد من مفسري الشيعة لم تتضمّن الحديث عن التعارض بين هذه الروايات وبين المباني الدينية... وكما سلف، لم يستبعده واحد منهم، وكذا لم يورد واحد منهم إشكالاً بداعي الاتصال والسبب بين النبي و الأمّة.

لقد اعتبر فضل الله هذه الروايات وأمثالها نوع تهرّب من المعنى الظاهري للقرآن، المُشعِر بوجود وحصول وصدور الذنب من النبي المعصوم! وهو نفسه اضطرّ للهروب من الظاهر القرآني اِلى إيجاد معنى للمغفرة في الرحمة والرضوان والمحبة لشخص النبي ﷺ باعتبار ذلك من نتائج المغفرة وتبعاً للجهاد النبوي المتواصل، مضافاً اِلى فتح أبواب العيش للنبي..

وما ينبغي قوله هنا؛ أنّه مع وجود (الذنب) الطبيعي وتصريح الله به، لا يمكن تقبل هذا المعنى، ولو أنه تعالى ذكر المغفرة على سبيل الإطلاق ومن دون تحديد المفعول، لأمكن قبول معنى الرحمة والرضوان والمحبة اِلى حدّ ما، ولكن مع التصريح بمفعول (الذنب)

لا سبيل إلى القول بصحّة هذا المعنى...

وللتخلّص من هذا الإشكال ينبغي ـ أوّلاً ـ هو معرفة مَن هم الشيعة؟ فمَن هُم شيعة النبي صلى الله عليه وآله؟ ومَن هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام؟ وهل أنّ شيعة علي غير شيعة النبي؟ بل ومن هم أمّة محمد صلى الله عليه وآله أساساً؟!

نبدأ بتعريف أُمّة النبي، ثم نواصل القول في الشيعة، ليتّضح ما إذا كان بالإمكان تحميل النبي ذنوب الأُمة أو الشيعة أم لا؟!

تعريف أُمّة النبي صلى الله عليه وآله

لا ريب في أنّ المراد من أُمّة النبي ليس جميع الأفراد الذين ينطقون بالشهادتين ويعلنون إسلامهم، لأن صريح القرآن العظيم قد فصّل وفرّق بين الإسلام والإيمان، وجعل دائرة الإيمان أضيق من دائرة الاسلام: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الحجرات / ١٤].

ثم أضاف القرآن الكريم القول في تعريف المؤمنين فصرّح: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات / ١٥].

ثم إن القرآن المجيد اعترض على مدّعي الإيمان وقال لهم: (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات / ١٦].

وقال في وصف هذه الشاكلة من الناس: (يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) [الحجرات / ١٧].

في هذه الآيات؛ فضح الله عزوجل جميع أعياء الإسلام، ولم يعدّ الإنسان مؤمناً إلا بعد نفوذ الإيمان إلى قلبه واستقرار فيه، وبعد إطاعته لله واتّباعه للنبي اتباع التسليم.. وأخيراً؛ صرّح سبحانه وتعالى في الاية (١٤) بكونه الغفور الرحيم، وأنّ هذا الغفران والرحمة الخاصّة سيشملان هؤلاء المرضيّي الإيمان..

وفي الآية (١٥) عرّف هؤلاء المؤمنين المرضيّين الصادقين بجملة أوصاف وحصرها فيهم بقوله الكريم (إنّما). والأوصاف هي عبارة عن: الإيمان بالله وبرسوله، وخلوّ القلب من الشك والريب فى ما يرتبط بالإيمان، والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله وفي الشطر الأخير جرت الإشارة اِلى الآثار العملية ونتايج الإيمان المحسوسة: (أُولئك هم الصادقون)، حيث يتجلّى إيمانهم الحقيقي بداعي صدقهم.

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تعريف الإيمان: «الإيمانُ ما استقرّ في القلب وأفضى به اِلى الله، وصدّقه العمل بطاعة الله، والتسليم لأمر الله» (الكليني، ١٣٧٥ ش.: ٤٢). هذا في الوقت الذي يجهد غير المؤمنين بالمنّ على الرسول لمجرّد نطقهم بالشهادتين..

لا شكّ أنّ جميع هؤلاء ـ من حيث الظاهر ـ فى جملة أمة محمد صلى الله عليه وآله، ولكنهم لا يستوجبون ـ جميعهم ـ المغفرة الإلهية، وإنّ الفاصلة لعظيمة بين الثرى والثريا وبين ذينك الواقعين وذينك القلبين! فالقلب المفعم بالإيمان والذي لا سبيل للشكّ إليه، والقلب الفارغ من الإيمان، ثم ينتهي اِلى المنّ...

فثمّ فرق هائل بين اِنسان يضحي ويجاهد بماله ونفسه بداعي هذا الإيمان الصادق وبين إنسان يتكسّب باسلامه... ولذا وجدنا الله تعالى قال عن المنافقين: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) [التوبة / ٨٠]

ويمكن استنتاج أن أُمة النبي في العرف المعاصر للمسلمين ذات معنىً عام يشمل جميع القائلين بالإسلام، وأنّ هناك معنىً خاصّاً لا يصدق اِلّا على المؤمنين الصادقين.

تعريف الشيعة...

كلّما اتسعت دائرة الاسلام، أُضيف الى اسم الدين الإسلامي المقدّس عظمة وعزّة ـ هكذا يفترض ـ فيُضاف اِلى جلاله وقوّته الظاهرية... ثم من ناحية أُخرى ينطوي إليه مزيد من الأشخاص غير المخلصين والنفعيين الدائمى تتبّع منافعهم الشخصية والخاصّة، وهذا ما يؤدّي اِلى زيادة المدّعين الكاذبين، فيشاركون ـ اِلى حدٍّ ما ـ المؤمنين الصادقين العيش تحت عنوان (أُمّة النبي) وسقف (الإسلام) ولا ريب في أنّ هذا الواقع منحىً

طبيعي لكل مدرسة فكرية وعقائدية في طريقها إلى التطور وتحظى بالمقبولية، ناهيك عن دين يراد له بسط جناحيه في المعمورة والإشراق بنوره إلى أبد الدهر ونشر رحمته في جميع عالم الوجود، وذلك أنّ زعيمه ونبيّه إنّما بُعث رحمة للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء / ١٠٧).

فهذا كلّه بالمعنى العام للكلمة، ويتضمن ـ في الظاهر ـ المسلمين والأمّة المسلمة... ولكن في الحقيقة؛ أيّ الفريقين يعانق الأهداف والغايات النبويّة النبيلة؟ وأيهما يسير ضمن مسار الرشد والتقدم بدين الله؟ وأيهما يرافق النبي ﷺ في مسيره؟ رأي الفريقين يضحي بالغالي والنفيس لإيصال المجتمع إلى المثل النبوية، وبالتالي، أيّها سيحقّق الإرادة النبوية؟!

المؤمنون الصادقون، وبداعي إيمانهم القلبي وتسليمهم العملي ـ في الحقيقة ـ هم مَن تربطهم بالنبي العلاقة الوثيقة بما لاانفكاك فيها، حتى لكأنّهما كتلة واحدة... كتلة عقلها النبيّ الأعظم، وأعضاؤها وجوارحها المؤمنون الصادقون... هذه الجماعة في أُمة النبي هي التي وصفتها الروايات المعصومة بأنّها «الخاصّة الخالصةُ منّا أهل البيت»، وهي من تحسب «شيعة النبيّ». وقد نقل عن عمار بن ياسر رضوان الله عليه أنّ النبي الأعظم ﷺ قال: «إن الشيعة الخاصّة الخالصة منّا أهل البيت». (الكاشاني ١٤٠٦ ق.: ٨٢٤). فهؤلاء هم الأتباع الصادقون للنبي، حيث يتفكّرون لأنفسهم ويوقفونها لإشاعة وبث المبادئ والغايات المحمديّة النبيلة. ولا فرق في أن كان مصطلح الشيعة يطلق على جماعة خاصة في العصر النبوي أم لا... وحتى إن سلّمنا بكلام محمد حسين فضل الله ونظائره واعتبرنا تشكل الكيان الشيعي أمراً غير مقبول... فإننا لا نستطيع إنكار وجود الأتباع الثابتين الراسخين والصادقين للنبي الأكرم ﷺ في تلك الحقبة.. أولئك الذين طالما خاطبتهم الآيات ووصفتهم بصفة «المؤمنين» وعزلتهم عن «المنافقين» الذين كانوا يقسمون للنبي كذباً بأنهم في المؤمنين به.. ولطالما صرحت سور قرآنية جمّة، مثل سورة المنافقون والتوبة وكذا سورة الفتح بالاعتراض عليهم وعلى منهجيتهم وسلوكهم وأفكارهم، وندّدت بهم تنديداً مباشراً...

و«الشيعة» في لغة العرب تعني الأتباع والأصحاب، والجماعة المتفقة على فكرة واحدة ورأي واحد... (ابن منظور، ١٩٨٨ م.: ٢٥٨). ويذهب كاتب الدراسة أيضاً إلى أنه بملاحظة معنى «شاع ويشيع» فانّ (الشيعة) مشتقة من هذا المعنى.. ويمكن القول بأنّ هذا المعنى يشمل على الترويج والإشاعة والنشر للمبادى النبوية أيضاً.

أمّا (الشيعة) من الناحية التأريخية فهو اصطلاح يطلق على القائلين بالتبعية لأمير المؤمنين علي عليه السلام. وعلى أي حال؛ فإن تكوّن الشيعة تحت عنوان الأتباع الحقيقيين للنبي صلى الله عليه وآله منذ حياة رسول الإسلام، وفي ذلك وردت أحاديث ليست بالقليلة. وقد كشف أميرالمؤمنين عليه السلام وبدقة لامتناهيه وبالاستدلال المتين عن اسم الشيعة وصفاتهم. وقد كتب ضمن جوابه على سؤال وجّه إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، فإن الله يقول: (وإن من شيعته لإبراهيم) وهو اسمٌ شرّفه الله في الكتاب، وأنتم شيعة النبي محمد صلى الله عليه وآله كما أنّ محمداً صلى الله عليه وآله من شيعة إبراهيم عليه السلام، اسمٌ غير مختصر، وأمرٌ غير مبتدع...». (الكاشاني، د.تا.: ١٢٧).

وفي هذا النصّ الشريف لا يجد الإمام علي عليه السلام لنفسه استقلالاً عن النبي صلوات الله عليه وآله، بل ويرى أنه المتّبع الأول لمحمد صلى الله عليه وآله، وأن طريقه طريقه، وبهذا يشير عليه السلام أن المبادئ الإبراهيميّة هي ذاتها امتداد لخطّ النبي نوح عليه السلام.. وتواصلت إلى العصر المحمدي وتمثلت في شخص خاتم الأنبياء والمرسلين.

فالنبي المصطفى مأمور من قبل الله عزّوجلّ، وطبقاً للآية الشريفة القائلة: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل/ ١٢٣].

بمتابعة ذات الخط وهذا التيار التوحيدي.. وهو التيار الذي لم ينقطع ـ ولا ينبغي له الانقطاع ـ بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تمثّل في الوجود المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام... و بهذا؛ يكون التشيع العلوي الأصيل تيار توحيدي أصيل عريق متجذّر، وأن وجوده لم يكن في العصر المحمدي فحسب، وإنما هو ـ على الدوام ـ كان محطّ تأييد الله وايرادته الأصيلة.. والقرآن الكريم قد صرح كبر كلمة واصطلاح (اتّبعوا) في قوله تعالى: (قُلْ صَدَقَ

اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران / ٩٥] أمر جميع المؤمنين بالاستقامة والاستمرار على اعتناق التشيع لإبراهيم حتى (يظهره على الدين كلّه).

وفي كتب العامّة الحديثية وغيرها ـ مع التدقيق والملاحظة ـ ثمّ نصوص تدلّل وتثبت وجود (شيعة علي عليه السلام) في زمن النبي صلى الله عليه وآله... ولقد روى ابن حجر العسقلاني في كتابه (الصواعق المحرقة) عن ابن عباس أنه قال: لمّا أنزل الله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين...». (الهيثمي ١٣٨٥ ق.: ١٥٢).

فيما روى الحموينـي أيضاً في (فرائد السمطين) بسنده عن جابر قال: «كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: قد أتاكم أُخي، ثم قال صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة».

ومع وفرة وجود هذه النصوص الشريفة في المصادر الحديثية لأهل الخلاف وكثرتها في المصادر الروائية الشيعية؛ نخلص إلى حقيقة أن الشيعة لم يكونوا في العصر النبوي فحسب، وإنما هم يجسدون المتابعة والامتداد الحق لتيار التوحيد في الوجود، وقد أمر خاتم الأنبياء بإدامة هذا الخط الإلهي الأصيل في وجود علي عليه السلام وفي وجود أتباعه وشيعته بوضعه التعييني باعتبار عَلماً هادياً.. مع أن وجودهم العلني ـ على المستوى الاجتماعي إذ ذاك ـ كان محطّ تساؤل...

الشيعة وتبار التوحيد المنظّم

يتّضح عبر الرواية المنقولة أعلاه عن مولى الموحدين علي عليه السلام بخصوص الشيعة أنه يعدّ الشيعة والتشيع تياراً توحيدياً متماسكاً قد انطلق منذ القدم، وأنه قد اتّسع وترسّخ ضمن المشروع الالهي الذي كلّف به إبراهيم عليه السلام ثم النبي المصطفى صلى الله عليه وآله. ولقد وجد هذا التيار العريق عبر التاريخ، وبالنظر إلى المعنى اللغوي للشيعة والتشيّع واستعماله في اللغة القرآنية والنبويّة المحمّديّة منحىً هادفاً مميزاً لغرض تحقيق وتكريس المبادى

الالهية والمشروع الرباني المعدّ للبشرية. فصار الأشخاص الذين انضّموا إلى هذا التيار التوحيدي، وسمّوا شيعةً يضعون أقدامهم على آثار أقدام زعماء هذا التيار ويخطون الخطوة بعد الأخرى مع القيادة الإلهية في تحقيق النظام والمشروع الإلهي هذا، فرافقوا الوحي حتى تحقيق الغايات الربانية المرجوّة... وفي خضم ذلك؛ كان لهم جهادهم العتيد ضدّ أعداء الوحى والتوحيد..

ولقد نهض إبراهيم عليه السلام ـ كما تصرح آيات القرآن المجيد ويُفهم منها ـ بأعباء تحقيق أهداف النبي نوح عليه السلام، وأبلغ أباه وقومه الحقّ وواجههم وسعى كلّ سعيه لإعلاء كلمة الله في الأرض، فسمّاه الله شيعياً مع وجود الفواصل الزمنية البعيدة بينه وبين النبي نوح عليه السلام، بمعنى أنه لم يكن العامل الزمني ليفصل بين الاثنين العظيمين، ولذا قال سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ)؟ [الصافات/ ٨٣-٨٥].

كما كان محمد صلى الله عليه وآله نفسه شيعة إبراهيم عليه السلام، حيث تابع هدفه وجاهد أعداءه بما كلّفه الله عزّوجلّ.

ويمكن القول بصراحة: إن الثلة المؤمنة التي سلّمت بقلبها وروحها للتعاليم المحمّدية ولم يكن همّها سوى تحقق الأوامر الإلهية وبقيت قلوب أفرادها سليمة منزّهة عن كل لوث ولم يكن لها شك في الغايات الإلهية.. قد سميت (شيعة).

تحميل النبي ذنب الشيعة وغفرانه

يبدو أن نبي الإسلام العظيم أو أي نبي آخر، بل وأي قائد اجتماعي وأي زعيم لجماعة، له وجود شخصي، وموجودية اجتماعية عامة. فإن قلنا بأن الملك الفلاني أو الرئيس والقائد قد تناول طعاماً أو شرب ماءً، فإننا ننسب فعله هذا إلى شخصه حيث كان المباشر له، ولكننا إذا قلنا: قام القائد فلان بإصلاحات، أو بنى مدرسة ومستشفى وأدار مجمعاً علمياً، فإننا ـ كما هو واضح ـ لا نقصد مباشرته لهذا النوع فى العمل، كان يكون بنى المستشفى بيديه...

فهذا ما يُعدّ في البلاغة مَجازاً مع علاقة سببية، لأنه كان مجرد سبب لإيجاد الاصلاحات أو بناء المصروح والمؤسسات.. وهنا نكون قد جعلنا له موجودية اجتماعية تشير إلى أنه أنجز ما أنجز بالاعتماد على مجموعة خاضعة لأوامره منفّذة لمشاريعه ومخططاته.. وأفراد هذه المجموعة لابد أن تِكونوا مرتبطين فيما بينهم متوحدين في تعاونهم... ويكفي للقائد هنا أن يريد، لتنهض هذه المجموعة بأعباء مسؤوليتها ضمن تخصّص كل فرد من أفرادها.

وفي هذه الآية ـ محطّ البحث والتحقيق ـ وبالنظر إلى سياق الآيات والمباحث السالفة؛ من قبيل الفتح والانتصار الذي هو انجاز عملي جمعي ويتم تحت مظلّة المواجهات العتيدة من قبل المؤمنين المخلصين وضمن القيادة النبوية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكذا إتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم الذي تضمنته الآيات التالية لهذه الآية، يعلم أن مخاطب الضمير في قوله تعالى (لك، ذنبك) في جميع هذه الآيات المباركة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح/ ١- ٣] هو الوجود والموجودية الاجتماعية لنبي الإسلام، وإن مقام النبي في هذه الموجودية مقام الإرادة الحاكمة والقائدة المتنفّذة. وإن هذه الآيات المباركة دليل عظمة وخطر تشكّل نظام دينى في زمن نزول الآيات تحت مظلّة حصول مقدمات مميزة، مثل وجود شخص الرسول، ووجود الاتباع العازمين المسمّين (المؤمنون الخالصون المخلصون) أو (شيعة النبيّ) وخصوصاً بيعتهم مع النبي تحت الشجرة كما سميت ببيعة الرضوان، وبلوغ الكمّيّة والكيفية فيهما حدّ النصاب، ووحدتهم واتّحادهم مع الإرادة النبويّة. إن هذه النظرة مع الأخذ بالحسبان المعنى اللغوي والاصطلاحي للشيعة والتشيع، يتكرس ويقوى نظام هذه المجموعة في تلك الحقبة الزمنية...

لقد كان النبي قبل ذلك موظفاً بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر/ ٥٥] أن يستغفر بعنوانه الرسول الحامل للرسالة ومبلّغها ليفتح طريقاً في قلوب الناس ليتقبّلوا دعوته وتتغيّر نظرتهم إليه، وتغفر أعماله التي كانت بأعين الناس ذنباً... وبعد ذلك وكلّف صلوات الله عليه وآله بنزول الآية المباركة القائلة:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد/ ١٩]. ولهذه الغاية كلّف صلوات الله عليه وآله أن يستغفر للمؤمنين، ويبدو أنه عند نزول سورة الفتح وإعلان الانتصار والفرج، قد حان موعد استجابة استغفار النبيّ.. إذ ثمّ الاعتراف بالإسلام في جزيرة العرب بشكل رسمي. وهيّئت الأرضية لانتشار الإسلام كما لم ينتشر من قبل.. وفي جهة أخرى؛ قد وجد الدين كيانه الرصين وتحقّق نظامه الإيماني..

ويتشكل الإسلام بعنوانه مجموعة منظمة، يمكن القول إنه بعد ذلك سيتوقّع له مصير جمعي، فإذا أردنا الاستعانة بالقوانين العلمية الدالّة على الوحدة والنظام والسارية في الطبيعة. فثَمّ نماذج نجدها. وهنا نذكر نموذجاً واحداً لذلك، أي: نشير إلى الظروف المرتبطة.

فالماء الكائن في أوعية متصلة فيما بينها له من السبلان إذا ما سقطت قطرة واحدة في وعاء من الأوعية فإنها ستؤثر في كمية الماء المتوفر في سائر الأوعية. وحيث أن الإنسان مركّب من نور وظلمة، فإن الشيعة بطبيعة الحال وباعتبار الظلمة المتوفّرة في طبيعة ظرفهم المادّي (وإن كانت قليلة) فإنّ كل شيعي فيه الاستعداد والقابلية على ارتكاب المعصية على الدوام رغم جهاده النفسي في إطار سعيه إلى تحقيق الغايات المحمدية والعلوية.. وثمّ احتمال صدور الخطأ والزلل منه.. وحيث أن هدف الفرد الشيعي ـ المرضيّ من قبل النبي والإمام ـ قد امتزج بالهدف النبوي، وأوقف حياته على الرسالة المحمدية، ورغم تضحيته المتواصلة بحاله ونفسه.. صار نوع اتصال بين وعاء وجوده مع الأوعية الأخرى التي يسري الإيمان فيها جمعياً، بحيث أن أصغر ذنب يمكن أن يرتكبه الفرد الشيعي يقلّل من إيمانه ويترك أثره على جميع الشيعة وعلى الأئمة الأطهار عليهم السلام وعلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً.. ولمّا كان النبي يجسد أكبر أوعية الإيمان وأوسعها، فإنه يحمّل تبعة ذلك الذنب الصادر عن فرد من أفراد شيعته.. كما أن المغفرة والرحمة النازلة من قبل الله تعالى على الوعاء النبوي الطاهر لها تأثيرها على سائر الأوعية المتّصلة لتغشّى هي أيضاً بالمغفرة والرحمة...

إن الآيات والأحاديث الكثيرة الناطقة بوحدة واتّحاد أفراد هذه المجموعة الإيمانية الخاصّة فيما بينها وبين نبيها الأكرم تشير إلى هذه الحقيقة العظمية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات/ ١٠] وهذه الآية احدى الآيات الواردة في إيضاح وتكريس هذه المطالب الفذّة. ولقد مثّل أهل البيت عليهم السلام المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد الذي إذا اشتكى عضو واحد منها الحمّى ـ مثلاً ـ اشتكت لذلك سائر الأعضاء.. كما مثّلهم الإمام الصادق عليه السلام المؤمنين بالإخوة ضمن الأسرة الواحدة ومن أب وأم: «إنما المؤمنون إخوة، بنو أب وأم، إذا ضُرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون» (الكليني ١٣٧٥ ش.: ٢٤١). وفي رواية أُخرى مثّل المؤمنين بالجسد الواحد متصلة جميع أعضائه بروح الله، فإذا تألم عضو واحد اشترك معه سائر الأجساد في الألم: «كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى شيئاً منه؛ وجد الم ذلك في سائر جسده. وأرواحهما من روح واحدة.. وإن المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها» (الكليني ١٣٧٥ ش.: ٢٤٢). فالضرر الذي يصيب أحدهم يُعدّ ضرراً لأخيه، وكذا النفع الذي يطال أحدهم يُعدّ نفعاً لإخوانه.. وهكذا الثواب الذي يفرح له الجميع، وكذا العقاب؛ يثقل على الجميع.

قال جابر الجعفي: تقبّضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فقلت: جعلت فداك! حزنت في غير مصيبة تصيبني أو أمرٍ ينزل بي؛ حتى يعرف ذلك أَهلي في وجهي وصديقي. فقال: «نعم يا جابر، إن الله عزّوجلّ خلق المؤمن من طينة الجنان، فأجرى فيه من ريح روحه، فلذلك: المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أَصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن، وحزنت هذه لأنّها منه» (الكليني ١٣٧٥ ش.: ٢٤١).

ولهذا كان الوعد بمغفرة ذنب النبي الوارد في أول سورة الفتح ليس لذنب شخص النبي المعصوم الذي لا يصدر عنه الذنب أساساً، وإنما هو وعد بمغفرة ذنوب هذه المجموعة والجسد الديني التي كان لأفرادها دور في هذا الفتح أو الفتوحات... لا سيما وأن وجود (اللّام) في: (ليغفر) يشير إلى أن المغفرة ستتبع الفتح وذات علاقة وطيدة ومباشرة به.. وطبيعي أن الفتح لا يتحقق من دون الطاقات الإنسانية المؤمنة...

وبهذه القرائة الجديدة ـ الأصيلة في دين أهل البيت عليهم السلام ـ لآية المغفرة، يتحصّل

الخروج عن إشكال (ذنب النبي) بلا تأويل، ويكون حمل ذنوب أمة النبي الخالصة، او المعروفة بالشيعة.. واليوم ينبغي القول بأنّهم الشيعة الخالصون على الوجود المبارك للنبي محمد ﷺ ثم غفرانها، وذلك ضمن المسار المعقول والمنطقي.. وكذا قول العلامة الطباطبائي في العلاقة بين الفتح والذنب حيث اعتبره هذا الأخير إشكالاً لا ينحل، وصرح: «لكن إشكال عدم الارتباط بين الفتح والمغفرة على حاله» (الطباطبائي ١٩٧٣ م.: ٢٥٦)، فيحلّ بهذه الحيثية، لاَن الفتح صار في خط جميع المؤمنين، أي: المجموعة التوحيدية المتآلفة التي شملها الله بالمغفرة جميعاً.

وأما بخصوص محمد حسين فضل الله، فينبغي القول إنه ردّ هذا الحديث بلا أدنى تأمّل، وهي من الأحاديث القيمّة للغاية.. في الوقت الذي بين عبرها الإمام الصادق عليه السلام أحد المفاهيم القرآنية الوسيعة وذات العلاقة بالارتباط بين الفتح وجهاد المؤمنين في الحروب.

ويبقى أن تفسير الإمام الرضا عليه السلام القائم على أساس ذنب النبي من خلال رؤية المشركين، في هذه القرائة الجديدة اَمراً مقبولاً تماماً. وذلك لصدق هذا النوع من المغفرة للنبي والأُمة.

وها نحن الآن نلقي نظرةً على مطالب ونقاط مرتبطة بهذه القرائة في جميع سورة الفتح..

١- إذا ما ألقينا نظرة جديدة على مجموع آيات سورة الفتح المباركة يتبيّن جيداً أن تمحور السورة على تشكّل المجتمع الديني سينتهي الى التجلّي لمصطلحات ومفاهيم قرآنية فذّة، مثل: النصرة الإلهية: (وينصرك الله) ونزول السكينة على قلوب المؤمنين: (أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) ومضاعفة وتكريس الإيمان في المؤمنين: (ليزداد الذين آمنوا إيماناً) ومحق الذنوب؛ وهو الغفران: (ويكفّر عنهم) والتشجيع على مبايعة النبي ﷺ: (اِنّ الذين يبايعونك اِنما يبايعون الله) ثم اِقامة مراسم بيعة الرضوان تحت الشجرة: (لقد رضي الله عن المؤمنين اِذ يبايعونك تحت الشجرة) والتأكيد على دور الرجال والنساء في تحقّق الانتصار: (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) واِلزام المؤمنين

بكلمة التقوى: (وألزمهم كلمة التقوى) والتأكيد على الغاية الكبرى والنهائية من البعثة النبوية واتّساع رفعة الدين وغلبة على جميع الأديان: (ليظهره على الدين كلّه).

٢- اَن السعي المتواصل نحو الفصل بين المؤمنين والمشركين والمنافقين والمخلّفين يمنح الاستقلال ويصنع القوة للكتلة الإيمانية في هذه الآية يمثّل دلائل أُخرى على صحة هذه النظرة الجديدة. فحينما تكون الكتلة الإيمانية (جماعة المؤمنين) مستقلة، ويتم تحديد تعريف مستقل في مواجهة أنظمة الشرك وكيان النفاق، فإنه بذلك سترسم ملامح مصير المشركين والمنافقين أيضاً.. ولذا فقد وجدنا الله تعالى في هذه السورة العظيمة يحدد المصير النهائي للمؤمنين والمشركين والمنافقين وبشكل كامل، وذلك في قوله الجليل: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح / ٥]. و: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح / ٦].

٣- فى المسائل اللطيفة جداً والتي تضمّنتها هذه السورة، وجود الآية القائلة: (ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) ثم قوله تعالى مباشرةً: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر) اِن مغفرة الذنب ـ بالقراءة الجديدة ـ تتم بالحمل على تشكّل النظام الوحداني بين الأتباع الخالصين للنبي والاعتراف به، وبالنتيجة تتأتى المغفرة لجميع أفراد هذه المجموعة التوحيدية؛ ذلك بتجلّي إتمام النعمة.. وإتمام النعمة هنا توحي باتمام النعمة وإكمال الدين المذكورين في الآية الثالثة فى سورة المائدة حيث قال تعالى: (اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتَ لكم الإسلام ديناً) وبالنظر اِلى أن آية اِكمال الدين قصدت ولاية علي عليه السلام في يوم الغدير الأجلّ، فإن المعنى يتكامل مع الحديث عن هداية النبي اِلى الصراط المستقيم الوارد ذكره في سورة الفتح، حيث الإشارة اِلى جريان النبوّة في نهر الولاية العلوية وتداوم ذلك في الإمامة العلوية، واِلّا فما معنى هداية الرسول اِلى صراط مستقيم بعد سنيّ البعثة وأخريات عمره الشريف صلى الله عليه وآله؟ اِلّا في تداوم هذا الجريان التوحيدي بعد انتهاء عصر النبوة ـ أي: انتهاء مرحلة التنزيل ـ والتذكير بحياة الكيانى الإيماني بعد رحلة النبي، لتتجلّى مرحلة التأويل.

٤- الآية الأخيرة من سورة الفتح:

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح/ ٢٩].

وهذه الآية عجيبة جداً ومباركة للغاية، وهي تمضي وتؤيّد النظره الواعية للكيان النبوي ومجموعة المؤمنين المحدّدة والمنظمة.

فالآية خاطبت محمداً ﷺ على أنه رسول الله، وليس باعتباره شخصاً غير موصوف بصفة .. ثم المؤمنون بالرسالة المحمدية يرافقونه بالموقف والتصوّر.. والمعية هنا لا تشير اِلى المرافقة...

ثم تناولت الآية إحصاء أوصاف المؤمنين وخصائصهم في المقاومة والعاطفة والأخلاق والعبادة والمعنوية.. وأخيراً؛ تشبيهم بشجرة مثمرة على الدوام وتتجذّر باستمرار وتنمو أبداً.. وأخيراً تختتم الآية مسارها بالاستفادة ممّا كان من علاقة بين المغفرة الوارد ذكرها في أول السورة للنبي والمؤمنين في آخر السورة، حيث تنتهي بتناول الأجر العظيم للمؤمنين..

النتيجة

مما تقدم من قراءة جديدة في آية مغفرة الذنب المنسوب اِلى النبي.. يتأتى الخروج من إشكال تحميل ذنوب الشيعي للنبي مع حفظ حرمة العصمة للنبي العظيم، وبلا تأويل... وإن حمل ذنوب الأمة الخالصة، أو (الشيعة) على الوجود المحمدي المبارك يُعد أمراً معقولاً ومقبولاً من الناحية الأدبية والعرفية.. كما أن طبيعة العلاقة بين الفتح والذنب حيث بقيت بمثابة إشكال غير قابل للحلّ لدى العلامة الطباطبائي ومفسرين آخرين لدى حمل المغفرة على المغفرة لأُمة النبي.. ستُحل عبر هذه النظرة والقرائة الجديدة.

ومن وجهة نظر كاتب هذه الدراسة، فإن أياً أحاديث الأئمة الاطهار الخاصة بتفسير (ذنب النبي) غير مردودة، بل إنها جميعاً واضحة ويثبت كل منها صحته في موضعه. ورغم ما يبدو من تفاوت ظاهري بين تفسيري الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام، ولكن بالنظر إلى مخاطَبَيهما والحيثية الخاصّة التي نطق كلٌّ بها، وبملاحظة أُفقي البيان، فإن ذلك كلّه يعرب عن المفاهيم القرآنية الواسعة والعميقة. وهذه القراءة الجديدة يمكن أن تكون مفيدة جداً لدى تفسير وتبيين الكثير من الآيات والحقائق القرآنية الرائعة..

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

– لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

– الصواعق المحرقة لابن حجر. القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

– الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي، بيروت، مؤسسة الأعلمي.

– الاحتجاج، للطبرسي. مشهد المقدسة، مطبعة سعيد، نشر المرتضى.

– مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، بيروت، دار المعرفة.

– مقالة (تحقيق كلامى) للطيب الحسيني.

– من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الملاك.

– النوادر في جمع الأحاديث، للكاشاني، محمد بن مرتضى، طهران، مكتبة شمس.

– الوافي، للكاشاني، اصفهان، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام.

– أُصول الكافي، للكليني، طهران، انتشارات ولي العصر.

– بحار الأنوار، للمجلسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

– (مطالعات تطبيقي قرآن و حديث) فارسي ـ المقدسى محمد بشير وعلوي مهر.

٣٣
لواء الحمد
مجلة علمية تصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

جهود السّديدي الحلّي في ضبط التراث المكتوب: نهج البلاغة نموذجاً

الدكتور قاسم شهري[١] / الدكتور رضا عرب البافراني[٢]
/ سماحة الشيخ قيس بهجت العطار[٣]

الملخّص: تُعدّ الحلّة الفيحاء من المدن المشهورة في الحضارة الإسلاميّة، وقد كانت في بعض العصور مركزاً للعلم والثقافة والحضارة، وكان لعلمائها الدور الريادي في التراث العلمي الإسلامي.

ومن أهمّ جهود علماء هذه المدينة العامرة هو حفظ وضبط ونشر التراث الحديثي ـ خاصّة نهج البلاغة والصحيفة السجّاديّة وغيرهما من مصادر التراث الشيعي الإمامي ـ. ويعتبر السّديدي الحلّي من العلماء المنسيّة جهودهم في مجال النهج الشريف، فإنّ ضبطه ونَسْخَه لضبط ابن السكون الحلّي لنهج البلاغة من أهمّ وأفضل ما قُدِّمَ في هذا المضمار. تهدف هذه المقالة بمنهجها الوصفي-التحليلي إلى دراسة جهود هذا العالم في النهج الشريف وبيان ما امتاز به في ضبطه ونسخه لنهج البلاغة.

الكلمات الرئيسة: نهج البلاغة، السّديدي الحلّي، الصحيفة السجّاديّة، ابن السكون الحلّي.

١. أستاذ مساعد بجامعة المصطفى العالمية وجامعة الإمام الرضا عليه السلام / مشهد المقدسة / إيران
٢. أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية وآدابها / الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدّسة / إيران
٣. أستاذ بالجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية وجامعة المصطفى العالمية / مشهد المقدّسة / إيران

المقدّمة

لقد امتاز أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام باقتفاء آثارهم والاهتداء بمآثرهم، وذلك أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم مجمع الكمالات ومنابع الحكم وأرباب الفصاحة والبلاغة، وفي ما يخصّ البلاغة وفصاحة اللسان قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه»[1].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبته بالشام: «أيها الناس! أعطينا ستّاً، وفُضِّلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة **والفصاحة** والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين»[2].

وهكذا كلّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وإنّما اقتصرنا على ذكر كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ عمدة كلامنا سيقع حول نهج البلاغة، مع العلم بأنّا قد تناولنا البحث عن الصحيفة السجّادية في مقالة مستقلّة[3]، وعلى أيّة حال فهما ـ أي نهج البلاغة والصحيفة السجّاديّة ـ الأثران الخالدان، اللذان أعجزا الفصحاء والبلغاء، واحتويا على شتّى المعارف والعلوم، ومن هنا دأب العلماء والأدباء على العكوف على روايتهما وشرحهما وضبطهما وبيان وجوه بلاغتهما ودقائق المطالب والعلوم فيهما.

ومن أهمّ المراحل التي عُني فيها بنهج البلاغة والصحيفة السجّادية هي مرحلة أواخر القرن الخامس والقرن السادس والسابع والثامن، وخصوصاً علماء الحلة الفيحاء، حيث كانت مقرّ العلماء والفضلاء والأدباء، وقد أَسّسوا الأُسس لمن جاء من بعدهم، وممّا يُؤسف له أنّه لم تُستقص لحدّ الآن ـ حسب علمنا ـ جهود علماء الحلّة الفيحاء في نهج البلاغة والصحيفة السجّادية.

فعلى صعيد نهج البلاغة تبرز أسماء لامعة تجمع بين العلم والأدب، كالأديب الكبير علي بن محمّد بن السكون الحلّي (ت حدود ٦٠٠ أو ٦٠٦ هـ)[4]، والسيد علي بن طاوس الحسني الحلّي (ت ٦٦٤ هـ)[5]، وعلي ابن أحمد السديدي الحلي (ت ٦٨٨ هـ)[6]، والعلّامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)[7]، وأحمد بن محمّد بن إسماعيل الحدّاد البجلي الحلي (كان حيّاً ٧٢٨ هـ)[8]، وعبدالرحمن بن العتائقي (نحو ٧٩٠ هـ)[9]، وغيرهم.

وعلى صعيد الصحيفة السجّادية نجد نفس الجهود الحثيثة من العلماء الأدباء، كابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ)، وابن السكون الحلي، وعميد الرؤساء هبة الله بن حامد الحلي (ت ٦٠٩ هـ)، وعلي بن طاوس الحسني الحلّي، والسديدي الحلّي، والعلّامة الحلي، وغيرهم.

وإذا كانت جهودهم في الصحيفة السجّادية قد عُني بها، فإنّ جهودهم في نهج البلاغة لم يُعتَنَ بها كما ينبغي.

وعلى كلّ حال؛ فإنّ رواية النهج والصحيفة في هذه المرحلة صارت أساساً لمن أتى من بعدهم من العلماء الأدباء، في رواية وضبط وتصحيح هذين الكتابين الشريفين.

حياة السّديدي الحلّي

ممّا يؤسف له أنّنا لم نقف على تفاصيل حياة السديدي، وذلك لأنّ كتب التراجم خالية من ذلك، والذي حصلنا عليه من كتب التراجم والفهارس هو جهوده العلمية فقط، وخصوصاً جهوده في ضبط ونسخ الصحيفة السجّاديّة والنهاية للشيخ الطوسي، وكلاهما عن نسخة وضبط ابن السكون الحلّي، ولم يذكر أحدٌ جهوده في نهج البلاغة، مع أنّ ضبطه وتصحيحه ومقابلته لنسخة النهج مع نسخة ابن السكون الحلّي تدلّ بما لا يقبل الشكّ على طول باعه وسعة اطّلاعه.

هو سديد الدين علي بن أحمد الحلّي، ويلقّب بـ«السديد» أو «السديدي»، ولم نقف على كنيته ولا على أساتذته ولا تلامذته.

ولكن سيأتي أنّ السديدي الحلّي كتب ونَسَخَ كتاب النهاية للشيخ الطوسي من نسخة ابن السكون الحلّي، وإذا ضممنا هذه القرينة إلى ما ذكره الحسيني ـ من وقوفه على نسخة من النهاية قرأها الشيخ سديد الدين أبو الحسن ابن أحمد على المحقّق الحلّي ـ مِلْنا إلى ما احتمله من كونه هو علي بن أحمد السديد[١٠]، وإذا صَحَّ هذا الاحتمال تكون قد وقفنا على كنية السديدي، وعلى واحدٍ من أساتذته وهو من أعاظم علماء عصره، ألا وهو المحقّق الحلّي.

بل نكون قد وقفنا أيضاً على عظمة السديدي ومنزلته العلميّة، إذ وصفه المحقّق الحلّي في إجازته بقوله: «قرأ الشيخ الفقيه العالم الصالح ... قراءة تشهد بفضله وتؤذن برياسته ونبله، وتدلّ على فهمه وتحقيقه وعلمه وتدقيقه، وسألني في غضون قراءته عمّا أبهم من مسائله وأظلم من مشاكله، فأجبته بما أُعَوِّل عليه مومياً إلى دلائله موضحاً لحاصله، فأخذ ذلك ضابطاً لما يُلقى إليه حافظاً لما يورد عليه ...»[١١].

ويؤيّد ما ذكرناه، وصفه بـ«الشيخ الفاضل» في إجازة الحفيد المجلسي؛ حيث قال: وهونقَله (أي الشهيد) من خطّ السديدي ـ وهو الشيخ الفاضل عليّ بن أحمد السديدي ـ[١٢].

وما يبيّن فضله ودقّته وطول باعه ما نجده في نسخته من نهج البلاغة التي قابلها على نسخة ابن السكون الحلّي، فهي نسخة في غاية الصحّة والدقّة، ومقابلتُها تدلّ على تضلّعه من الآداب عموماً ومعارف نهج البلاغة على وجه الخصوص، ولذلك وصف هو نسخته هذه بقوله: «وهذه النسخة نقلتها أيضاً بخطّي مجتهداً في نقلها ومقابلتها بالنسخة المُشار إليها»، وهذه الدقّة والفضيلة العلميّة تؤيّد كون سديد الدين أبي الحسن بن أحمد هو نفسه سديد الدين علي بن أحمد الحلّي.

ويبقى الجزم والقطع بهذا الأمر موقوفاً على ما قد تكشفه الأيّام في ذلك.

وأمّا وفاته؛ فلم يكن أحدٌ يعلمها بالضبط، إذ آخر ما وُقف عليه من حياته هو ٣ ربيع الثاني سنة ٦٦٣ هـ، فإنّ في هذا التاريخ فرغ السديدي الحلّي من مقابلة النهاية للشيخ الطوسي مع نسخة كتبها علي بن السكون الحلّي[١٣]، لكنّ نسخة مكتبة آية الله البروجردي في قم، المحفوظة برقم ١٥٧، المنقولة من خطّ الشيخ الحسن بن يحيى بن كرم[١٤]، حيث تمّ استنساخها في شهر رمضان سنة ٦٤٧ هـ. وقد قابل السديدي الحلّي هذه النسخة وصحّحها من نسخة نقلها من خطّ ابن السكون الحلّي في سنة ٦٨٤ هـ، حيث كتب في هامش الصفحة الأخيرة من النهج: بلغ مقابلةً وتصحيحاً من نسخة نقلتها من خطّ علي بن محمّد بن السكون، وقابلتها بها بحسب ما بلغ إليه جهدي وطاقتي، فصحّت إلّا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وهذه النسخة نقلتها أيضاً بخطّي مجتهداً في نقلها ومقابلتها بالنسخة المُشار إليها، في مجالس آخرها الثلاثاء

سادس عشر شـ[هر] شوّال من سنة أربع وثمانين وستّمائة (٦٨٤ هـ). كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربّه وغفرانه علي بن أحمد، حامداً مصلّياً مستغفراً.

وهذه من الفوائد التي لم يوقف عليها إلى اليوم في تحديد تاريخ حياة السديدي الحلّي، إذ هنا ترتقي بنا هذه النسخة إلى كونه كان حيّاً في ١٦ شوّال سنة ٦٨٤ هـ، لكنّ الميزة الأهمّ هي أنّ تاريخ وفاته حُدِّدَ بالضبط فيما كتب على الصفحة الأولى من هذه النسخة، حيث كُتب: توفّي كاتبه قدّس الله روحه أواخر ليلة الأحد سابع عشر المحرّم سنة ثمان وثمانين وستّمائة (٦٨٨ هـ).

جهود السديدي الحلّي في ضبط نُسَخِ ابن السكون الحلّي (الصحيفة السجادية والنهاية)

بعض كتب التراجم والفهارس أشارت إلى جهود السديدي الحلّي في ضبط ونسخ الصحيفة السجّاديّة والنهاية للشيخ الطوسي عن نسخة وضبط ابن السكون الحلّي.

فأمّا جهوده في الصحيفة السجّاديّة عن نسخة وضبط ابن السكون الحلّي:

ففي صورة ما كان في آخر صحيفة الشيخ شمس الدين محمد بن علي الجبعي جدّ شيخ البهائي قدّس سرّه بخطه: نقلت هذه الصحيفة من خط الشيخ العالم السعيد الشهيد محمد بن مكي رحمه الله وعليها بخطه: ونقلت هذه الصحيفة من خط **علي بن أحمد السديد**، وفرغت في حادي عشر شعبان سنة اثنين وسبعين وسبعمائة ...

وعلى نسخة **علي بن أحمد السديد** ما صورته: نقلت هذه الصحيفة من خط علي بن السكون وتتبع إعرابها عن أقصاه حسب الجهد إلا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وستمائة...

وأيضاً بخطه: وعلى نسخة **علي بن أحمد السديد** ما صورته: بلغت مقابلة وتصحيحاً بالنسخة المنقول منها فصحت بحسب الجهد إلا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ولله الحمد والمنة.

وأيضاً بخطه: وعليها أيضاً أعني على نسخة **علي بن أحمد السديد**: بلغت مقابلة مرة

ثانية بخط السعيد محمد بن إدريس بحسب ما وصل إليه الجهد ولله الحمد، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة أربع وخمسين وستمائة...

وأيضاً كتب في هامشه كذا بخط **ابن السديد** (الورقة التي في أوّل الكتاب): وأبحته روايتها عني حسبما وقفته عليه وحددته له، وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة[١٥].

وقال محمّد تقي المجلسي: «إنّي كنت في أوائل البلوغ أو قبله طالباً للقرب إلى الله بالتضرّع والابتهال، فرأيت في الرؤيا صاحب الزمان وخليفة الرحمان صلوات الله عليه، وسألت عنه مسائل أشكلت علي، ثمّ قلت: يا ابن رسول الله ما يتيسر لي ملازمتكم دائماً أريد أن تعطيني كتاباً أعمل عليه، فأعطاني صحيفة عتيقة. فلمّا انتبهت وجدت تلك الصحيفة فيكتب وقف المرحوم المبرور آقا غدير، فأخذت وقرأتها على الشيخ بهاء الدين محمّد، وكتبت صحيفتي من تلك الصحيفة وقابلتها مراراً مع النسخة التي كتبها الشيخ شمس الدين محمّد صاحب الكرامات جدّ أبي شيخنا بهاء الدين محمّد، وقال: كتبت تلك الصحيفة من نسخة بخط الشهيد رضي الله عنه، وقال: كتبتها من نسخة بخطّ **السديدي** رحمه الله، وقال: كتبتها من نسخة بخطّ علي بن السكون وقابلتها مع النسخة التي كانت بخط عميد الرؤساء ومع النسخة كانت بخط ابن إدريس[١٦].

وأشار أيضاً إلى سنده للصحيفة السجّادية عن طريق الوجادة: ... أنّي وجدت النسخة التي بخطّ الشيخ السديد محمد بن علي بن الحسن الجباعي جدّ الشيخ البهائي، وقد نقلها من خطّ الشيخ العلامة الشهيد محمد بن مكي، وهو نقلها من خط **علي بن أحمد السديدي**، وهو نقله من خط علي بن السكون، **والسديدي** عرضها على النسخة التي بخط السعيد محمد بن إدريس رحمه الله[١٧].

وقد جاء في إجازة محمّد تقي المجلسي للمولى محمد صادق الكرباسي الأصفهاني: ... بلغ المولى الجليل والفاضل النبيل جامع المعقول والمنقول حاوي الفروع والأصول، مولانا محمّد صادق أدام الله تعالى تأييداته بقراءتي عليه في مجالس، وأجزت له أن يروي عني زبور آل محمد وإنجيل أهل البيت والدعاء الكامل والصحيفة الكاملة بأسانيدي

المتواترة إلى السيد الأجل وشيخ الطائفة أعلاها مناولة عن خليفة الرحمان في الرؤيا التي ظهرت حقيقتها بانتشار الصحيفة في الآفاق بعد ما صارت مهجورة، ثم المناولة عن شيخنا وشيخ الكلّ بهاء الملة والحق والدين محمّد العاملي نسخته التي كتبها جده المعظم البدل شمس الدين محمد صاحب الكرامات، عن خطّ الشهيد السعيد محمد بن مكي، المنقولة عن خط **السديدي**، المنقولة عن خطّ علي بن السكون المقابلة مع نسخة العلامة محمد بن إدريس الحلي ثم بالقراءة والسماع مكرراً...[١٨].

وفي إجازة السيّد عبد الباقي للسيّد السند النجفي (من أحفاد المجلسي): نقل: إنّه رواها السيّد الأجلّ فخّار بن معدّ الموسوي عن ابن إدريس، وأنّ **السديدي** قابَلَ النُّسخة المشهورة مع نسخة ابن إدريس، وكتب مواضع الاختلاف في هوامش الأوراق، وكتب عليها حرف «س» علامةً لابن إدريس، ثمّ بعد ذلك عرض الشهيد أيضاً النسخة المشهورة على نسخة ابن إدريس فوجدها موافقة لعرض **السديدي** إلّا في مواضعَ، فتعرّض لها، وكتبها في الهوامش مقرونةً بحرف «سين» ليتميّز عن عرض **السديدي**.

ثمّ المولى التقيّ المجلسي قد ظفر بصحيفة ابن إدريس بخطّه، وعرَض الصحيفة المشهورة عليها، وظفر ببعض مواضع الاختلاف أيضاً وكتبها في الهوامش، وأدار عليها حلقة لتمتاز عمّا فعله الشيخان المتقدّمان ـ يعني **السديدي** والشهيد ـ ثمّ قابلها مع بعض الصحائف غير المشهورة، كصحيفة ابن شاذان، وابن أشناس البزّاز. قال: وأصل هذه النسخة مأخوذ من نسخة كتبها والده العلاّمة المولى محمّد تقيّ ـ طاب ثراه ـ بخطّه الشريف، وهي مأخوذة من النسخة البهائيّة التي هي بخطّ جدّ شيخنا البهائي، صاحب الكرامات والمقامات الشيخ محمّد الجباعي قدّس سره، وكتب في آخرها أنّه نقلها من خطّ الشهيد، وهو نقَله من خطّ **السديدي** ـ وهو الشيخ الفاضل **عليّ بن أحمد السديدي** ـ وهو نقله من خطّ عليّ بن السكون...[١٩].

ووصف الآغا بزرك جهود **السديدي الحلّي** بضبط ابن السكون الحلّي على الصحيفة بقوله: كتب [أي **علي بن أحمد السديد**] لنفسه نسخة من الصحيفة السجّاديّة عن نسخة بخطّ أبي الحسن علي بن محمّد بن السكون الحلّي المتوفّى حدود ٦٠٦ هـ، وفرغ .. من

كتابة النسخة ومقابلتها في ٦٤٣ هـ ثمّ قابلها ثانياً مع نسخة بخطّ ابن إدريس في ٦٥٤ هـ، ثمّ حصلت نسخة صاحب الترجمة هذه عند الشهيد الأوّل، فكتب عنها نسختين إحداهما في ٧٧٢ هـ والأخرى في ٧٧٦ هـ، ثمّ كتب شمس الدين محمّد الجبعي جد بهاء الذين محمّد العاملي نسخته عن النسخة الأولى للشهيد ثمّ قابلها مع النسخة الثانية له أيضاً[٢٠]. وهو وصف السديدي الحلّي بـ(الذي كتب أقدم نسخة الصحيفة السجادية)[٢١].

وأمّا جهوده في كتاب النهاية للشيخ الطوسي عن نسخة وضبط ابن السكون الحلّي:

فممّا تقدّم من كلام السيّد الحسيني في إجازة المحقّق الحلّي **لسديد الدين أبو الحسن بن أحمد**[٢٢]، وأيضاً كلامه: قابل نسخة من كتاب النهاية للشيخ الطوسي على نسخة ابن إدريس ونقل حواشيه عليه، وأتم مقابلته سنة ٦٦٣هـ[٢٣]، يحصل لنا أنّ **علي بن أحمد السديد** قابل النهاية في ٣ ربيع الثاني سنة ٦٦٣هـ مع نسخة كان كتبها علي بن سكون، وقابلها ابن إدريس سنة ٥٩٨هـ مع نسخة خط المؤلف، وعلى هذه النسخة إجازة أبي البركات نصربن محمد تاريخها ٣ صفر٧٢٦ هـ، وهذه النسخة نسخة النهاية للدكتور مهدوي بخط أبي الفرج مسعود، تاريخها ١٨ جمادى الأولى سنة ٥٤٦ هـ[٢٤].

إذن فيحصل لنا أنّ جهود **السديدي الحلّي** حول النهاية ـ حسب تتبّعنا وعلمنا ـ ثلاث موارد: قابل النهاية مرّتين: مقابلة مع نسخة ابن إدريس التي كان كاتبها علي ابن سكون، ونسخة بخط أبي الفرج مسعود[٢٥]، وقراءته النهاية على المحقّق الحلّي[٢٦].

جهود السديدي الحلّي في ضبط نَسْخِ النهج الشريف

إنّ الحاصل من كتب التراجم والفهارس أنّ ما أشير إليه من جهود **السديدي الحلّي**، جهوده في الصحيفة السجّادية والنهاية على نُسَخ وضبط علي بن السكون الحلّي، أمّا جهوده في مجال النهج الشريف ـ ممّا يؤسف له ـ لم يشر إليه أحدٌ من علماء الفهارس والتراجم.

ففي نسخة نهج البلاغة الموجودة في مكتبة آية الله البروجردي في قم، المنقولة

من خطّ الشيخ الحسن بن يحيى ابن كرم، حيث تمّ استنساخها في شهر رمضان سنة ٦٤٧ هـ، وقد قابل **السديدي الحلّي** هذه النسخة وصحّحها من نسخة نقلها من خطّ ابن السكون الحلّي، حيث كتب في هامش الصفحة الأخيرة من النهج: بلغ مقابلةً وتصحيحاً من نسخة نقلتها من خطّ علي بن محمّد بن السكون، وقابلتها بها بحسب ما بلغ إليه جهدي وطاقتي، فصحّت إلّا ما زاغ عنه النظر وحسر عنه البصر، وهذه النسخة نقلتها أيضاً بخطّي مجتهداً في نقلها ومقابلتها بالنسخة المُشار إليها، في مجالس آخرها الثلاثاء سادس عشر شهر شوّال من سنة أربع وثمانين وستّمائة (٦٨٤ هـ). كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربّه وغفرانه علي بن أحمد، حامداً مصلّياً مستغفراً.

إذن هذه النسخة ونسخة ابن السكون الحلّي[٢٧] كلاهما بخطّ **السديدي الحلّي**، وقد قابل هذه النسخة بنسخة ابن السكون الحلّي، وأنهى المقابلة سنة ٦٨٤ هـ، إذن فاعتمادنا في هذه المقالة يكون على ثلاث نسخ: نسخة ابن كرم (مكتبة البروجردي) و إسطنبول ونسخة ابن الحداد البجلي.

منهج السّديدي الحلّي في ضبط نهج البلاغة على نسخة ابن السكون الحلّي

إنّ من الغريب أنّ من ترجموا **السديدي الحلّي** لم يذكروا جهوده في نهج البلاغة استنساخاً وضبطاً إلى جانب ما ذكروه من جهوده في الصحيفة السجّاديّة والنهاية للشيخ الطوسي، كما أنّهم لم يذكروا جهود ابن السكون الحلّي في نهج البلاغة، إلى جانب ما ذكروه من جهوده في الصحيفة السجّاديّة، ومصباح المتهجّد الكبير والصغير وسائر الكتب والمصادر. ولعلّ هذا الأمر هو الذي ساهَمَ في فقدان نسخ النهج التي بخطّ ابن السكون، فلم نعثر إلى اليوم إلّا على أربع نسخ من النهج مقابلة مع خطّه مباشرة أو بواسطة. فإنّ هذه النسخ الأربع اثنتان منها مقابلتان على نسخة ابن السكون، وهما نسختا ابن كرم ونسخة إسطنبول. والنسخة الثالثة هي نسخة ابن الحدّاد البجلي المقابلة على نسخة بخطّ ابن السكون، والنسخة الرابعة هي نسخة الرُّبّان[٢٨]، المكتوبة من نسخة بخطّ شمس الدين محمّد ابن خزعل، الذي كتبها لنفسه من نسختين إحداهما قوبلت بنسخة بخطّ ابن السكون. وهذه النسخة لم يتميّز فيها ضبط ابن السكون بخصوصه.

واعلم أنّ اختلافات نسخ النهج الشريف تنقسم إلى عدّة أقسام مهمّة، وهي:

١- ما كان غلطاً قطعيّاً من النسّاخ، وهو قليلٌ جدّاً.

٢-الاختلاف بالتقديم والتأخير، كما في الخطبة ٣: «أزهد عندي» «عندي أزهد»، وفي الخطبة ١٦: «ومقصّر في النار هوى» «ومقصّر هوى في النار».

٣- الاختلاف في حروف العطف وعدمها، ووجود حرف بدل حرف، كما في الخطبة ١٦: «لا يهلك على التقوى» «ولا يهلك على التقوى»، وكما في الخطبة ٢: «فانهارت دعائمه» «وانهارت دعائمه».

٤- الاختلاف من حيث التذكير والتأنيث في الأفعال المضارعة، كما في الخطبة ١: «رسل لا تقصّر بهم» «رسل لا يقصّر بهم»، والخطبة ٢٣: «ويُغْرى» «وتُغْرى».

٥- الاختلاف في حروف الجرّ، فإنّ بعضها يقوم مقام بعض، كما في الخطبة ٢٦: «فضننت بهم عن الموت» «فضننت بهم على الموت»، والخطبة ٥٢: «وهداه إيّاكم للإيمان» «وهداه إياكم إلى الإيمان».

٦- الاختلافات التي ربّما تكون غير مقصودة للأدباء والكُتّاب، كما في رسم الكلمة اليائيّة الواويّة، كما في الخطبة ٣: «محلّ القطب من الرحى» «محلّ القطب من الرحا». وفي ضبط الكلام عند الوقف والوصل، كما في الخطبة ١٥٣: «واستخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبراً». وبالهمز والتسهيل، كما في الخطبة ١: «وأعصف مجراها وأبعد منشَاها»، والإدغام وعدمه، مثل «ألّا» و «أن لا» في جميع موارد الكتاب.

٧- اختلاف الأفعال بالتضعيف وعدمه، كما في الخطبة ١: «ووتد بالصخور» «ووتّد بالصخور»، «وغرز غرائزها» «وغرّز غرائزها».

٨-الاختلاف في ضبط عين الأفعال الماضية، كما في الخطبة ١٤: «سَفِهَتْ حلومكم» «سَفُهَتْ حلومكم»، والخطبة ٥٢: «وكَدِرَ منها» «وكَدَرَ منها» «وكَدُرَ منها».

٩- الاختلاف في ضبط عين الأفعال المضارعة، كما في الخطبة ٣: «يَخْضَمون مال الله» «يَخْضِمون مال الله»، والخطبة ١٠: «لا يَصْدُرون» «لا يَصْدِرون».

١٠- الاختلاف بالبناء للمجهول والمعلوم، كما في الخطبة ٤: «وَقِرَ سمعٌ» «وُقِرَ سمعٌ».

١١- الاختلاف بالماضي والمضارع، كما في الخطبة ٢٣: «وقد يجمعهما الله» «وقد جمعهما الله»، والحكمة ٣٩: «يَرْحَم الله خبّاباً» «رَحِمَ الله خبّاباً».

١٢- الاختلاف باللزوم والتعدية، كما في الخطبة ٣: «ويَكْثُرُ العِثارُ فيها والاعتذارُ منها» «ويُكْثِرُ العِثارَ فيها والاعتذارَ منها»، وفي الكتاب ٥٣: «حتّى تَكْثُر همومُك» «حتّى تُكْثِر همومَك».

١٣- تعدّي الفعل بنفسه وبحرف الجرّ، كما في الخطبة ٥١: «ومنعوهم الماء» «ومنعوهم من الماء»، والخطبة ٧٨: «وتُخَوِّفُ الساعةَ» «وتُخَوِّفُ من الساعة».

١٤- الاختلاف بالتعدية إلى مفعول أو مفعولين، كما في الخطبة ١: «وألْزَمَ أشْباحَها» «وألزَمَها أشباحَها».

١٥- الاختلاف في الثلاثي المجرّد والمزيد، كما في الخطبة ١: «ولَأَمَ بين مختلفاتها» «ولائَمَ بين مختلفاتها»، والخطبة ٣٢: «أو منبر يَفْرَعُه» «أو منبر يَفْتَرِعُه».

١٦- الاختلاف في ضبط الكلمات لغويّاً دون تبدّل المعنى، كما في الخطبة ١: «البَلَّة» «البِلَّة»، والخطبة ٢: «حقّ الوِلاية» «حقّ الوَلاية». وهذا النوع من الاختلاف كثير جدّاً.

١٧- الاختلاف في ضبط الكلمات لغويّاً مع تبدّل المعنى، كما في الخطبة ١: «مَيْدانَ أرضه» «مَيَدانَ أرضه»، فالمَيْدان هو المحلّ والمكان، والمَيَدان هو التحرّك. والخطبة ٢٦: «وصبرتُ على أخذ الكَظْم» «وصبرتُ على أخذ الكَظَم»، والكَظْم: اجتراع الغيظ، والكَظَم: مخرج النَّفَس. والخطبة ٨٢: «غُرُور حائلٌ» «غَرُور حائلٌ»، والغُرور: ما يُغْتَرُّ به من متاع الدنيا، والغَرور: الشيطان.

١٨- الاختلاف بالإفراد والجمع، كما في الخطبة ٢: «هم أساس الدين» «هم آساس الدين»، والخطبة ٨٢: «سُدَف الرَّيْب» «سُدَف الرِّيَب».

١٩- الاختلاف بالجموع، كما في الخطبة ١٤: «سفهت حلومكم» «سفهت أحلامكم».

٢٠- الاختلافات الناتجة عن تعدّد وجوه الإعراب، واختلاف مدارس النحو، كما في الخطبة ١: «إذ لا منظورَ إليه» «إذ لا منظورٌ إليه»، والخطبة ٨٥: «وإنّ أغشّهم لنفسه

أعصاهم لربّه، والمغبونُ [والمغبونَ] من غَبَنَ نفسه، والمغبوطُ [والمغبوطَ] من سلم دينه، والسعيدُ [والسعيدَ] من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ [والشقيَّ] من انخدع لهواه وغروره».

٢١- الاختلاف في رسم الكلمات المتقاربة الرسم، خصوصاً في النقط، كما في الخطبة ١: «واجتالتهم» «واحتالتهم»، «واختالتهم» «واختبلتهم» «واختتلتهم» «واغتالتهم».

٢٢- الاختلاف في الكلمات غير المتقاربة في الرسم، كما في الخطبة ٣: «وقَسَطَ آخرون» «وفَسَقَ آخرون»، والخطبة ١٦: «لما بويع بالمدينة» «لما بويع بالكوفة»، والخطبة ٢٢: «ويُحيون بدعة» «ويُحيون فتنة».

٢٣- الاختلاف بزيادة المتن ونقصه، كما في الخطبة ١: «يفرق بها بين الأذواق» «يفرق بها بين الحقّ والباطل والأذواق»، والخطبة ١٩٢: «ما يُعرف له سبب ولا علّة» «ما يُعرف له سبب ولا مَسَّ يدَ علّة».

وهناك اختلافات أخرى لوجوه واعتبارات أخرى، لكن ما ذكرناه هو عمدة الاختلافات.

تعدّد ضبوط ابن السكون

ممّا يلفت النظر أنّ كلّ نسخة تدّعي ضبط ابن السكون بشكل يغاير ما في الأخرى، فنسخة إسطنبول قد توافق أحياناً نسخة ابن كرم في ضبط ابن السكون وقد تخالفها. وللتأكّد راجعنا نسخة ابن الحدّاد البجلي الحلّي فرأيناها توافق نسخة ابن كرم تارة، وتوافق نسخة إسطنبول تارة أخرى، وقد تخالفهما معاً أو توافق إحداهما وتخالف الأخرى. غير أنّ الحصيلة النهائيّة أوصلتنا إلى أنّ نسختي ابن كرم وابن الحدّاد أكثر توافقاً في ضبط ابن السكون.

وهاهنا احتمالات ثلاثة:

الأوّل: أنّ ابن السكون كتب بعض النسخ من النهج وضبطها، ثمّ إنّه بمرور الزمان وقف على ضبوط أخرى فكتبها في نسخته الأخرى من النهج.

الثاني: أنّ ابن السكون لم يلتزم برواية واحدة للنهج، بل كان يستنسخ ويضبط النسخ،

وقد عُرف بجودة الخطّ والضبط، فما وُجِد بخطّه لا يُمثِّل بالضرورة وجهة نظره، بل هو ضبط النسخة التي استنسخها.

ويؤيّد هذا الوجه أنّنا لم نقف له على سند متّصل إلى النهج الشريف. كما ربّما يؤيّد هذا الاحتمال وصف ابن السكون بـ«الكاتب». ففي آخر نسخة ابن الحدّاد البجلي الحلّي: تمّ الكتاب ... من نسخة بخطّ علي بن محمّد بن السَّكُون الكاتب.

وقال ابن النجّار: أبو الحسن بن أبي طالب الكاتب... وكان بليغاً شاعراً مجيداً ... سافر إلى مدينة النبي ﷺ وأقام بها، وصار كاتباً لأميرها[٢٩].

هذا، ولكنّ كونه كاتباً وناسخاً لا يمنع من كونه ضابطاً ومطّلعاً على نسخ النهج، إذ هو ليس محضَ كاتبٍ، بل هو من فقهاء الطائفة، وكان يدرّس الفقه، كما أنّه من أعيان أدباء عصره. فكتابته ونسخه ليسا بمعنى مهنة الكتابة والاستنساخ بحيث ليس له أيّ رأي في الكتاب المستنسخ، بل هو صاحب رأي وضبط وفقه ونظر وأدب ينعكس على ما يكتبه ويستنسخه.

الثالث: أنّ ابن السكون كان يدرّس النهج ويدقّق وجوهه الإعرابيّة واللغوية والصرفية والبلاغية، فكان يُعمل نظره في ذلك، فيُدوّن كلّ ما يستجدّ عنده من وجوهٍ، مضافاً إلى ما يقف عليه من روايات. وهذا منهج العلماء حيث إنّهم مضافاً إلى ما وعوه من الرواية، كانوا يُعملون نظرهم ويثبتونه في الهوامش.

ومن أمثلة ذلك ما في آخر الكتاب ٤٥، وهو قوله عليه السلام: «أين القرون الذين غَرَرْتِهِمْ بمداعيكِ؟ أين الأمم الذين فَتَنْتِهِمْ بزخارفك؟ ... لأقمتُ عليكِ حدودَ الله في عبادٍ غَرَرْتِهِمْ بالأماني، وأُممٍ أَلْقَيْتِهِمْ في المَهاوي، وملوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إلى التلف، وأَوْرَدْتِهِمْ موارِدَ البلاء؟» وهنا في نسخة بدل من نسخة ابن السكون ـ التي قوبلت عليها نسخة ابن كرم ـ وردت هذه الأفعال كلّها مع الياء: «غررتيهم»، «فتنتيهم»، ... إلخ. لكنّ هذه لغة لبعض العرب وليست هي اللغة المشهورة، لذلك أُثبتت الأفعال في المتن بدون ياء، وذكرت في الهامش مع الياء باعتبارها نسخة بدل.

والذي نميل إليه هو الاحتمال الثالث، لأنّ ذلك هو المتعارف في كتب غريب القرآن والحديث والدعاء والأدب، فإنّ الأديب يُعمل نظره ويحقّق ويدقّق ويوازن لبيان الوجوه وما يحتمله الكلام، ثمّ إنّه ربّما يرجّح بعض الوجوه وربّما لم يرجّح.

ويعضد ما قلناه: إنّ ابن السكون كان يصحّح الكتب بعد التدقيق والفهم، وله ضبط اختلافات الصحيفة السجاديّة واختلافات نسخ المصباح الكبير والصغير[٣٠].

نضيف إلى ذلك أنّه كان يُقرئ الصحيفة السجّاديّة ويضبطها ويحرّر ألفاظها، ففي إجازته للشيخ شمس الدين الحارثي اللويزي الجبعي العاملي: وبعد، فقد قرأ عَلَيّ هذه الصحيفة الكاملة المولى الأعظم، الفاضل المكرّم، ... قراءة مهذّبة مرضيّة محرزّة ألفاظها، مبيّنة معانيها بنُسخها المنقولة[٣١].

وكيفما كان، وأيّ الاحتمالات الثلاثة اخترت، فإنّ جميع ضبوطه من النمط الأعلى من الصحّة والبلاغة، ولها وجه وجيه صحيح، وذلك ما يفيد في تعدّد وجوه البلاغة في متن نهج البلاغة الشريف، كيف لا؟ والقائل إمام البلاغة والجامع أشعر الطالبيّين، والضابط من كبار أدباء عصره وزمانه.

فوائد مهمّة

بعد أن عرضنا لك سابقاً أقسام اختلافات نسخ النهج الشريف المتعدّدة، نعرض ما تيقّنّا ـ بناء على ضبط **السديدي الحلّي** والآخرين ـ أنّه من منهج ابن السكون في ضبطه لنهج البلاغة:

١. نسخة ابن كرم كتبت بإسكان الهاء في مثل «وَهْوَ» «فَهْوَ» «وَهْيَ» «فَهْيَ» عدا موارد نادرة. وكذلك ضبطت بالسكون في نسخة ابن الحدّاد البجلي ممّا يدلّ على أنّ ذلك ضبط ابن السكون.

وأمّا نسخة إسطنبول فتارة وردت الهاء فيها بالسكون، وتارة بالتحريك، وتارة دون حركة، لكنّ أغلب مواردها كتبت بالسكون، وهذا يدلّ على منهج ابن السكون هنا، غير أنّ كاتب نسخة إسطنبول لم يكن من الطراز الأوّل من الأدباء، فلم يتنبّه لذلك.

٢.إنّ كلمة «الشام» فيها عند العرب عدّة لغات: «الشَّأْم» و«الشَّأَم» و«الشَّام» و«الشَّآم». والذي في نسخة ابن كرم ونسخة إسطنبول لغة الهمز والسكون «الشَأْم»، وكذلك هي في نسخة ابن الحدّاد البجلي.

٣.قوله عليه السلام: «وايمُ الله»، ورد في نسخة ابن كرم بهمزة الوصل «وايم الله»، وورد في نسخة إسطنبول بالهمزة المكسورة «وإِيمُ الله» في الأعمّ الأغلب، وربّما وردت قليلاً مهملةً دون همزة ودون وصل.

٤.إنّ منهج ابن كرم ـ ونسخة ابن الحدّاد وبالتبع لها ضبط ابن السكون ـ كسر الحرف الأوّل الساكن ـ خصوصاً الميم باعتبار كثرتها في موارد النهج ـ عند التقاء الساكِنَيْن، وذلك كما في الخطبة ٢: «وفيهِمِ الوصيّة»، والخطبة ٧: «فرَكِبَ بهِمِ الزَّلَلَ»، والخطبة ١٢: «سَيَرْعَفُ بهِمِ الزّمانُ ويقوى بهِمِ الإيمانُ»، والحكمة ٤٤٧: «بأيديهِمِ السياط وألسنتِهِمِ السلاط»، مع أنّ الرأي السائد هو ضمّها بناءً على أنّ هذه الميم مضمومة في الأصل فتعود إلى أصلها، والكسر جائز هنا بناءً على الإتْباع عند التقاء الساكنين. والحرف الساكن الأوّل في نسخة إسطنبول دون حركة في الأعمّ الأغلب.

٥.ومثل المورد السابق ضبط الكلام عند الوقف والوصل، كما في الخطبة ١٥٣ من قوله٧: «واستخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبراً»، فالميم من «غفلتهم» لك أن تسكّنها إن وقفت، ولك أن تضمّها أو تكسرها إن وصلت الكلام. وهنا منهج ابن السكون هو كسر الميم عند الوصل.

وكذلك قوله: «استقبلوا»، لك أن تصله مع ما قبله ولك أن تقطعه عنه باعتباره بداية فقرة كلاميّة جديدة.

لكن ربّما لم توضع حركة الميم في نسخة ابن الحدّاد البجلي ـ رغم دقّتها ـ ولا في نسخة إسطنبول، وكذلك لم توضع همزة وصل أو قطع قولِهِ «استقبلوا» وذلك لتساهلهم في هذه الموارد لأنّها منوطة بكيفيّة الكلام.

٦.إنّ منهج ابن السكون في مورد التقاء الواو الساكنة مع ساكن بعدها ـ مثل قوله عليه السلام

في الحكمة ١٢١: «تَوَقَوا البرد»، وقوله عليه السلام في الحكمة ٤٤٧: «هم والله رَبَّوا الإسلام» ـ هو ضمّ الواو «تَوَقَوُا البرد» و«رَبَّوُا الإسلام»، وهي الوجه الصحيح، ويجوز كسر الواو على وجه ضعيف.

وقد اتفقت نسختا ابن كرم وابن الحدّاد البجلي على هذا الضبط عند ابن السكون، لكن الواو وردت في نسخة إسطنبول دون ضبط، وهذا لضعف ضبط كاتب النسخة.

٧ـ إنّ كثيراً من مباني وضبوط ابن السكون يُوافقها ما في نسخة مكتبة آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني المحفوظة برقم ٥٢٠٦٥ برواية كمال الدين الحسيني ـ من النسخ الأربع التي حقّقها الشيخ العطّار[٣٢] ـ فأغلب الظنّ ـ بل المطمئنّ به ـ أنّ كمال الدين الحسيني كان ناظراً إلى ضبوط ابن السكون ومبانيه.

الهوامش

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٣.

٢. مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي ٢: ٧٦.

٣. لمزيد الاطلاع حول جهود العلماء والأدباء في الصحيفة السجّادية انظر مقالة: «جهود الأدباء في الصحيفة السجّادية»، للشيخ قيس العطّار وقاسم شهري في كتاب أربع مقالات حول الصحيفة السجّاديّة، طهران، المكتبة الوطنية، ط ١، ١٣٩٣ ش.

٤. لمزيد الاطلاع حول جهود وضبط ابن السكون الحلّي في النهج الشريف، انظر مقالتنا: «منهج وجهود ابن السكون الحلّي في ضبط نهج البلاغة»، مجلة المحقق، تصدر عن مركز العلامة الحلّي لإحياء تراث حوزة الحلّة العلمية، السنة الأولى، المجلد الأوّل، العدد الثاني، ١٤٣٧ هـ.

٥. انظر: الذريعة ١٤:١٤٠ / الرقم ١٩٨٢.

٦. هذه المقالة معقودة لبيان جهوده.

٧. انظر: الذريعة ١٤:١٢٤ / الرقم ١٩٥٩.

٨. أصل نسخته محفوظة في خزانة العتبة العبّاسيّة على مشرّفها السلام.

٩. انظر: الذريعة ١٤:١٣١ / الرقم ١٩٧٢.

١٠. تراجم الرجال: ١:٢٩ – ٣٠ / الترجمة ٤٦.

١١. تراجم الرجال: ١:٢٩ – ٣٠ / الترجمة ٤٦.

١٢. الرسائل الرجالية ٢:٦١٥ – ٦١٦.

١٣. انظر: الذريعة ٢٤:٤٠٤ / الرقم ٢١٤١.

١٤. لم نقف على ترجمته، لكن وقفنا على ترجمة الشيخ المقري النحوي مهذّب الدين محمّد بن يحيى بن كرم، وهو فاضل جليل أديب، له مصنّفات، يروي العلّامة عن أبيه عنه. وهنا يلاحظ اهتمام هذا الشيخ العالم بالأدب، ويلاحظ كذلك اتحاد طبقته مع الحسن بن يحيى بن كرم، فإنّ محمّد بن يحيى بن كرم روى عن ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ، كما روى عن أبي البقاء العكبري المتوفّى سنة ٦١٠ هـ، وقرأ سديد الدين ابن المطهّر على يحيى بن كرم سنة ٦١٩ هـ؛ فلعلّ الحسن بن يحيى بن كرم هو أخو محمّد بن يحيى بن كرم، وكلاهما من الأدباء الفضلاء. (انظر ترجمة مهذّب الدين محمّد بن يحيى بن كرم في أمل الآمل ٢:٣١٣ / الترجمة ٩٥١، بحار الأنوار ١٠٤:٩٨ و١٠٢ و١٧٢ – ١٧٣ و٩٩ وج ١٠٦:٦٢ و٦٣ و٦٩، تراجم الرجال ١:٤٩٧ / الترجمة ٩٢٦).

١٥. بحار الأنوار: ١٠٤:٢١١ – ٢١٣.

١٦. بحار الأنوار ١٠٧:٦٠.

١٧. بحار الأنوار ١٠٧:١٦٤.

١٨. بحار الأنوار ١٠٧:٧٩.

١٩. الرسائل الرجالية ٢:٦١٥ – ٦١٦.

٢٠. طبقات أعلام الشيعة، ٤:١٠٠.

٢١. طبقات أعلام الشيعة، ٤:٣١.

٢٢. تراجم الرجال: ١:٢٩ – ٣٠.

٢٣. تراجم الرجال ١:٣٥٦.

٢٤. الذريعة ٤٠٣: ٢٤ – ٤٠٤، النهاية ونكتها ١:١٨٢.

٢٥. انظر: النهاية في مجرّد الفقه والفتاوى، ١:٣.

٢٦. تراجم الرجال: ١:٢٩ – ٣٠ / الترجمة ٤٦.

٢٧. المحفوظة في المكتبة السليمانية في إسطنبول من مخطوطات رئيس الكتّاب، المحفوظة برقم ٩٤٣، وقد كتب في آخرها: تمّ الكتاب بحمد الله من نسخة كتبها علي بن محمّد بن السكون الحلّي.

٢٨. المحفوظة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي في قم، برقم ٣٧٤١.

٢٩. ذيل تاريخ بغداد ٤:٦٠ / الترجمة ٨٦٩.

٣٠. رياض العلماء ٤:٢٤١ – ٢٤٤.

٣١. تكملة أمل الآمل: ٣٥٦ / الترجمة ٣٤٥.

٣٢. انظر: نهج البلاغة تحقيق وضبط النصّ على أربعة نسخ خطّيّة قديمة:١٨.

المصادر

أمل الآمل، محمّد بن الحسن الحرّالعاملي، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، بغداد، مكتبة الأندلس.

بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

تراجم الرجال، السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة المرعشي، ١٤١٤ هـ.

تكملة أمل الآمل، السيّد حسن الصدر، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة المرعشي، ١٤٠٦هـ.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، بيروت، دار الأضواء، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

ذيل تاريخ بغداد، ابن النجّار البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر يحيى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ.

الرسائل الرجالية، محمّد بن محمد إبراهيم الكلباسي، تحقيق محمد حسين الدرايتي، قم، دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله الأفندي، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٣ هـ.

طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠٩ م.

مقتل الحسين، الموفّق بن أحمد الخوارزمي، تحقيق محمّد السماوي، قم، أنوار الهدى، ط ١، ١٤١٨ هـ.

النهاية في مجرّد الفقه والفتاوى، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: محمّد تقى دانش پژوه، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٢ ش.

النهاية ونكتها، محمد بن الحسن الطوسي ونجم الدين جعفربن الحسن الحلّي، تحقيق ونشرمؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.

نهج البلاغة، تحقيق وضبط النصّ على أربعة نسخ خطّيّة قديمة، تحقيق الشيخ قيس العطّار، قم، مؤسسة الرافد، ١٤٣١ هـ.

نهج البلاغة، النسخة الموجودة في المكتبة السليمانية في إسطنبول من مخطوطات رئيس الكتّاب، برقم ٩٤٣.

نهج البلاغة، نسخة ابن الحدّاد البجلي المحفوظة في خزانة المكتبة العباسية في كربلاء المقدّسة.

نهج البلاغة، نسخة ابن كرم المحفوظة في مكتبة البروجردي في قم، برقم ١٥٧.

نهج البلاغة، نسخة الربّان الموجودة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي في قم، برقم ٣٧٤١.

نهج البلاغة، نسخة مكتبة آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني في قم، برقم ٥٢٠٦٥.

٥١
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

منظومة فى الإمامة

آية الله السيد محمد حسن الميرجهاني الإصفهاني
(١٣١٩-١٤١٣)

الملخّص: جاء فى هذا المقال قريب من خمسمائة بيت من المنظومة المفصّلة لآية الله السيد محمد حسن الميرجهانى المسمّى بـ«الدرر المكنونة فى الامامة و الامام و صفاته الجامعة». يذكر السيد الميرجهانى ابحاثاً فى إطار النظم، و موضوعاته هى: الحكمة الالهيّة فى الامامة و الاختيار الالهى فيه، حصر الامامة فى اهل بيت النبى عليهم السلام، وجوب معرفة الامام و فوائده، نفى الغلوّ عن الائمة عليهم السلام، شؤون الامام فى الخلقة، خصائص الائمة عليهم السلام، مكانة الامامة فى اصول الدين، جوامع علم الامام، الكمالات و الفضائل و مناقب الامام، عصمة الائمة عليهم السلام، السيرة و مكارم أخلاق الامام، الآيات القرآنيّة التى نزلت فى شأن الائمة عليهم السلام.

المفردات المفتاحيّة: الدرر المكنونة (المنظومة)؛ الامامة ـ الادلّة العقليّة ؛ الميرجهانى، السيد محمد حسن ـ الترجمة و الآثار؛ شؤون الامام المعصوم؛ المنظومات الدينيّة

المقدّمة

آية الله السيد محمدحسن الميرجهاني الطّباطبائي الإصفهاني (٢٢ ذى القعدة ١٣١٩ - ٢٠ جمادى الثانية ١٤١٣ ه.) من مواليد محمد آباد جرقوية قرب إصفهان و المدفون بجوار العلامة المجلسى بتلك البلدة؛ عالم فقيه محدّث خطيب أديب، كان من تلامذة كلّ من الآيات و الأعلام: السيد أبى القاسم الدهكردي، و السيد أبى الحسن الإصفهاني، و الشيخ محمدرضا مسجدشاهى الإصفهاني، و الشيخ عبدالله المامقاني، و السيد عبدالهادي الشيرازي، و الشيخ ضياء الدين العراقي رحمة الله و رضوانه عليهم أجمعين.

نال درجة الإجتهاد فى النجف الأشرف و عاد إلى بلدته إصفهان، مروّجاً للدين، و مرجعاً لحلّ مشاكل المؤمنين، و مدافعاً لحقائق أهل البيت مواجهاً أعدائهم المضلّين.

له كتب نافعة كثيرة، نذكر منها:

*روائح النسمات في شرح دعاء السمات

*جُنّة العاصمة في أحوال السيدة فاطمة عليها السلام

*نوائب الدهور في علائم الظهور (٤ مجلّداً)

*البكاء للحسين عليه السلام

*تفسير أمّ الكتاب (سورة الحمد)

*مصباح البلاغة في استدراك نهج البلاغة (مجلدان)

كنوز الحكم و فنون الكلم، جامع لكلمات الإمام المجتبى عليه السلام

*مقلاد الجنان فى الأدعية

*ديوان أشعاره

*تقريرات دروس أستاذه السيد أبى الحسن الإصفهاني

و ممّا خلّف في مجال التصنيف، كتاب الدّرر المكنونة، و هو منظومة في الإمامة و سيرة الأئمّة، الذي طبع لأوّل مرّة بخطّ يده في أيّام حياته سنة ١٣٨٨ الهجريّة. و لمّا نفدت نسخ هذه الطبعة، رأينا أن ننشر قسماً منها و هو فى الإمامة و شؤونها و صفات الإمام و كمالاته؛ سائلاً موالينا أهل البيت عليهم السلام لاسيّما سيّدنا الإمام المنتظَر عجل الله

تعالى فرجه، آن ينفع جميع المؤمنين بهذه المنظومة الجامعة لدرر أخبار أهل البيت في حقائق الإمامة، و الحمد لله أوّلاً و آخراً.

***

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ وبه نستعين

اَبـدَءُ بِالتَحميدِ بَعدَ البِسـمِلَةِ ... لِرَبّـيَ الَّذى يُخَـصُّ الحَمدُ لَهُ

مُصَلّياً عَلَـى النَّبـيِّ الخاتِـمِ ... مُحَمَّـدٍ وَ الِـهِ الاَعاظِـمِ

شُـمُوسِ اَفلاكِ الـوِلا واالعَظَمَة ... بُدُورِ اَطباقِ العُلـى وَ المَكرَمَة

مَظاهِـرِ الجَمـالِ وَ الجَـلالِ ... مَعـادِنِ العُلُـومِ وَالكَمـالِ

لا سِـيَّما مَوضِـعِ سِـرِّ اللهِ ... بَقِيَّـةِ اللهِ وَاَمـرِ اللهِ

اَلحُجَّـةِ الحَيِّ الإمـامِ المُنتَظَر ... وَ خاتِـمِ الاَئِمَّـةِ الإثنـى عَشَـر

وَبَعدُ ذا قالَ الغَريقُ فِي المِحَن ... اِبـنُ عَلِيٍّ المُسَـمّى بِالحَسَـن

اَحقَـرُ اَولادِ بَنِـى الطَّبـآءِ ... ميـر جَهانِـيُّ الطِّباطَبائـي

فَهـذِه اُرجُـوزَةٌ شَـريفَة ... لَطيفَـةٌ طَريفـةٌ ظَريفَـة

نَظَمتُهـا مَـعَ اختِـلالِ البـالِ ... مُعتَصِمـاً بِـاللهِ ذي الجَـلالِ

تَحكـى عَـنِ الإمـامِ وَالإمَامَـة ... وَمـا تَخُصُّـهُ مِـنَ العَلامَـة

اِذ هِـىَ تَحتـاجُ اِلـىَ البَيـانِ ... لِسـالِكى طَريقَـةِ الايمـانِ

سَـمَّيتُها بِالـدُّرَرِ المَكنُونَـةِ ... لِاَنَّهـا كانَـت بِهـا مَشـحُونَة

البحَث في الإمامة وَ صِفات الإمام

مُقَدِّمَةٌ

لا رَيـبَ اَنَّ اللهَ كانَ عـادِلا ... وَاَنَّـه بِالخَيـرِ كانَ فاعِـلا

رَبٌّ لَطيـفٌ حَكَـمٌ عَطـوفٌ ... وَلِلعِبـادِ كُلِّهِـم رَءُوفٌ

لا يَفعَـلُ القَبيـحَ فـى فِعالِـه ... وَلا هُـوَ العابِـث فـى اَفعالِـه

اَفعالُـهُ لِغَـرَضٍ صَحيـحٍ ... خـالٍ عَـنِ الظُّلـمِ وَعـن قَبيحٍ

فَما هُوَ الاَصلَحُ لِلعبادِ ... يَفعَلُهُ فی غايَةِ السِّدادِ
كَلَّفَهُمُ بالطَّوعِ وَ اختِيارٍ ... بِالوُسعِ لا بِالكُرهِ وَ الاجبارِ
بِالوَعدِ وَالوَعيدِ اَرسَلَ الرُّسُل ... عَلی لِسانِهِم لِكَی يَهدُوا السُّبُل
فَاِنَّهُم بِالبَيِّناتِ جاءُوا ... دَعَوا اِلَی اللهِ كَما يَشآءُ
وَصَدَّعُوا بِالاَمرِ وَالخِطابِ ... وَبَلَّغُوا بِالصِّدقِ وَالصَّوابِ
وَاَخبَرُوا عَنهُ وَعَن صِفاتِه ... وَاَظهَرُوا فی بَينِهِم آياتِه
وَهُم اُولُوا العِصمَةِ فی الاَقوالِ ... كَما فِی الاَفعالِ وَ فِی الاَعمالِ
وَقاهُمُ اللهُ عَنِ المَعاصی ... اِذ لا يَليقَنَّ بِهَذا العاصی
كَذا عَنِ الخَطاءِ وَالنِّسيانِ ... وَالكِذبِ وَالفِريَةِ وَالبُهتانِ
لَو جازَ لَم يوثَق بِاَقوالِهِم ... كَذاكَ لَم يُعبَأ بِافعالِهِم
فَتنتَفی فائِدَةُ الاِرسالِ ... وَبُدِّلَ النِّظامُ بِاختِلالِ

فی بَيانِ اَنَّ تَعيينَ الاِمامِ باختيارِ اللهِ

فَبِالرَّسُولِ الصّادِقِ الاَمينِ ... قَد شَرَعَ اللهُ تَمامَ الدّينِ
وَ كُلٌّ مَن اَرسَلَ فِی الاَنامِ ... قُبَيلَ مَا انقَضَت لَهُ الَّايّام
اَقامَ لِلنّاسِ وَصِيّاً عَدلاً ... بِاَمرِ رَبّه العَلِّی الاَعلی
لِيَحفَظَ السُّنَّةَ وَالكِتابا ... وَيَهتَدِي النّاسُ بِهِ الصَّوابا
فَسُنَّةُ اللهِ بِهذا جارِيَة ... ما دامَتِ الدُّنيا تَكُونُ باقِيَة
كَيما بَقِي النّاسُ بِغَيرِ حُجَّة ... وَ يُترَكَ النّاسُ بِلا مَحَجَّة
اَردَفَ بِالرِّسالَةِ الاِمامَة ... بِلُطفِهِ العامِ اِلَی القِيامَة

البَحثُ فِی الاِمامَةِ

اِنَّ اِمامَةَ الاِمامِ الهادِی ... حُكُومَةُ اللهِ عَلَی العِبادِ
وَهِیَ رِياسَةٌ عَنِ الرَّحمنِ ... بِنَصبِه فی عالَمِ الاِمكانِ
وَنَصِّ مَن قَد جَعَلَ الامامَة ... لَهُ بِنَصٍّ خُصَّ بَينَ الاُمَّة

وَ نَصبِ مَن يَقُومُ فی مَقامِه بَعدَ قَضآءِ النَّحبِ وَ انصِرامِه

فی بیانِ اَنَّ تَعیینَ الاِمامِ بِاختیارِ اللهِ

ما كانَ لِلنـاسِ مِن اِختیـارٍ لِيَنصِبُوا الاِمـامَ دُونَ البـارِی
اِذ هُوَ عالِـمٌ بِكُلِّ مَن خَلَق بِمَن هُوَ اللّائِقُ عِلمُهُ سَبَق
يَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ الاِمامَة وَمَن هُوَ الاَحَقُّ بِالكَرامَة

فی بیانَ اَنَّ الاِمامَةَ فی آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام وَهُم غَصَبُوا حَقَّهُم

اِختارَهُ اللهُ مِنَ الكِرامِ مِن طَيِّبی آلِ الرَّسُولِ السّامی
فی آلِ طه جَعَلَ الاِمامَة جاعِلها بالفَضلِ و الكرامة
مَن ظَنّها في غيرِ وُلدِ فاطمة فَهوَ اِذاً لَيُنبَذَنَّ الحُطَمَة
وَيلٌ لِمَن عَن حَدِّه تَعَدّی بِبَغيِه وَجاءَ شَيئاً اِدّا
قامَ اِلی اِقامَةِ الاِمامِ وَاَوجَدَ الحَيرَةَ فِی الاَنامِ
فَتابَعَ الباطِلَ عَن بَصيرَة وَ خالَفَ الحَقَّ بِسُوءِ السّيرَة
اِذ زَيَّنَ الشَّيطانُ اَعمالَهُم قاتَلَهُم رَبّی فَتَعساً لَهُم
لِما رَقَوا بِمُرتَقیً دَحيضٍ اَقدامُهُم زَلَّت اِلَی الحَضيضِ
قَد غَصَبُوا حَقَّ الاِمامِ الخِيَرَة وَالعِترَةِ الطّاهِرَةِ المُطَهَّرَة
فَاَصلِهِم يا رَبِّ حَرَّ النّارِ اِذ عَدَلُوا بِالحَقِّ بِاختِيارٍ

فی وُجوبِ مَعرِفَةِ الاِمامِ

مَعرِفَةُ الاِمامِ فَرضٌ لِلوَری رَبّی عِبادَهُ بِها قَد اَمَرا
بِها عَنِ الرَّسُولِ قَد جاء الخَبَر عِقابُ تَركِها لاَدهی وَاَمَرّ
اِنَّ الفَريقَينِ رَوَوا عنه الاَثَر وَيلٌ لِمَن عَنها تَوَلّی وَكَفَر
فَاعرِفهُ بِالنَّصِّ وَ بِالعَلائِمِ وَآيَةٍ مُحكَمَةِ الدَّعآئِمِ

بِالاِمامَةِ قَد تَمَّتِ الكَلِمَةُ

وَهوَ كَما عَرَّفَهُ الاِلهُ ثُمَّ اِلی رَسُولِه اَوحاهُ

لَولاَ الرَّسُـولُ المُصطَفى مُعَرِّفُه ... عَـن رَبِّـه لَغَيـرهُ لا يَعرِفُـه
لا شَـكَّ مَن ماتَ بِغَيرِالمَعرِفَة ... بِمَـوتِ جاهِلِيَّـةٍ قَـد وُصِفَـه
اِنَّ الاِمـامَ بَشَـرٌ لا كَالبَشَـر ... اِذ رَبُّـهُ بِـه تَجَلّـى وَ ظَهَـر
قَد كَلّـتِ العُقُولُ عَـن مَعرفَتِه ... وَتاهَـتِ الحُلُـومُ كُنـهَ صِفَتِـه

تَمامِيَّةُ الاِسلامِ بِالاِمامَة

اُسِّـسَ الاِسـلامُ عَلَـى الاِمامَة ... مِـن اَوَّلِ الاَمـرِ اِلَـى القِيامَـة
وَهـيَ لِلاِسـلامِ لَاُسٌّ نامِـى ... وَ اِنَّهـا لَـهُ لَفَـرعٌ سـامِى
بِهـا نِظـامُ الكَـونِ وَالمَـكانِ ... بِهـا تَمـامُ الدّيـنِ وَالايمـانِ
اِنَّ الاِمامَـةَ زَمـامُ الدّيـنِ ... رَحمَـةُ رَبِّ المَلِـكِ المُبيـنِ

فى بَيانِ وُجُوبِ اطاعَة الاِمام

طاعَتُـهُ فَـرضٌ مِـنَ الرَّحمـنِ ... عَلَى الوَرى فـى عالَمِ الاِمكانِ
قَـد فَـرَضَ اللهُ عَلَـى العِبـادِ ... طاعَتَـهُ فـى غايَـةِ السِّـدادِ
فَمَـن اَطاعَـهُ اَطـاعَ اللّهـا ... وَمَـن عَصـاهُ قَد عَصَـى الاِلها
لِمَـن اَطاعَـهُ هُـوَ الشَّـفيعُ ... طُوبـى لِمَـن بِاَمـرِه مُطيـعٌ
وَمَـن اَحَبَّـهُ اَحَـبَّ رَبَّـهُ ... وَرَبُّـهُ بِحُبِّـه اَحَبَّـهُ
مُبغِضُـهُ لَمُبغِـضُ الجَبّـارِ ... غَـداً يُذيقُـهُ عَـذابَ النّـارِ

فى بَيانِ اَنّهُم عِبادٌ مَربُوبُون
فى نَفيِ الغُلُوِّ فى حَقِه وبَيان اَنَّه مربُوبٌ

يـا طالِبـاً مَعرِفَـةَ الإمـامِ ... اِسـمَع عَلَيـهِ اَفضَـلُ السَّـلامِ
اَلعَقـلُ يَأبـى اَن يَكُـونَ رَبّـا ... اِذ هُـوَ عَبـدٌ مُخلَـصٌ مُرَبّـى
وَالنَّقـلُ حاكِـمٌ بِحُكمِـه كَمـا ... جاءَ بِهِ الحَديثُ عَنهُم مُحكَما
تـاهَ الَّـذى قـالَ هُـوَ الاِلـهُ ... وَاِنَّمَـا الغالُـونَ فيـهِ تاهُـوا
ضَلّوُا كَما قَد ضَلَّتِ النَّصارى ... فى حَقِّ عيسـى خَسِرُوا خِسارا

وَيـلٌ لِمَـن غـالَ وَقـالَ فيـهِ ... قَـد وُعِـدَ النّـارُ لِمُدَّعيـهِ
قـالَ الإمـامُ سَـيّدُ الائِمَّـة ... عَلِـيٌّ العالـى اِمـامُ الأُمَّـة
عَـنِ الرُّبُوبِيَّـةِ نَزِّلُوْنـا ... وَكُلَّمـا شِـئتُم فَقُولـوُا فينـا
وَاِنَّـهُ كانَ بَرئِيـاً مِنهُـمُ ... وَمَـا ادَّعَـوا فيـهِ وَمـا تَكلَّمـوُا
اِنَّ الإمـامَ النَّهَـجُ القَويـمُ ... صِراطُـهُ فِـى اللهِ مُسـتَقيمٌ
عَبـدٌ مُطيـعٌ صابِـرٌ صَـوّامٌ ... عَـدلٌ زَكِـيٌّ ناسِـكٌ قَـوّامٌ
لَـن يَسـبِقَنَّ رَبَّـهُ بِالقَـولِ ... بِأمـرِهِ يَفعَـلُ كُلَّ فِعـلٍ
بِاذِنِـه يَفعَـلُ مـا يَشـاءُ ... وَمـا يَشـاءُ رَبُّـهُ يَشـآءُ
مِنـهُ لَـهُ مَناقِـبُ كَثيـرَة ... عُقُولُنـا عَـن فهمِهـا قَصيـرَة

حَقيقَةُ الأِمامِ وَ مَبدَءُ طينَةِ الإمامِ وَ رُوحِهِ وَكِيفيَّةِ خلقَتِه فى بَيانِ عُلُومِهِ وَ ولادَتِهِ

طينَتُـهُ مِـن طيـنِ عِلّيّيـنِ ... قَـد عُجِنَـت بِالعِلـمِ وَاليَقينِ
وَقَلبُـهُ جَوهَـرَةٌ عَرشِـيَّة ... عَيبَـةُ عِلـمِ اللهِ وَالمَشِـيَّة
ظاهِـرُهُ مِـن عالِـمَ النّاسُـوتِ ... باطِنُـهُ اعَلـى مِـنَ اللّاهُـوتِ
نُـورٌ مُجَسَّـدٌ بِصُـورَةِ البَشَـر ... أُعجُوبَـةٌ فَكَيفَ تَحويـهِ الفِكَر
فَـلا تَقيسَـنَّ بِـه سِـواهُ ... وَقُـل تَبـارَكَ الَّـذى سَـوّاهُ
مَـن ذَا الَّـذى يَنـالُ كُنـهَ ذاتِه ... اَو يَصِـلُ حقيقَـةَ صِفاتِـه
اَو يَعـرِفُ مَـدارِجَ كَمالِـه ... اَو يُـدرِكُ مَنزِلَـةَ جَلالِـه
لَمّـا اَرادَ رَبُّـهُ اَن يَخلُقَـه ... مِن ماءِ تَحتِ عَرشِـه قَد خَلَقَه
صَيَّـرَ فـى صُلـبِ اَبيـهِ الماءَا ... يَجعَلُـهُ النُّطفَـةَ كَيـفَ شـاءَا
فـى رَحِـمِ الأُمِّ اِذا تَوَقَّـع ... الَصَّـوتَ بَعدَ الاَربَعينِ يَسـمَع
يَقـدِرُ اَن يَنطِقَ وَهـوَ فِى الرَّحِم ... لَـو شـاءَ رَبُّـهُ لِيَجمَـعَ الكَلِـم
اَزرَ اَبيـهِ رَبُّـهُ بِـهِ يَشُـدّ ... وَاِنَّـهُ يُولَـدُ مَكتُـوبَ العَضُـد
بِآيَـةٍ مِـن سُـورَةِ الاَنعـامِ ... وَكَتبُهـا مِـن آيَـةِ الإمـامِ
قَـد وَضَعَتـهُ اُمُّـهُ مُطَهَّـرا ... شَـئٌ مِـنَ الاَقـذارِ فيـهِ لايُـرى

مُحَلَّقاً مُباركاً مَيمُونا ... مَقطُوعَةً سُرَّتُهُ مَختُونا
لَمّا تَوَلَّدَ فَلِلّهِ سَجَد ... وَيَشهَدُ اللهَ بِأَنَّهُ اَحَد
يَرفَعُ سَبّابَتَهُ نَحوَ السَّما ... بِاللهِ صارَ ناطِقاً مُكَلِّماً
يَسطَعُ نُورُهُ كَنُورِ الشّارِقِ ... ثُمَّ يُناجى بِالإمامِ السّابِقِ
عَلى يَدَيهِ يَقرَءُ الآياتِ ... يَظهَرُ مِنهُ خارِقُ العاداتِ

فى بَيانِ نَبذَةٍ مِن خَصائصِ الأِمام
إذا وَصَل اِلَيهِ الاَمرُ

ثُمَّ اِذَا الاَمرُ اِلَيهِ قد وَصَل ... اَعانَهُ اللهُ بِفَيضٍ مُتَّصَل
عِدّةُ اَهلِ البَدرِ مِن جِنسِ المَلَك ... كانَت لَهُ عَوناً اِلى حَيثُ سَلَك
يُعينُهُ سَبعُونَ مِن رِجالٍ ... كانُوا مِنَ الاَوتادِ وَالاَبدالِ
وَكانَ عِندَهُ جَماعَةٌ اُخَر ... هُم نُقَباءٌ عَدُّهُم إثنى عَشَر
فَيَبعَثُ السَّبعينَ فِى الآفاقِ ... لِيَدعُوَنَّ النّاسَ بِالإشفاقِ
كَما دَعَتهُمُ الدُّعاةُ السّابِقَة ... سُنَّتُهُم جارِيَةً فِى اللّاحِقَة
وَيَجعَلُ اللهُ لَهُ مِصباحا ... يَرى بِهِ اَعمالَ مَن اَتاها
غَشّاهُ نُورُ رَحمَةِ الجَبّارِ ... مُتَوَّجاً تاجاً مِنَ الوَقارِ
بِنُورِهِ استنارَتِ البِلادُ ... تُنمى بِهِ الآثارُ وَ التِّلادُ
لَهُ مِنَ النّورِ عَمُودٌ مُنتَصِب ... بِهِ الحِجاباتُ لَهُ لا تَحتَجِب
يَرى بِهِ اَفعالَ كُلِّ فاعِلٍ ... يَنظُرُ ما يَعمَلُ كُلُّ عامِلٍ
حَوادِثَ الكَونِ بِهِ قَدِ اطَّلَع ... يُبصِرُما فِى الشَّرقِ والغَربِ وَقَع
فى كَفِّهِ الكَونُ لَهُ كَراحَتِه ... يَنظُرُ فيها وَهوَ فى مَرتَبَتِه

فى بَيانَ حَسَبِه وَنِسبَه
اِنَّ الأِمامَة فى آلِ هاشِمٍ

مِن هاشِمٍ أنبَتَ رَبّى دَوحَتَه ... شَرَّفَهُ اللهُ وَاَعلى رُتبَتَه

ما كانَ فِي القُرَيشِ شَخصٌ ذا حَسَبٍ كَمِثلِهِ فی حَسَبٍ وَلا نَسَب
لا مُغمِزَ فيهِ لِأَجلِ النَّسَبِ لَيسَ لَهُ مَن مِثلَهُ فِي الحَسَبِ
وَإِنَّهُ مِن عِترَةِ النَّبِيّ اَلمُرتَضى مِن رَبِّهِ العَلِيّ
قَدِ اصطَفاهُ اللهُ لِلرياسَة صَيَّرَهُ العالِمَ بِالسِّياسَة

فی بَيانِ أنّه وَلِيّ اللهِ وولايتُهُ اصل الدّينُ

مِن رَبّه خُصِّصَ بِالوِلايَة شُرِّفَ بَينَ الخَلقِ بِالهِدايَة
قَد عَقَدَ اللهُ لَهُ وِلايَتَه فی فَوقِ عَرشِه كَذا مَعرِفَتَه
اِختارَهُ بَينَ الوَرى وَلِيّا ثُمَّ اصطَفاهُ راضِياً مَرضيّا
وَلّاهُ رَبُّهُ لِكُلِّ ما خَلَق سِوىَ الرَّسُولِ الخاتِمِ لِما سَبَق
وَإِنَّما هُوَ الوَلِيُّ المُرشِدُ لِدينِ الاِسلامِ هُوَ المُسَدِّدُ
فَهوَ وَلِيُّ اللهِ حَقّاً حَقّا مِن رَبِّه زَقَّ العُلُومَ زَقّا

الأِمامَةُ اصلُ الدينِ

وِلايَةُ الاِمامِ اَصلُ الدّينِ مَفرُوضَةٌ لِطالِبِ اليَقينِ
كانَت هِیَ الاَمانَةُ المَعرُوضَة مِن رَبِّه عَلَى الوَرى مَفرُوضَة
لَن يَقبَلَ اللهُ مِنَ العِبادِ اِلّا بِهَا الاَعمالَ فِی المَعادِ
قَد اَخَذَ اللهُ لَهُ عَهدَ الوِلا فی عالَمِ الميثاقِ اِذ قالُوا بَلى

جَوامِعُ العُلومُ عِندَ الاِمامِ
فی جَوامِعِ عُلُومِه

خازِنُ عَلِمِ اللهِ وَ السِّرِّ الخَفِيّ مَعدِنُ وَحيِ اللهِ وَالحَبرُ الوَفِيّ
يَعلَمُ ما فی عالَمِ اللّاهُوتِ وَكُلَّما فی عالَمِ النّاسُوتِ
عَلّامَةُ المَبدَءِ وَالمَعادِ فَهّامَةٌ سَرائِرَ العِبادِ
يَعلَمُ ما فی عالَمِ الوُجُودِ يُخبِرُ ما فِی الغَيبِ وَالشُّهُودِ
بِكُلِّ الاَسما وَاللُّغاتِ عالِمٌ وَ كُلُّ عالَمٍ بِهِ لَقائِمٌ

وَ عالِـمٌ بِمَنطِـقِ الطُّيُـورِ مُنكِـرُهُ فَمـا لَـهُ مِـن نُـورِ
حَقايِـقَ الكَـونِ اِذا شـاءَ عَلِـم دَعآئِـمُ العِلـمِ بِـه لا تَنهَـدِم
وارِثُ عِلـمِ الاَنبيـاءِ وَالرُّسُـل عالِـمُ اَبوابِ السَّـماءِ وَالسُّـبُل
عَلَّمَـهُ العَليـمُ عِلمـاً جَمّـا نِعمَتَـهُ عَلَيـهِ قَـد اَتَمّـا
قَـد خَصَّـهُ اللهِ بِـكُلِّ علـمٍ وَعِلمُـهُ مُزَيَّـنٌ بِالحِلـمِ
عَلّامَـةٌ لَيـسَ لَـهُ مُعـادِلٌ وَلا لَـهُ مِثـلٌ وَلا مُشـاكِلٌ

فى بَيانِ عِلمِ الأِمام وَبَعضٍ مِن كَمالاتِه

بِالعِلمِ قَد خُصِّصَ مِن غَيرِ طَلَب هـذا لِمَـن يَشـاءُ رَبُّـهُ بِهَـب
اِنَّ الاِمـامَ كانَ قـافَ السِّـدرَة قَـد شَـرَح اللهُ بِعِلـمٍ صَـدرَه
عَـلّامُ ما فِـى الاَرضِ وَالسَّـماءِ لِرَبِّـه مِـن اَعظَـمِ الاَسـماءِ
يَـدري جَميعَ ما جَرى بِهِ القَلَم وَما مِنَ الاَشـياءِ فيها مِن حِكَم
وَاِنَّـهُ يَعلَـمُ وَزنَ النُّـورِ وَكُلَّمـا فـى باطِـنِ الصُّخُـورِ
يَعلَـمُ كَيـلَ المـاءِ فِـى البِحارِ كَذالِـكَ العُيُـون وَالاَنهـارِ
اَوراقَ الاَشـجارِ وَاَقطـارَ المَطَر يَعلَـمُ عَدَّهـا كَذلِـكَ المَـدَر
يَعـرِفُ مَـن تابَعَـهُ وَخالَفَـه ضَمائِـرُ الخَلـقِ لَـهُ مُكَشَّـفَة
بِمُشـكَلاتِ الوَحـيِ عالِمٌ كَما مُشَـتَبِهاتِ الدّيـنِ كُلّاً يَعلَمـا
حَـلّالُ رَمـزِ مُعضَلاتِ السُّـنَنِ يَـدري مُعَمَّياتِها بِوَجهٍ حَسَـنٍ
وَاِنَّـهُ مِـن مُعضَلاتٍ لَو سُـئِل عَنِ الجَـوابِ لا يَعـي وَلا يَمِلّ
وَعَـن صَـوابِ القَـولِ لا يُحَيَّـرُ حَقيقَـةَ الاَمـرِ فَـلا يَغَيِّـرُ
يَعلَـمُ اَسـماءَ جَميـعِ شـيعَتِه وَتابعيـهِ سـالِكى طَريقَتِـه
وَهكَـذا اَسـماءَ آبائِهِـمُ وَمَـن تَـوَلّاه وَ احسـابِهِمُ
يَعلَـمُ سُـكّانَ البِـلادِ كُلَّهـا يَعرِفُ اَشـخاصَ العِبادِ جُلَّها
مِـن مُؤمِـنٍ مُوَحِّـدٍ مُجاهِـد وَكافِـرٍ وَجاحِـدٍ مُعانِـد

فی بَیانِ شَطرٍمِن عِلمه وَ بَعضٍ مِن کمالاتِه

لَیلَـةُ قَـدرٍ وَلَیالِـیُ الجُمَـع ... یَزیـدُ عِلمُـهُ بِـکُلّ مـا یَقَـع
فَصـلَ الخِطـابِ رَبُّـهُ آتـاهُ ... وَعلِـمَ الاجـالِ لَقَـد اَعطـاهُ
وَعالِـمٌ بِـکُلّ نَجـمٍ طالِـعٍ ... وَمـا بَـدَت لَـهُ مِـنَ المَطالِـعِ
مَـنَ السّـعوُدِ وَالنُّحُـوسِ کُلِّها ... رَجعـاً وَاَوجاً وحَضیضـاً جُلِّها
وَ بِالمُقَـدَّراتِ مِنهـا ما حَصَل ... مِـنَ القِرانـاتِ کَذا مِمَّـا اتَّصَل
وَ مـا لِکَوکَـبٍ مِـنَ التّوابِـعِ ... مِـنِ اِتّصـالاتٍ وَ مِـن جوامِـعِ
مِـنَ السَّـرارِیّ اِلَـی الـدَّراري ... یَعلَمُ قَدرَ البُعـدِ فِی المَجاري
قَدرَ شَـعاعِ المُبـدِراتِ یَدري ... کَذَا المَـداراتِ وَکَیـفَ تَجري
کانَ لَـهُ العِلـمُ بِحادِثـاتٍ ... وَقَـدرِ سـاعاتٍ مُدَبّـراتٍ
یَدرِی المَجَّـرَةَ وَ ما فیها جَرَت ... مِنَ النُّجُـومِ قَدَّمَـت اَو اَخَرَّت
وَ کُلَّمـا فـی کَبَـدِ السَّـماءِ ... لَهـا مِـنَ الاَنـوارِ وَالضِّیـاءِ
مِنَ الشُّمُوسِ وَالنُّجُومِ الطّالِعَة ... وَکُلّمـا تَکُـونُ فیهـا سـاطِعَة
ذَواتِ الاَذنـابِ کَـذَا الرُّجُـومِ ... یَعلَـمُ عَدَّهـا مَـعَ النُّجُـومِ
مِـن قَمَـرٍ وَکَوکَـبٍ مُضیـئٍ ... وَمـا بِهـا مِـن کُلِّ مُسـتَضیئٍ
مِـن ثابتـاتٍ وَ مِـنَ الجَـواري ... وَکُلّمـا فِـی الفَلَـکِ الـدَّوارِ
یَعلَـمُ مـا لَهـا مِـنَ الآثـارِ ... وَکُلَّمـا فیهـا مِـنَ الاَسـرارِ

فی بَیانِ بَعضٍ مِن فَضائِله و مناقِبِه

شَـخصُ الاِمامِ حجَّةُ المَعبوُدِ ... فی عالَمِ الغَیبِ وَ فِی الشّـهُوُدِ
صَفـوَةُ رَبِّ الاَرضِ وَالسَّـماءِ ... مُسـتَودَعٌ میـراثَ الاَنبیـاءِ
رایَـةُ حَقٍّ مَـن هَواها قَـد نَجی ... وَاِنَّ مَن اَعـرَضَ عَنها قَد هَوی
قائِـدُ مَـن شـاءَ اِلـیَ الجِنـانِ ... مِـن سـالِکی طَریقَـةِ الایمـانِ
وَکُلُّ مَـن ضَـلَّ عَـنِ الطَّریـقِ ... یُؤویهِ فِي النّـارِ عَلَی التَّحقیقِ

وَهـوَ سِـراجٌ لِمَـن اُسـتَضاه ... مَـنِ اهتَـدى بِـه فَقَـد هَـداهُ
فَيَدفَـعُ اللهُ بِـهِ العَذابَـا ... يُعطـى غَـداً مُحِبَّـهُ الثَوابَـا
مِصبـاحُ مِشـكوةٍ لِنـوُرِ النُّـورِ ... مِـن رَبِّـه مُدَبِّـرُ الأُمُـورِ
رَمـزُ مُفـادِ التّيـنِ وَ الزَّيتُـونِ ... حَقيقَـةُ الـكافِ وَعَيـنُ النُّونِ
وَاَمـرُهُ اَمـرُ الإلـهِ طُـرًّا ... فى ظاهِرِالأُولى وَغَيبِ الأُخرى
آتـاهُ رَبُّـهُ عُلُومـاً جامِعـة ... ثُـمَّ اِلـى مَقـامِ عِـزٍّ رَفَعَـه
لا فَـرقَ بَينَـهُ وَبَيـنَ اللهِ ... اِلّاَ العُبُودِيَّـةُ لِلِاِلـهِ
وَاِنَّـهُ لِلهِ عَبـدٌ خَلَقَـه ... ثُـمَّ بِـه كُلَّ الـوَرى قَـد رَزَقَـه
هُوَالهُدى لِلنّاسِ من رَبٍّ خَلَق ... اِقرَأ: فَمَن يَهـدى اِلىَ اللهِ اَحَقّ
اَم يَحسُدُونَ النّاسَ لَم تُنزَل سوى ... فى شَأنِ مَن كانَ اِماماً لِلهدى

فى بَيانِ بَعضِ صِفاتِهِ الجامِعَةِ وَفَضائِلِه

وَرَبُّـهَ فَضَّلَـهُ تَفضيـلاً ... كانَ اِلـى سَـبيلِه دَليـلاً
لَن يعرِفُـوهُ النّاسُ حَقَّ المَعرفَة ... سِـوى رَسُـولِ اللهِ ذاتـاً رَصَفَـة
عَن وَصفِهِ حارَت اوُلوا الاَلبابِ ... وَانحَصَـرَت اَلسِـنَةُ الخُطّـابِ
تَصاغَـرَت فـى نَعتِـهِ الاَعاظِم ... كَذلِـكَ الاَعـلامُ وَالاَفاخِـم
لا رَيـبَ اِنَّ اَصلَـهُ قَديـمٌ ... وَفَيضَـهُ بَيـنَ الـوَرى عَميـمٌ
اِطلاقُنَـا لاَ القِـدَمُ الزَّمـانِ ... وَلاَالّـذى يَختَـصُّ بالرَّحمـانِ
لَيـسَ قَديـمُ الـذّاتِ اِلاَّ اللهُ ... وَ الحـادِثُ القَديـمُ مَن سِـواهُ
مَبـدَءُ الايجـادِ هُـوَ المُـرادُ ... كَمـا عَـنِ الاَخبـارِ يُستَفادُ
فَاِنَّمَـا الاَصـلُ رَسـوُلُ اللهِ ... رَواهُ جابِـرُ بـنُ عَبـدِاللهِ
فَمَبـدَءُ الاِيجـادِ خَلـقُ نُـورِهِ ... وَمُنتَهـاهُ مَنشـاءُ ظُهُـورِهِ
وَ لِلوِلايَـةِ هُـوَ المِفتـاحُ ... يُوقَـدُ مِنـهُ ذلِـكَ المِصبـاحُ
بِـهِ افتِتـاحُ الخَلـقِ وَاختِتامُـه ... طُوبى لِمَـن بِحَبلِـهِ اعتِصامُه

اَصلٌ لِكُلِّ الخَيرِ والاِحسانِ ... مِنهُ بَدَت حَقائِقُ الايمانِ
اِنَّ الاِمامَ مَلَكِيُّ الذّاتِ ... لِرَبِّهِ مِن اَكبَرِ الآياتِ
قَد ظَهَرَت مِنهُ صِفاتُ اللهِ ... وَذاتُهُ مُعَرِّفٌ لِلهِ
صاحِبُ آياتٍ وَمُعجِزاتٍ ... وَاِنَّهُ مِن مُحكَمِ الآياتِ

فی بَعضِ فضائِله وَ صِفاتِهِ الجامِعَةِ

اِختارَهُ اللهُ مِنَ البَرايا ... وَ ما سِواهُ فَلَهُ الرَّعايا
واحِدُ دَهرٍ لا يُدانيهِ اَحَد ... طُوبى لِمَن وَلَّدَهُ وَ ما وَلَد
مَعدِنُ رَحمَةٍ وَ اَصلُ الكَرَمِ ... وَقائِدُ الخَلقِ اِمامُ الاُمَمِ
اَلمَثَلُ الاَعلى وَمِصباحُ الهُدى ... اَلدَّعوَةُ الحُسنى وَمِفتاحُ التُّقى
قُدوَةُ اَربابِ الحِجى، كَهفُ الوَرى ... زُبدَةُ آلِ المُصطَفى، غَيثُ النَّدى
ماءٌ مَعينٌ وَحَيوةٌ سارِيَة ... عُيُونُ حِكمَةٍ وَعِلمٍ جارِيَة
وَلِيُّ نِعمَةٍ وَ بَحرُ الجُودِ ... تَمَسَّكُوا بِحَبلِهِ المَمدُودِ
مُؤَيَّدٌ بِالرُّوحِ وَ الاَملاكِ ... مُسَدِّدٌ دَعائِمَ الاَفلاكِ
فی قَلبِهِ جَرَت يَنابيعُ الحِكَم ... قَد خَصَّهُ اللهُ بِسَيفٍ وَ قَلَم
جامِعُ شَملِ الدّينِ وَ الصَّلاحِ ... مُحِبُّهُ الحائِزُ لِلفَلاحِ
بِنُورِهِ اَشرَقَتِ البِلادُ ... وَ بِهُداهُ المُهتَدُونَ هادُوا
اَركانُ دينِ اللهِ مِنهُ قائِمَة ... اَلطافُهُ عَلَى الاَنامِ دائِمَة
بابٌ قَد ابتَلى بِهِ الاَنامُ ... نُورٌ قَدِ انجَلى بِهِ الظَّلامُ
اَلعُروةُ الوُثقى اَلّتى لا تَنفَصِمُ ... لَيسَت سِواه، فَبِذَيلِهِ اعتَصِم
سِماتُهُ تَحكي سِماتِ اللهِ ... صِفاتُهُ تُبدي صِفاتِ اللهِ
اَتَمُّ مَجلى لِصِفاتِ رَبِّه ... اَعظَمُ بُرهانٍ لِذاتِ رَبِّه
قَدِ اصطَفاهُ رَبُّهُ واصطَنَعَه ... لِنَفسِه وَحُبِّه قَد صَنَعَه
فی فَلَكِ التَّوحيدِ شَمسٌ طالِعَة ... رايَةُ حَمدِ اللهِ مِنهُ رافِعَة

بَـدرُ تَمامٍ فـى سَـماءِ العَظِمَة ... مَنظُومَـةُ الكَـونِ بِـه منتَظِمَـة
واسِـطَةٌ فـى عالَـمِ الوُجُـودِ ... بَيـنَ المُكَوَّنـاتِ والمَعبُـودِ
قُطـبُ رَحـى عَوالِـمِ الإيجـادِ ... ميـزانُ عَـدلِ اللهِ فـي المَعـادِ
اَمـر نِظـامِ الكَـونِ طُـراً بِيَـدِه ... بِاَمـرِ رَبِّـهِ وَ فَيـضِ مَـدَدِه
بَقائُـه بِـاللهِ كُلَّ آنٍ ... وَ رَبُّـهُ عَلّمَـهُ البَيـانِ
مـا لا يَشـاءُ اللهَ لا يَشـاءُ ... وَمـا يَشـاءُ رَبُّـهُ يَشـاءُ
عَهـدُ الإمامَـةِ اِليـهِ قَـد نُبِـذ ... بِشَـخصِه اَمـرُ الالـهِ قَـد نُفِـذَ
شَـرَّفَهُ اللهُ بِتِلـكَ السَّـلطَنَة ... لَقَّنَـهُ الحِكمَـةَ فيمـا لَقَّنَـه
مَوضِـعُ سِـرِّ اللهِ فـي البَرايـا ... وَمَنبَـعُ الإحسـانِ وَالعَطايـا
فَهـوَ يَـدُ اللهِ وَعَيـنُ اللهِ ... وَوَجـهُ رَبِّـه وَجَنـبُ اللهِ
لِسـانُهُ وَنُـورُهُ وَ قُدرَتُـه ... حِجابُـهُ وَ سِـرُّهُ وَ كَلمَتُـه
بِـه كَمـالُ الدّيـنِ وَالإيمـانِ ... وَ حُبّـهُ مُرَجِّـجُ الميـزانِ
وَ لِلمُحِـبِّ بَعـدَ مَوتِـه عِـدَة ... نَعيـمَ خُلـدٍ رَبُّـهُ قَـد وَعَـدَه
اِلَيـهِ فِي الحَشـرِ اِيـابُ الخَلقِ ... عَلَيهِ فِي اليَومِ حِسابُ الخَلقِ
حَكَّمَـهُ الحَكيـمُ فـي العِبـادِ ... فَوَضَـهُ حُكُومَـةَ البِـلادِ
فَوَضَـهُ اللهُ اُمُـورَ الدّيـنِ ... بَعدَ النَّبِـيِّ المُصطَفى الاَمينِ
مَعـارِفُ الحَـقِّ بِـه مُشَـيَّدَة ... قَواعِـدُ الدّيـنِ بِـه مُمَهَّـدَة
مُعَـرِّفُ الحُـدُودِ وَ الاَحـكامِ ... مُبَيِّـنُ الحَـلالِ وَالحَـرامِ
وَاِنَّـهُ المُبِـدي جَـلالَ اللهِ ... وَهُـوَ مُحَلِّـلٌ حَـلالَ اللهِ
وَهكَـذا مُحَـرِّمُ الحَـرامِ ... وَ يَحفَـظُ الثُّغُـورَ للإسـلامِ
يَـذُبُّ عَـن ديـنِ الإلـهِ دائمـا ... وَ اِنَّـهُ بِالأَمـرِ كانَ قائِمـا
سِـنامُ اَعظَـمٍ وَ بَحـرُ الكَـرَمِ ... وَ باطِـنُ النُّـونِ وَ سِـرُّ القَلَـمِ
بَـدرٌ منيـرٌ وَ سـراجٌ زاهِـرٌ ... شَـمسٌ مُضيئَـةٌ وَضَـوءٌ باهِـرٌ
عَيـنٌ غَزيـرَةٌ سَـحابٌ ماطِـرٌ ... اَرضٌ بَسـيطَةٌ وَ بَحـرٌ زاخِـرٌ

اَلرَّوضَـةُ الخَضـراءُ وَ الغَديـرُ وَ اِنَّـهُ المُشـارُ و المُشـيرُ
اَللهُ لا يَنـزِعُ مِنـهُ رَحمَتَـهُ وَلَـن يُزيـلَ اللهُ عَنـهُ نِعمَتَـهُ
بِنُـورِ مَجـدِ اللهِ قَـد تَكَرَّمـا اِيّـاهُ مِـن بَـردِ اليَقيـنِ اَطعَمـا
وَاِنَّـهُ الاَمانَـةُ المُستودَعَة وَكانَ سِـرُّ اللهِ فيـهِ مُودَعَـة
فَلِلـوَرى بِـه يُتِّـمُ النِّعَمـا وَعَنهُـمُ بِـه يُزيـلُ النِّقَمـا
لأَنَّـهُ مَحَجَّـةُ الرَّحمـانِ عِمـادُ ديـنِ اللهِ وَ الايمـانِ
بِـهِ اسـتَنارَ الخَلقُ فِـى الظَّلامِ وَاِنَّـهُ الحَيـوةُ لِلأَنـامِ
مِنـهُ بَـدَت مَعـارِفُ التِّنزيـلِ وَاُوضِحَـت غَوامِـصُ التَّأويل
اَيَّـدَهُ اللهُ بِجَبرائيـلا اَعانَـهُ اللهُ بِميكائيـلا
وَاِنَّـهُ مُختَلَـفُ الاَمـلاكِ بِيُمنِـه تَحَـرُّكُ الاَفـلاكِ
اِنَّ لَـهُ مُسَـخَّراتٌ كُلَّمـا فى ساحَةِ الاَرضِ وَفى جَوِّالسَّما

مِن مَناقِبِه وَفَضائِلِه

بِكُلِّ شَـيءٍ (الاَشيا) عالِمٌ بِاللهِ وَ مُحيِـىُ المَوتـى بِـاِذنِ اللهِ
مُخاطِـبُ الثُّعبـانِ وَ الذِّئـابِ يُنطِقُهـا لِلحُكـمِ بِالصَّـوابِ
فى كَفِّهِ الكافي لَيَنطِقُ الحِصا بِـه يَطيـرُ الطَّيـرفـي جَـوِّ الهَوا
وَ اِنَّـهُ مُكَلِّـمُ الاَمـواتِ كَلَّمَـهُ الظِّبـاءُ فِـى الفَـلاتِ
وَ هكَـذا السُّـباعُ وَالهَـوامُ كَذالِـكَ الطُّيـوُر وَالاَنعـامُ
يُلَيِّـنُ الحَديـدَ مِن بَطـشِ يَدِه بِـاِذنِ رَبِّـهِ و فَيـضِ مَـدَدِه
يَقـدِرُ طَـىَّ الاَرضِ وَالهَـواءِ وَالمَشـىَ اِن شـاءَ بِفَـوقِ الماءِ
سَـهلٌ لَهُ الذَّرءُ عَلَى الشَّـوامِخِ مِن الجِبالِ الصَّعـبِ وَالبَوازِخِ
قَـد سَـخَّرَ اللهُ لَـهُ الجِبـالَا كَذلِـكَ التِّـلالَ وَ الرِّمـالَا

مَبدَأُ اِمامِته فى عالَمِ الوُجُود

اَللهُ قَـد كانَ وَ مـا كانَ مَعَـه شَـىءٌ مِنَ الاَشـياءِ مِمّا اَبدَعَه

لَمّـا أرادَ يَخلُـقَ البَرِيَّـةَ ... وَ يَخلُـقَ الخَلـقَ بِلارَويَّـةٍ
قَـد خَلَـقَ المَشِـيَّةَ بِنَفسِـها ... مِن قَبلِ اَن يَخلُقَ الاَشـياء بِها
ثُـمَّ لَهـا قَـد جَعَـلَ وِعـاءاً ... اَبدَعَـهُ بِلُطفِـهِ اِبداعـاً
كانَ وِعائُها هُـوَ الاَئِمَّـةُ ... ثُـمَّ نَوالَـهُ عَلَيهِـم عَمَّـهُ
كَوَّنَهُـم رَبّـى بِنُـورِ العَظَمَـة ... فَاِنَّهُـم اسَـمائُهُ المُعَظِّمَـة
لَمّـا بِنُـورِ مَجـدِهِ اَنشَـاَهُم ... كانُـوا وَ لَـم يَكُـن سِـواهُ مَعَهُم
فَاِنَّهُـم صَنائِـعُ الاِلـهِ ... وَالخَلـقُ مَصنُوعاتِهِـم بِـاللهِ
وَاِنَّ تَوقيعـاً بِهـذا قـد صَـدَر ... عَن حُجَّةِ العَصرِ الاِمامِ المُنتَظَر
عَلَيـكَ بِالتَّوقيـعِ فَانظُـر فيـهِ ... رَوى اَبُوعمروٍعَـنِ الفَقيـهِ
اِنَّ الاِمـامَ اَوَّلُ الخَليقَـة ... وَعِلَّـةُ الاِيجـادِ فِـى الحقيقَـة
كانَ اِمـامَ عالَـمِ الاَنـوارِ ... لِلّهِ كانَ مَعـدِنَ الاَسـرارِ
فـى عالَـمِ العُقُـولِ وَالاَرواحِ ... وَعالَـمِ النُّفُـوسِ والاَشـباحِ
وَعالَـمِ الـذَّرّاتِ وَالتَمثـالِ ... وَ بَعـدَ ذا فـى عالَـمِ المِثـالِ
كانَ اِمامـاً وَ وَلِيّـاً هادِيـاً ... وَ حُجَّـةً بِالِغَـةً وَ داعيـاً

اَلكَلام فى بَيانِ عِصمَتِه عَن الخَطاءِ والسَّهوَ والنّسيان

طَهَّـرَهُ اللهُ مِـنَ الذَّنـوُبِ ... بَـرَّاَهُ عَـن رِبقَـةِ العُيُـوبِ
فَهـوَ مُبَـرَّءٌ عَـنِ العاهـاتِ ... مُنَـزَّهٌ عَـن دَنَـسِ الآفـاتِ
قَـد خُـصَّ بالتّطهيـرِوَالطّهارَة ... اُذهِبَ عَنـهُ الرِّجـسُ وَالقِذارَة
وَخُـصَّ بالعِصمَـةِ وَ الوِلايَـة ... شَمسُ ضُحىً فى فَلَكِ الهِدايَة
لَيـسَ لَـهُ سَـهوٌ وَ لا نِسـيانٌ ... يَقظَتُـهُ وَ نَومُـهُ سِـيّانَ
مِـن خَلفِـه يَـرى كَمِـن اَمامِه ... يَسـمَعُ قَـولَ النّاسِ فـى مَنامِه
اَيَّـدَهُ اللهُ بِـرُوحِ القُـدُسِ ... فَما سَـهى شَـيئاً بِها وَلا نَسِـى
وَلَم تَكُن فى اَحَـدٍ مِمَّن مَضى ... هذى سِوى آلِ الرَّسولِ المُرتَضى

فی بَیانِ مَکارِمِ اَخلاقه

جَوهَـرَةٌ مَحمُـودَةُ الخِصـالِ ... مَعـدِنُ کُلِّ الفَضـلِ وَالکَمـالِ
عادَتُـهُ الاِحسـانُ فِـی البَرایـا ... دَیدَنُـهُ الإجـزالُ فِـی العَطایـا
ناهِـجُ مِنهـاجِ رَسُـولِ اللهِ ... وَاِنَّـهُ مُجاهِـدٌ فِـی اللهِ
مُـلازِمُ الصَّبـرِ وَ الاِجتِهـادِ ... وَالنّاصِـحُ الـرَّؤُفُ لِلعبـادِ
مِـن حَدِّ طاعَـةٍ قَضی مـا لَزِمَهُ ... وَعَن مُسـیئٍ غَیظَهُ قَـد کَظِمَهُ
عـافٍ عَنِ النّاسِ مُقَـوِّمُ العِوَج ... وَبِالدّلائِـل مؤَکِّـدُ الحُجَـج
مِـن شَـانِهِ اِصـلاحُ کُلِّ فاسـدٍ ... وَکَسـرُ کُلِّ جاحِـدٍ مُعانِـدِ

فی بَیانِ سیرَتِه

وَاِنَّـهُ العـادِل فـی الرَّعِیَّـة ... مِـن شَـأنِهِ التَّقسـیمُ بِالسَّـوِیَّة
مِـنَ فعلِـه اِقامَـةُ الحُـدُودِ ... وَ اِنَّـهُ مُسـتَاصِلُ الجُحـودِ
مُقَـوِّمُ الزَّیـغِ مُسَـدِّدُ الثُّلَـم ... عَـدُوُّ ظالِـمٍ وَدافِـعُ الظُّلَـم
وَاَقـوَمُ الخَلـقِ بِاَمـرِ اللهِ ... وَاِنَّـهُ حافِـظُ سِـرِّ اللهِ
اَرأَفُ کُلِّ النّـاسِ بِالرَعِیَّـة ... اَعدَلُهُـم فِی الحُکـمِ والقَضیَّةِ
مِـن خَشـیَةِ اللهِ غَزیـرُ العَبـرَة ... فـی صُنـعِ رَبِّـه طَویـلُ الفِکَرة
فـی ظُلَـمِ اللّیـلِ هُـوَ القَـوّامُ ... وَفـی النَّهـارِ اِنَّـهُ الصَـوّامُ
یَبکی بُکاءَ الخائِـفِ الحَزینِ ... مُـلازِمٌ بِالحُـزنِ والاَنیـنِ
فی وَحشَـةِ اللّیـلِ یُناجـی رَبَّهُ ... لَن یَبغِـیَ الدُّنیـا وَاِن بَغَت لَهُ
مُعَظِّـمٌ فـی اللهِ اَهـلَ الدّیـنِ ... وَمُؤثِـرٌ لِلبائِـسِ المِسـکینِ
دَیدَنُـهُ اِصـلاحُ ذاتِ البَیـنِ ... اِجمـاعُ کُلِّ فُرقَـةٍ فـی البَیـنِ
یَـذُبُّ عَـن دیـنِ الاِلـهِ دائِمـا ... بِالحَقِّ بَینَ النّاسِ کانَ حاکِما
یَدعُـو اِلـیَ اللهِ عَلـی بَصیـرة ... کَالمُصطَفی دَعوَتُهُ فی السِّـیرَة
وَاِنَّـهُ اَجـوَدُ کُلِّ النّـاسِ ... لِاَحـوَجِ النّـاسِ هُـوَالمُواسـی

بَـرٌّ رَحيـمٌ حَكَـمٌ رَءُوفٌ غَـوثٌ مُغيـثٌ بـاذِلٌ عَطـوفٌ
وَمَفـزَعُ العِبـادِ فِـى الدَّواهـى بِحَيـثُ رَبُّـهُ بِـه يُباهـى
اِنَّ الاِمـامَ مَعـدِنُ الزّهـادَة وَالقُـدسِ وَالطّاعَـةِ وَالعِبـادَة
لِلّلائِذيـنَ شَـخصُهُ مَـلاذٌ لِلمُسـتَعيذينَ بِـه مَعـاذٌ
لِلقاصِديـنَ اِنَّـهُ دَليـلٌ لِلسّـالِكينَ شَـخصُهُ سَـبيلٌ
لِلمُهتَديـنَ اِنَّـهُ مَنـارٌ يَـدورُ حَقّـاً حَيثُمـا يُـدارُ
لِلطّالِبيـنَ غايَـةُ المُـرادِ لِلعارفيـنَ كَعبَـةُ الاِرشـادِ
لِلمُؤمِنيـنَ والِـدٌ رَحيـمُ وَلِلمُوالـى فَضلُـهُ عَميـمٌ
سِـراجُ وَهّـاجٍ عَلـىَ العِبـاد وَخَيـرُ مِنهـاجٍ اِلـىَ الرَّشـادِ
بِـه مُنَظَّـمٌ نِظـامُ الدّيـنِ يَدعُـو عِبـادَ اللهِ باليَقيـنِ
وَإِنَّـهُ مِن ثَـدىِ الايمانِ ارتَضَع وَ نُـورُ الاِسـلامِ بِـه قَـدِ ارتَفَـع
مُهَيمِـنُ اللهِ عَلـىَ الخَلائِـق اَميـنُ رَبّـِهِ عَلـىَ الحقائِـق
سَفينَةُ النّجاةِ وَالحَبلُ المَتين مُفَرّجُ الهُموم وَالكَهفُ الحَصين
حِفـظُ حُـدُودِ اللهِ مِن سِـماتِه هِدايَـةُ العِبـادِ مِـن صِفاتِـه
وَأَهـلُ ذكـرٍ وَ وَلِـىٌّ الاَمـرِ وَبـابُ حِطّـةٍ وَ اصـلُ الخَيـرِ
وَكانَ فـى دَعوَتِـه لا يَنـكَلُ بِغَيـرِ اَمـرِ رَبّـِه لا يَعمَـلُ
وَاِنَّـهُ النّـارُ عَلَـى المَنـارِ لِلمُصطَلي عَلَـى البِقاعِ الحارِ
مِـن رَبّـِهِ الدَّليـلُ فِـى العِبـادِ وَاِنَّـهُ لِـكُلِّ قَـومٍ هـادِ
وَاِنَّـهُ المُنجـى عَـنِ المَهالِك مَن ضـلَّ عَـن طَريقِـه لَهالِك

طُوبى لِمَن تَمَسَّكَ بَحَبلِ وِلايَتِهم

اَلحمَـدُ لِلّهِ عَلـى نَوالِـه اَشـكُرُهُ شُـكراً عَلـى اِفضالِـه
لِاَنَّـهُ مِـن فَضلِـهِ هَدانـى بِهِـم وَ مِـن طَهُورِهِـم سَـقانى
سَـقانِىَ اللهُ مِـنَ السَّلسـالِ سَلسالِ حُبِّ المُصطَفى وَالآلِ

رُوحـی وَ جِسـمی لَهُـمُ الفِداءُ ... نَفسـی وَ کُلّـی لَهُـمُ الوِقـاءُ
اِنّـی مُوالِـیٌ لِمَـن والاهُـم ... کَـذا مُعـادِیٌ لِمَـن عاداهُـم
حُبّـی لَهُـم ذَخیرَتـی وَ زادی ... عِنـدَ حُضُورِ المَـوتِ و المَعادِ
بِحُبّهِـم اَرجُـو نَجـاةَ الآخِـرَة ... مِـنَ العُقوبـاتِ وَ ذُلّ الفاقِـرَة
سِـواهُمُ لـی لَیـسَ مِن شَـفیعٍ ... اَقـرَبُ عِنـدَ المَلِـكِ المَنیـعِ
لَـو کانَ قَـد شَـفَّعتُهُ لَدَیـهِ ... لِکَـی یَکـوُنَ شـافِعاً اِلیَـهِ
اِنَّ اِلـی رَبِّهِـمُ الوَسـیلَة ... اَحسَنُ مِنهُم لَیسَ فِی الفَضیلَة
فَاِنَّهُـم وَسـیلَتی وَعَونـی ... وَمَلجـأی وَمَفزَعی فِـی الکَونِ

اِظهار النّاظِمِ الآثِم وِلایَتَهُم عَلَیهِمُ السَّلام

بِهِـم تَوَجّهـتُ اِلـی الهـی ... لِیَدفَعَـنَّ عَنّـیَ الدَّواهِـی
وَیَرزُقَـنّ لـی لِقـاءَ الحُجَّـة ... مَـن کانَ لِلدّیـنِ هُـوَالمَحَجَّة
یَجعَلَنـی عَونـاً لَـهُ وَناصِـرا ... وَلَـم اَکُـن فیمـا اُمِـرتُ قاصِرا
مُجَـرَداً سَـیفِیَ لِلقِتـالِ ... اُقاتِـلَ الطُّغـاةَ فِـی المَجـالِ
یَشُـدَّ لـی ظَهـری لِاَن اُطیعَـه ... حیـنَ ظُهُـورِ الدَّولَةِ الوَسـیعَة
بِحَیـثُ لا اَعصیـهِ فـی اَوامِرِه ... وَکُنـتُ جالِبـاً رِضـاءَ خاطِـره

نَفحَةٌ وِلائِیَّةٌ

یا صاحِبی قُم وَاسـقِنیَ طَهورا ... فـی حَبَّـةِ القَلـبِ یَزیـدُ نُـورا
طَهـوُرَ حُـبِّ المُصطَفـی وَآلِه ... مِن کَأسِ مَن غَمِستُ فی نَوالِه
لِاَن یَزیـدَ الشَّـوقَ فِـی الـوِلاءِ ... فَاِنَّـهُ مِـن اَعظَـمِ الآلاءِ
بِحَیثُ یَخلُوالقَلبُ عَن سِـواهُ ... وَ یَنجَلـی مِـن نُـورِ مَـن هَـواهُ
لِکَی تَمُوتَ النَّفسُ بِاختیاری ... وَتُحیـیَ الرُّوحُ بِفَیـضِ الباری
وَیُرجَـعَ العَبـدُ اِلـی مَـولاهُ ... ثُـمَّ یُلَبّـیَ الَّـذی نـاداهُ

طُوبـى لِمَن مِن كَأسِـهِم تَرَوّى ... وَنَفسَـهُ بِحُبِّهِـم فَسَـوّى
ثُـمَّ ارتَقـى بِمُرتَقَـى الكَمـالِ ... وَنـالَ مـا نـالَ مِـنَ الجَـلالِ
هـذا لِمَـن ذاقَ حَـلاوَةَ الـوِلا ... مَـن لَـم يَذُقهـا فَبِـه قَـدِ ابتَلى
لارَيـبَ اَنَّ مُنتَهـىَ المَقـامِ ... يَحصُـلُ مِـن وِلايَـةِ الإمـامِ
وِلايَـةُ الإمـامِ اَصـلُ المَعرِفَـة ... يـا حَبَّـذا نَفـسٌ بِهـا مُتَّصِفَـة
بِحِليَـةِ الـوِلاءِ مَـن تَحَلّـى ... نُـورُ الهُـدى فـى قَلبِـه تَجَلّـى

فى بَيان شَطرٍ مَناقِبِ الامامِ وَفضائِله فَضلاً عَمّا ذُكِرَ

اِنَّ الإمـامَ حُجَّـةُ الرّحمـنِ ... حَياتُـهُ وَمَوتُـهُ سِـيّانِ
لِاَنَّـهُ مِـن بَعـد مَوتٍ لَـم يَمُت ... بَموتِـه فَمِنـهُ شـيئٌ لَـم يَفُـت
حَـيٌّ لَـدىَ اللهِ هُـوَ المَـرزُوقُ ... بِفَيضِـه يَنتَفِـعُ المَخلُـوقُ
وَكَعبَـةُ الآمـالِ بَعـدَ المـوتِ ... عَلىَ الوَرى كَحالِ قَبلِ الفَوتِ
يُشـاهِدُ المَقـامَ مِـن مُقيـمٍ ... وَيَسـمَعُ الـكَلامَ مِـن كَليـمٍ
يَـرُدُّ مَـن حَيّـاهُ بِالسَّـلامِ ... يُكـرِمُ مَـن يَليـقُ لِلإكـرامِ
مِـن قُـربٍ اَو بُعـدٍ لِمنَ يَـزُورُه ... يَـرى وَيَـدري مـا هُـوَ مَنظُـورُه
وَ اِنَّمـا غِيابُـهُ حُضُـورٌ ... لَـو اختَفـى خِفائُـهُ ظُهُـورٌ
مُعَـرِّفُ اللهِ هُـوَ الإمـامُ ... لَـولاهُ لا يَعرِفُـهُ الاَنـامُ
وَكُلُّ مَـن فـى عالَـمِ الإمـكانِ ... كانَ كَـذا فَضـلاً عَنِ الإنسـانِ
مِنـهُ يُفـاضُ الفَيـضُ بِالعِبادِ ... وَاِنَّـهُ يَدعُـو اِلـىَ الرَّشـادِ
فَمَـن اَرادَ رَبَّـهُ يَقصُـدُهُ ... يَقبَـلُ مِنـهُ القَـولَ مَـن وَحَّـدَهُ
اَعطـاهُ رَبّـى قُـدرَةً مِـن قُدرَتِه ... اَظهَـرَ فيـهِ قُـوَّةً مِـن قُوَّتِـه
بِـهِ السَّـماءَ رَبُّـهُ لَيُمسِـكُه ... عَن وَقعِه فِى الاَرضِ فَهوَ ماسِكُه
وَيُمسِـكُ الاَرضَ بِـه ماسِـكُها ... كَـى لا تَميدَ مَـن عَليهـا وَ بِها
بيُمنِـه اَثمَـرَتِ الاَشـجارُ ... بِلُطفِـه اَينعَـتِ الاَثمـارُ

يُنَـزَّلُ الغَيـثُ وَ يُمطَـرُ المَطَـر ... بِـه كَـذَروِ الرّيحِ فـى بَحـرٍ وَ بَرّ
وَيَرعَـدُ الرَّعـدُ بِاَمـرِهِ العَلِـىّ ... وَ يَبـرُقُ البَرقُ بِفَيضِـهِ الجَلِىّ
وَشَـأنٌ عَن شَـأنٍ فَـلا يَشـغَلُهُ ... وَاِنَّ مـا مِـن عَمَـلٍ يَعمَلُـهُ
اِلّا بِـإذنِ رَبِّـهِ الجَليـلِ ... مِـنَ الكَثيـرِ اَو مِـنَ القَليـلِ
كَالـرَّبِّ لا يَخفى عَلَيـهِ خافِيَةٌ ... حَقايِقَ الاَشـياءِ يَدرى ما هِيَه
وَسَـمعٌ عَـن سَـمعٍ فَـلا يَمنَعُهُ ... وَ زِينَـةُ الدُّنيـا فَـلا مَطمَعُـهُ
وَقَـولٌ عَـن قَـولٍ فَـلا يُلهيـهِ ... مَـن شَـأنِهِ العَفوُ لِمَـن يعصَيهِ
وَهـوَ بِمَـن اَحَبَّـهُ قَريـبٌ ... وَبِالّـذِى استَحفَظَهُ رَقيـبٌ
وَاِنَّـهُ فـى فِعلِـه رَشـيدٌ ... بِقَولِـه اِن قالَـهُ سَـديدٌ
لِـكُلِّ مَـن اَطاعَـهُ حَبيـبٌ ... وَلِلَّـذى يَسـئَلُهُ مُجيـبٌ
وَبِالَّـذى خالَفَـهُ حَليـمٌ ... وَلِلَّـذى استَرحَمَهُ رَحيـمٌ
يَـرى بُكاءَ الخائـفِ المَحزُونِ ... يَقبَـلُ عُـذرَ التّائِـبِ المَفتُـونِ
وَاِنَّـهُ فـى عَهـدِه وَفِـيٌّ ... وَفـي وَفائِـهِ هُـوَ القَـوِىُّ
اَجـوَدُ اَهـلِ الجُـودِ والسَّـخاءِ ... اَفضَـلُ اَهـلِ الاَرضِ وَالسَّـماءِ
لِمَـن رَجـاهُ مُنتَهَـى الرَّجايـا ... لِمَـن شَـكاهُ سـامِعُ الشَّـكايا

بَيانُ شَطرٍ مِن فضائِله وَمَناقِبِه

وَاِنَّـهُ سـامِعُ كُلِّ نَجـوى ... مَوضِـعُ كُلِّ حاجـةٍ وَ شَـكوى
مُفَـرّجُ الهُمُـومِ لِلمَهمُـومِ ... مُنَفِّـسُ الغُمُـومِ لِلمَغمُـومِ
لِلمُؤمِنيـنَ لُطفُـهُ عَميـمٌ ... لِلكافِريـنَ قَهـرُهُ عَظيـمٌ
وَ إنّـهُ البَـكاءُ فِـى المِحـرابِ ... وَبَأسُـهُ الشَّـديدُ فـي الضِّرابِ
وَهـوَالّـذى فـى قُربِـهِ لَطيـفٌ ... وَفـى كَمـالِ لُطفِـه شَـريفٌ
لِطالِـبِ العَفـوِيَكُـونُ مَطمعـا ... وَلِلَّـذى يَفـزَعُ كانَ مَفزَعـا
يَكُـونُ لِلمَظلُـومِ عَونـاً دائِمـا ... اَمّـا عَلَى الظّالِـمِ كانَ خاصِما

رَفيـقُ مَـن لَيـسَ لَـهُ رَفيـقٌ ... شَـفيقُ مَـن لَيـس لَـهُ شَـفيقٌ
اِنَّ الاِمـامَ كانَ اَلطَـفَ البَشَـر ... وَفِـى البرايـا لَـم يَكُـن مِنـهُ اَبَرّ
بَيـنَ الـوَرى اَكثَرُهُـم بِشاشَـة ... وَكانَ اَوفىَ النّاسِ فِى الهِشاشَة
اَبعَدُهُم عَـنِ انقِباضٍ مُوحِشٍ ... مُنَـزَّهٌ سـاحَتُهُ عَـن دَهَـشٍ
لَيسَ غَليـظُ القَلبِ ذُو فظاظَة ... وَاِنَّـهُ يَجتَنِـبُ المِظاظَـة
بِمِثلِـهِ فِـى الزُّهـدِ وَ القِناعَـة ... لَم يَلِـدِ الدَّهـرُ كَذَا الشّـجاعَة
شـخصُ الاِمامِ سَـمِحٌ سَخِيٌّ ... عَـنِ العُيُـوبِ كُلِّهـا زَكِـيٌّ
اَصدَقُ كُلِّ النّاسِ فِى اللِّسـانِ ... اَفصَحُهُـم فِى النُّطِـق وَالبيانِ
شـيمَتُهُ اِغاثَـةُ المَلهُـوفِ ... عادَتُـهُ الدَّعـوَةُ بِالمَعـرُوفِ
مِن شَـانِه فـى ظَفَرٍ تَـركُ الفَرَحِ ... وَلَيـسَ مِـن دَأبِهِ اِظهـارُ المَرَح
لا يَطلُـبُ النَّصـرَ بِجـوَرٍ اَبَـدا ... وَغَيـرُ آخِـذٍ مُضِّـلاً عَضُـدا

فى بَيانِ بَعضِ ما نَزَلَ مَن القرآن فى شئونِهِم

اَئِمَّتـى هُـم حُجَـجُ الاِلـهِ ... بَعـدَ مُحَمَّـدٍ رَسُـولِ اللهِ
مِـن بَعـدِ واحـدٍ هُـمُ الوَليجَة ... حَتّـى اَتَـمَّ عَدَّهُـم بِالحُجَّـة
لَيـسَ لَنـا وَليجَـةٌ سِـواهُم ... بَعـدَ النَّبِيِّ وَالّـذِي اصطَفاهُم
خَصَّصَهُم بَينَ الَورى بِالفَضلِ ... فـى قَـولِ فَصلٍ مـا هُـوَ بِالهَزلِ
اَوصافَهُـم بَيَّـنَ فِـى الكتـابِ ... كُلّاً مِـنَ النّعُـوُتِ وَ الاَلقـابِ
عَبَّرَهَـا اللهُ بِتَعبيـراتٍ ... كَـى يُعرَفُوا بِالنَّعـتِ وَالصِّفات
بَيانُهـا قَـد جـاء فِـى الآثـارِ ... عَنِ النَّبِي المُصطَفَى المُختارِ
وَالِـهِ الغُـرِّ الكِـرامِ البَـرَرَة ... عِترَتِـهِ الطّاهِـرَةِ المُطَهَّـرَة
هُـم آلُ ياسـينٍ وَاَهـلُ الذِّكـرِ ... وَالسّـابِقُونَ اَولِيـاءُ الاَمـرِ
اَلحَبـلُ وَالنَّعيـمُ وَالفرقـانُ ... اَلحَـقُّ وَالميـزانُ وَالبَيـانُ
اِنَّهُـمُ المَرجَـعُ وَالمَـآبُ ... وَالنَّخـلُ وَالرُّمـانُ وَالاَعنـابُ

اَلنّـوُرُ والحاميـمُ والطّاسـينُ ... وَالكَعبَـةُ وَ البَلَـدُ الاَميـنُ
وَالذِّكـرُ وَالكتـابُ والقُـرآن ... سَـبعُ المَثانـى وَ كَـذا التِّبيانُ
اَلعَـدلُ وَالبُرهـانُ وَالسَّـبيلُ ... صِـراطُ حَـقٍّ حُجَّـةٌ دَليـلٌ
اَرضٌ سَـماءٌ بَشَـرٌ بَشـيرٌ ... شَـمسٌ ضِيـاءٌ قَمَـرٌ مُنيـرٌ
عَصـرٌ نَهـارٌ وَضُحـىً وَالفَجـرٌ ... شَـفعٌ وَوَتـرٌ وَلَيـالٌ عشـرٌ
وَاِنَّهـمُ مَواقِـعُ النُّجُـومِ ... حَقائِـقُ البُـروُجِ وَالرُّجـوُمِ
وَالفَضـلُ وَالرَّحمَةُ وَالاِحسـانُ ... وَالقِسـطُ وَالنِّعمَـةُ وَالايمـانُ
اَيّـامُ اسُـبوعٍ كَـذَا الشّـهُورُ ... وَبَيـتُ مَعمـورٍ كَـذاكَ الطُّـورُ
وَاِنَّهُـم اَيّـامُ مَعلُومـاتٌ ... وَهكَـذا اَيّـامُ مَعـدُوداتٌ
وَلَيلَـةُ القَـدرِ وَيَـومُ الفَصـلِ ... حَقيقَةُ الحَرثِ وَاَصلُ النَّسـلِ
هُـم شُـهَداءٌ وَاوُلُـو الاَرحـامِ ... بِالقِسـطِ قَوّامُـونَ فِـى الاَنـامِ
اَلعُـروَةُ الوُثقـى وَوَجـهُ اللهِ ... وَالمَثَـلُ الاَعلـى وَاَمـرُ اللهِ
اَسمائُهُ الحُسنى وَبابُ رَحمَتِه ... آياتُهُ الكُبـرى مَجالى حِكمَتِه
اَلجنبُ وَالجانِـبُ وَالحِجابُ ... اَلغَيـثُ وَالمِـدرارُ والسَّـحابُ
اِنَّهُـمُ الصِّيـامُ وَالصَّلـوةُ ... وَالحَـجُّ والجهـادُ والزَّكـوةُ
اَلعَـدلُ وَالتّوحيـدُ وَالمَعـادُ ... وَالنّـارُ وَالجَنّـةُ وَالمِرصـادُ
هُم بـابُ حِطَّـةٍ كَذا السَّـفينَة ... عِندَهُـمُ التّابُـوتُ وَالسَّـكينَة
اِنَّهُـمُ الجِبـالُ وَالاَوتـادُ ... مِـن طُـورِ سـينينَ هُـمُ المرادُ
هُم شُـفَعاءُ الحَشـرِيَومَ الّدينِ ... حَقيقَـةُ الايمـانِ وَاليَقيـنِ
عَبَّـرَ عَنهُـم رَبّهُـم بِالشَّـجَرَة ... دَعاهُـمُ اللهُ كِراماً بَـرَرَة
فِـى الاَرضِ اَصلُها تَكُـونُ ثابِتاً ... وَالفَـرعُ مِنهـا فِى السّـماءِ نابِتاً
طَيِّبَـةً مَيمُونَـةً مُبارَكَـة ... سـابِقَةَ الخيراتِ اَصـلَ البَرَكَة
اِنَّهُـمُ مِشـكوةُ نُـورِ اللهِ ... زَيتُونَـةُ سِـراجِ يَهـدى اللهِ

مِصباحٌ المِصباحُ فی زُجاجَة ... لَیسَ سِواهُمُ لِاَهلِ الحاجَة
بِغَیرِ نارٍ زَیتُها یُضیءُ ... وَما سِواها مِنهُ یَستَضیءُ
وَهُم بُیُوتٌ اُذِنَت لِرَفعها ... عَن رَبِّها لِیُذکَرَاسمُهُ بِها
هُم باطِنُ الکَعبَةِ وَالمَقامِ ... وَالزَّمزَمِ وَالبَلَدِ الحَرامِ
فَحجُّ هذَا البَیتِ لِلّهِ وَجَب ... عَلی مَنِ استَطاعَ مِن غَیرِنَصب
هُم اَهلُ بَیتٍ لِلرَّسُولِ السّامی ... وُدُّهُمُ الواجِبُ لِلاَنامِ
اَجرُ رِسالاتِ رَسُولِ اللهِ ... مَوَدَّةُ ألآلِ عَنِ الاِلهِ
بِوُدِّهِم اَجرُالرِّسالَةِ انحَصَر ... مَن لا یَوَدُّهُم عَنِ الدّینِ کَفَر
اِنَّهُمُ اللُؤلُؤُ وَالمَرجانُ ... اَلرُّشدُ وَالوَلِیُّ وَالاَمانُ
هُم کَلِماتُ اللهِ وَالآیاتُ ... وَبَیِّناتٌ هُنَّ مُحکَماتٌ
الاِذنُ وَالاَذانُ وَالأبوابُ ... اَلیَدُ وَالیَمینُ وَالاَسباب
ماءٌ مَعینٌ وَکَذاکَ نَهرٌ ... قَصرٌ مَشیدٌ کَوثَرٌ وَبَحرٌ
وَبِئرٌ الَّتی هِیَ المُعَطَّلَة ... مَنبَعُها رَحمَتُهُ المُتَّصِلَة
وَآیَةُ المِنّةِ ما جاءَت سِوی ... فی حَقِّهِم مِمَّن عَلَی العَرشِ استَوی
بِاَنَّهُم مِن بَعدِ ما قَد ظُلِمُوا ... لَیَغلِبُنَّ النّاسَ کَی یَنتَقِمُوا
فَیَجعَلُ اللهُ هُمُ الاَئِمَّة ... لِیَحکُموا بِالعَدلِ بَینَ الاُمَّة
وَهوَ یُمَکِنَنَّهُم للدّینِ ... دینِ النَّبِیِّ الصّادِقِ الاَمینِ
کَی یُعبَدَ اللهُ وَلا یُشرَکَ بِه ... فَیُبدِلَنَّ الخَوفَ مِن مُنتَجَبِه
بِالاَمنِ حَتّی یَنصُرَنَّ الدّینَا ... وَیَهدِیَنَّ النّاسَ اَجمَعینَا

٧٥
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

الفضائل العلوية في المعراج النبوي

علي أصغر حدادیان[١] / أمير توحيدي[٢] / السيد محمد رضوي[٣]

الملخّص: معرج النبي الأعظم ﷺ سفرة مادية ومعنوية من الأرض إلى مافوق السماوات السبع، أي: إلى مقام القرب «أو أدنى».. وكانت الغاية والهدف الأساس منه، وبالاستناد إلى الآية الأُولى من سورة الإسراء والآية الثامنة عشرة من سورة النجم رؤية جملة من الآيات الإلهية الكبرى، وقد تضمّن هذا السفر الجليل مشاهدات عدة، منها؛ لقاء الأنبياء والملائكة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والجنة والنار.. ويحوط كلّ ذلك استعراض وبيان لجملة من الفضائل العلوية. والتحقيق الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ استنباط وعرض لهذه الفضائل التي لا تضاهى من الروايات ذات العلاقة بالمعراج بأسلوب تحقيقي كيفي وملاحظة المعلومات المتوفّرة وبطريقة الوصف التحليلي من حيث كيفية البيان وعلى ثلاثة أقسام؛ البيانات والمكتوبات والتجليات.. وبداعي أولوية طبيعة علاقتها من حيث الارتباط بالله تعالى، والارتباط بالنبي الأكرم ﷺ، والارتباط بالخلق.

ومن هنا؛ وبملاحظة الأهمّية القصوى؛ مضافاً إلى الكميّة والكيفيّة الاستثنائية لهذه الفضائل والمقامات، فإنّ الحقيقة المستنتجة تشير إلى أنّ من أهمّ أهداف و غايات المعراج تبيين وتبليغ هذه الفضائل والمقامات، حتى أضحى هذا الإبلاغ من الأركان الاصلية للمعراج. وهذا التحقيق في نهاية المطاف يعنى شرح إحد تلكم الفضائل، أي: لقب (أمير المؤمنين عليه السلام) الخاصّ بالإمام علي عليه السلام، إذ أنه لقب مقدس منحصر به وهو الأكثر جامعية من بين ألقابه عليهم السلام، كما أنّه دالٌّ على الولاية العلوية والخلافة الشرعية والعقائدية الخاصة بالإمام وغير المنفصلة عن النبوة المحمدية.

رموز المصطلحات: المعراج، النبيّ الأكرم ﷺ، الفضائل العلوية، أمير المؤمنين عليه السلام، جبرئيل.

---

١. طالب مرحلة الدكتوراه، مجموعة علوم القرآن والحديث، طهران، جامعة (آزاد).
٢. أُستاذ مساعد، علوم القرآن والحديث، قسم طهران، جامعة (آزاد) الإسلامية.
٣. أُستاد مساعد، مجموعه علوم القرآن والحديث، قسم طهران، جامعة (آزاد) الإسلامية.

مقدمة وبيان مسألةٍ

أُحد المواضيع المهمة التي طالما حظيت باهتمام علماء الاسلام ومفسّري القرآن الكريم؛ موضوع المعراج، وإنّ القرآن وفي الآية الأولى من سورة (الإسراء) والآيات الثمانية عشرة في مطلع سورة (النجم) ذكرت موضوع المعراج بشكل مباشر.. ولا ريب أنّ آيات قرآنية أخرى لها علاقة وثيقة ـ من حيث التفسير والتأويل ـ بمسألة المعراج العظيم..، رغم أنّ علماء المسلمين، وفيما بتعلق بزمان المعراج ومكان انطلاقه وعدد مرّاته وكيفيته (الرؤيا، الروحانية، الجسمانية والروحانية) كانت لهم آراء مختلفة وتصورات عديدة، ولكنهم قد حصل منهم الاتفاق على أصل وقوع المعراج وهدفه الأصلي، مضافاً اِلى قولهم الواحد في أنّ ثَمّ مشاهدات نبوية لبعض الآيات الإلهية الكبرى وموارد أخرى، مثل الاستماع واكتساب الوحي المباشر ورجوع النبي المصطفى صلى الله عليه وآله اِلى موضعه في الأرض، وكل ذلك في ليلة واحدة (الخوارزمي ١/ ١٧٦) إذ حظي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله خلال مسيرته في السماوات السبع وإلى سدرة المنتهى بمشاهدة الأنبياء والملائكة والجنة والنار وغير ذلك مما لا يعلمه مخلوق.. ثم عبوره سدرة المنتهى الى حجب النور ومقام القرب الإلهي (أو أدنى) وكل ذلك محاط بقوله تعالى: (وأنفسنا) في آية المباهلة (آل عمران/ ٦١) لدى بيان العلاقة الوطيدة وغير القابلة للإنكار بين النبيّ الاكرم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما و آلهما السلام.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو؛ هل جرت الإشارة اِلى الفضائل العلوية في خضمّ المعراج النبوي؟ وأيّ فضائل هي؟ وكيف؟

ونقول: إن المعراج بمثابة فرصة مناسبة للتعرّف على الفضائل العلوية.. وخلال المعراج العظيم لم يكن ذكر الفضائل العلوية من جهة الله تعالى فحسب (الحر العاملي، الجواهر السنية ٢/ ٢٤٠) وجبرئيل (القمي، علي بن إبراهيم ٢/ ٣٣٦) والملائكة (ابن طاووس، التحصين / ٢٩٥) والأنبياء عليهم السلام (الحر العاملي، إثبات الهداة ٣/ ٢٠٤) والحور العين (النباطي البياضي ١/ ٢٣٨) قد جرى الحديث عنها وذكرها، بل إن كتابة اسم علي عليه السلام مع ما له من القاب، مثل لقب «أمير المؤمنين» و«ولىّ الله» وغيرهما على أبواب الجنة (المجلسي ٣٧/ ٣٣٩ و ٢٧/ ١١؛ الحلي، كشف اليقين ١/ ٤٥٩) وستائر قصور

الجنة (المجلسي ٤٥/ ١٣٦) وكذا تعدّ من الفضائل العلوية.. وقد شوهدت ملائكة كثر في مختلف السماوات ومقابل عرش الله عزّوجلّ بهيئة وصورة علي أمير المؤمنين عليه السلام وهي تتعبّد وتطمئنّ نفوسها إلى رؤية أشباه الإمام علي عليه السلام (النباطي البياضي ١/ ٢٤٤؛ المجلسي ١٨/ ٣٠٠، ٣٩/ ٩٧) من جملة الفضائل العلوية..

وأعلى وأقدس من ذلك كلمه؛ تكلم الله سبحانه وتعالى بصوت عليّ أمير المؤمنين عليه السلام في مقام القرب (أو أدنى) (البحراني، مدينه المعاجز٢/ ٤٠٢)

وعلى هذا؛ فإن شطراً عظيماً من المعراج النبوي اختصّ ببيان الفضائل العلوية وعرض تجليات ومقامات أمير المؤمنين عليه السلام.

إن الكمّ الكبير من الفضائل العلوية التي عُرفت لدى المعراج.. من شأن كمّها وكيفها الاستثنائيَّين أن تثير في أذهان المخاطبين سؤالاً عن السبب في تحول المعراج إلى ما يمكن تسميته بالحاضنة والوعاء لهذه الفضائل العلوية؟ ولما ذا صار قسم كبير من هذا المعراج العجيب وسيلة لبيانها؟

إن المؤكّد في الأمر برمّته هو أنّ التحقيق وسبر أغوار الفضائل العلوية الخاصّة بواقعة المعراج الجليل يتطلّب تحليلاً وتحقيقاً ودراسة علمية وعقائدية فذّة.[1]

وإنّ نوع أسلوب التحقيق في هذه الدراسة قد اختصّ بطبيعة (الكيف) وما يرتبط بالمعراج من معلومات قد تشكل بصورة مكتبية وبأسلوب الوصف التحليلي.. ولا ريب أنّ النواقص المشهودة فيما سبق من عمل تحقيقي بهذا الصدد بحاجة إلى إعادة نظر

١. مما حصل من تحقيق بخصوص موضوع المعراج النبوي يبدو: (مولوي نيا في كتاب معراج النبي صلى الله عليه وآله، زكي زاده في كتاب معراج النبي صلى الله عليه وآله، السند في كتاب الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى وبيت المقدس، ودستغيب في كتاب معراج: شرح وتفسير سورة النجم وبالاستناد إلى الآيات والأحاديث والروايات وضمن بيان بحوث حول معراج رسول الله صلى الله عليه وآله.. إشارة إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام تحت إطار هذه الواقعة. وفي هذا الصدد كان زكي زاده في كتاب (پژوهشي قرآني وروائي درباره معراج النبي ـ فارسي ـ وفي القسم الثالث تحت عنوان «ولاية در آيينه معراج» (فارسي) الوحيد الذي أورد حكايات فذّة عن أهل البيت عليهم السلام في المعراج، وذلك طي (٥٤ صفحة) وإيراد (٥٤ عنواناً) مع ذكر روايات شاملة للفضائل العلوية في المعراج...

في أحاديث المعراج النبوي.. وإن بداعة هذا التحقيق ـ في إطاره ـ بمثابة أهمّ دلائل ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع.

وهذا التحقيق وعبر استخراج الفضائل العلوية من نصوص الروايات المتعلقة بالمعراج ودراستها وبلحاظ كيفية طرحها وبيانها إلى ثلاثة أقسام؛ البيان والمكتوب والتجلّي، وبداعي أولوية نوع ارتباطها بالأقسام الثلاثة، حيث الارتباط بالله وبالرسول وبالخلق..

٢- عالم الملكوت والفضائل العلوية

المعراج سير في عالم الملكوت وباطن الوجود وحقيقته (الصدوق، الأمالي/١٥٠) وهو غاية السعة في الإمكانات ووفرة الجدارة والفضاء اللّامتناهي؛ ومفعم بالعجائب والجاذبية الفذّة التي لا نظير لها.. وحيث أن الولاية هي الركن الركين وأسُّ الاسلام (المجلسي ٦٥/ ٣٢٩) وأنّ الولاية العلوية مكمل واستمرار للولاية النبوية.. فكان تنظيم وتكريم المقامات العلوية ـ في هذا الإطار ـ ليست ذات قيمة جليلة فحسب، وإنما هي الجابر لعجز عالم الملك عن تبيين هذه الفضائل والمقامات. وبديهي أن ترتيب وتبويب هذه الفضائل من أهمّ مقدمات وأركان عملية التحقيق.

٣- أشكال ومراتب تبيين الفضائل العلوية في المعراج

٣-١: البيانات

ضمن معراج النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، عمد الكثير من الأعلام إلى (الكلام) في مدح الإمام علي عليه السلام والثناء عليه.. وذلك ما ينقسم ـ عموماً ـ إلى أقسام ستّة. وإنّ عديد المتكلمين بهذه المناقب وعلوّ شأنهم ذو أهمّيّة بالغة وبحاجة إلى مزيد الالتفات:

١- البيان الإلهي: أهمّ متكلّم في الفضائل العلوية الخاصّة بالمعراج هو الله تبارك وتعالى، حيث وصف أحد المقامات العلوية بالقول الشريف (أو أدنى) وذلك وصف للمقصد الغائي من المعراج لدى الإشارة إلى علي عليه السلام.. ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى هذا النموذج والمصداق: «قال العزيز عزّوجلّ: فاخترتُ منها علياً عليه السلام فجعلته وصيَّك، فأنت سيدُ الأنبياء وعلي عليه السلام سيدُ الأوصياء» (المجلسي ٢٦/ ٣٠٧).

٢- البيان النبوي: شخص الرسول الأعظم ﷺ كذلك في مواقفٍ من المعراج عمد إلى التصريح بمدح علي عليه السلام، وكنموذج؛ يمكن الاستناد إلى هذه الرواية: «ما خلق الله نبياً أكرم على الله منّي؛ ولا وصيّاً أكرم على الله مِن عليٍّ» (الحر العاملي، الجواهر السنية ٣ / ٥١)

٣- بيان الأنبياء عليهم السلام: وكذلك الأنبياء والمرسلون لدى اجتماعهم الأعظم البهيج في المعراج شهدوا بمنزلة الإمام علي عليه السلام؛ كما ورد في الرواية القائلة: «قل له بمَ يشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، وأنّ علياً أمير المؤمنين» (المجلسي ٣٧ / ٣٣٧). وإنّ في بعض الموارد تكلّم جملة. من الأنبياء ـ على حدةٍ ـ بفضائل سيّد الأوصياء عليه السلام. وفي هذا الإطار ذكرت الرواية الكريمة: «فلمّا صعد به إلى السماء السابعة لقيه عيسى عليه السلام... سأله عن علي، فقال له: خلّفته في أمتي. قال: نعم الخليفةُ خلّفتَ...» (نفسه ١٨/ ٣٠٣)

٤- بيان جبرئيل: جبرئيل عليه السلام الذي هو في زمرة أعاظم الملائكة، والموصوف في الدعاء الثالث من (الصحيفة السجادية) الشريفة بعنوانه أمين الوحي الإلهي، والمطاع في أهل السماوات، وكذا حظوته بالمقام والمنزلة الخاصّة، والمصرّح بعظيم قربه من الله عزّوجلّ.. ورد ذكره في إحدى روايات المعراج: «فقال جبرئيل: اشتاق العرش إلى علي؛ لإكثار الله تعالى الثناء والصلاة عليه، فخلق هذا ـ الملَك العظيم ـ على صورته؛ يسبّح وثوابه لأهل بيتك» (النباطي البياضي ١/ ٢٤٤)

٥- بيان الملائكة: كنموذج يمكن القول إنّ الملائكة الإلهيّين في اجتماعهم الجليل في محضر رسول الله ﷺ في المعراج تحدّثوا عن معرفتهم بعلي عليه السلام وأشاروا إلى حجّه في كل عام في البيت المعمور (الحر العاملي، الجواهر السنيّة ٣ / ٢٠٤) وكذا شهادتهم بأنه خير الوصيّين (نفسه ٣ / ١٧).

٦- بيان حورية علي عليه السلام: لدى دخوله الجنة، التقى النبي الأكرم ﷺ حوريةً وصفت نفسها بأنها قد خُلقت لأجل وصي خاتم المرسلين ووزيره؟ علي بن أبي طالب عليه السلام (نفسه ٣ / ٥٩) وعلى هذا؛ فإن حورية علي عليه السلام قد صرحت في المعراج بفضيلة من فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٣- ٢: المكتوبات:

مفردة «الكتب» في الأصل بمعنى الضمّ (الراغب ٣/ ٢٩٩) وواضح أن «كتب» و«كتاب» في الحديث العام يعني وصل بعض الحروف ببعضها مع الخطّ والكتابة (نفسه ٣/ ٣٠٠) وكذلك ترد مفردة «الكتابة» بمعنى القضاء وصدور الحكم الحتمي والماضي.. كما تطلق على حكم الله القطعي والممضي، أو الحكمة التي قدّرها الله تعالى (نفسه ٣/ ٣٠١) ومن مجموع هذه التعابير يُستفاد بأنّ المراد من «كتب» في أركان الوجود وعلى أجنحة الملائكة والعرش وملزومات ذلك ليس مجرّد الكتابة، وإنما يدلّ هذا الأمر على امتزاج خلقة هذه المخلوقات بباطن هذه الأسماء وما تعلق بها من حكمة البهية، وبما يعني أنّ نظام الله الأحسن في الخلقة والهداية وإدارة الوجود قد شُيّد على أساس الولاية العلوية؛ هذه الولاية المكمّلة للولاية النبوية التي هي انعكاس، عن ولاية الإلهية الحقة.

١- مكتوب على ساق العرش: «كتب على قوائمه: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين...» (المجلسي ٢٧/ ١ و٧٤/ ٤٦)

٢- مكتوب على ساق العرش الأيمن: «فوجدتُ على ساق العرش الأيمن مكتوباً: لا إله إلّا أنا؛ وحدي لا شريك لي، محمد رسولي؛ أيّدتُه بعلي» (نفسه ١٨/ ٣١٢)

٣- مكتوب على ساق العرش: «... يا محمد! أوصيائك المكتوبون إلى ساق عرشي.. أوّلهم عليُّ بن أبي طالب...» (نفسه ٥٢/ ٣١٢).

٤- مكتوب في قلب العرش (بطنانه) (نفسه ٧٤/ ٤٦).

٥- مكتوب على ساق الكرسي (نفسه ٢٧/ ١ و٧٤/ ٤٦)

٦- مكتوب في اللّوح (نفسه).

٧- مكتوب على سدرة المنتهى (نفسه ٧٤/ ٤٦)

٨- مكتوب على جبهة إسرافيل (نفسه ٢٧/ ١ و٧٤/ ٧٦).

٩- مكتوب على جناح جبرئيل (نفسه).

١٠- مكتوب على نواحي السماوات (نفسه)

١١- مكتوب على باب الجنّة: «رأيت مكتوباً عليه: عليُّ بن أبي طالب أميرُ المؤمنين»

(نفسه ٣٧ / ٣٣٩) و: «... على باب الجنّة مكتوباً: لا اِله اِلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليُّ الله...» (الحلّي، كشف اليقين ١ / ٤٥٩).

١٢- مكتوب في البيت المعمور: «إنّ في البيت المعمور لرقّاً من نور، فيه اسم محمد وعلي و...» (الحر العاملي، الجواهر السنيّة ٣ / ٢٠٤).

١٣- مكتوب على الشمس: (المجلسي ٢٧ / ١ و ٧٤ / ٤٦).

١٤- مكتوب على القمر: (نفسه).

١٥- مكتوب في كتب الأنبياء: «فقد أنزلنا عليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك...» (برازش ٨ / ٢٨)؛ «فلمّا عُرج برسول الله ﷺ ليلاً وأبلغ الله رسوله منزلة علي عليه السلام العظيمة لديه، ثم أرجع النبي ﷺ إلى البيت المعمور وجمع إليه النبيين وصلّى بهم جماعة، أُبلغ النبي بمقام علي لديه، وخطر ذلك في ذهن رسول الله ﷺ.. وإذ ذاك أنزل الله الآية الكريمة: (فإن كنتَ في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربّك فلا تكوننَّ من الممترين) (سورة يونس / ٩٤) أي: سلِ النبيين الماضين عما أنزلنا عليك من القرآن في فضائل علي عليه السلام، وكذا ما أنزلنا في ذلك عليهم ولا ريب في أنّ الحق قد جاءك من ربك يا رسول الله. ويواصل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: والله! لم يسرِ الشكُّ اِلى قلبه الشريف.. ولم يسأل النبيين.

١٦- مكتوب على صخرة بيت المقدس: «وجدت على صخرتها مكتوباً: لا اِله اِلا الله، محمد رسول الله؛ أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره. فقلت لجبرئيل: مَن وزيري؟ فقال: علي بن أبي طالب...» (المجلسي ٧٤ / ٤٦).

١٧- مكتوب على قمم الجبال (نفسه ٢٧ / ١ و ٧٤ / ٤٦).

١٨- مكتوب على طبقات الأرضين (نفسه).

١٩- مكتوب على مجرى المياه (نفسه).

٣-٣- التجلّيات

لدى المعراج وبقصد مشاهدة بعض أكبر الآيات الإلهية.. (نفسه ١٨ / ٣٠٨) ويشاهد

أمير المؤمنين عليه السلام في مختلف التجليّات. ومعلوم أنّ أعظم ما يمكن مشاهدته في عالم الوجود؛ هو النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله حيث الملائكة متعطّشة للتشرف في محضره (نفسه ١٨/ ٣٨٧) وهو الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ الخلق طاعة له (نفسه ٢٥/ ٣) ولكن لما تقرّر أن يذهب في المعراج إلى المشاهدة، فإنّ أجدر شيءٍ بالمشاهدة لآيات الله الكبرى.. هو خليفته ووصيه، بل ونفسه الملقّب بـ(آية الله الكبرى) (نفسه ٣/ ٣١٥) ومن هنا؛ كان المعراج هو المساحة العظمى والأكثر جدارة لملامسة المقامات العلوية.

١- نور عليٍّ عليه السلام: يتّضح من الآية الأولى من سورة (الإسراء) والآية الثامنة عشرة من سورة (النجم) أنّ الهدف الأصل من المعراج رؤية بعض الآيات الإلهية الكبرى. فإن فهمنا كلمة «آية» بمعنى «العلامة» فمن الواضح أنّ أهمّ علامة في العلم والثقافة البشرية هي «النور» المؤيد بالقرآن. (النمل/ ٧- ٩، القصص/ ٢٩-٣٠، النور/ ٢٥، طه/ ١٠) وآية ليس النور هو أهمّ ما يشاهده فحسب، بل إنّ مشاهدة كلّ شيء منوطة به وممكنة في مساحته.

«أوحي إليّ أن التفت عن يمين العرش، فالتفتُّ فإذا علي و... المهدي في ضحضاح من نورٍ يصلّون» (الحر العاملي، الجواهر السنية ٢/ ٢٩٤) وفي تصريح نبوي شريف آخر: كان نور علي والأئمة من بعده في المعراج فوق رأس النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قد تجلّى (برازش ٨/ ٣٠) وبتصريح وتأييد الملائكة في المعراج: عليٌّ وشيعته نور حول عرش الله. (الحر العاملي، الجواهر السنية ٣/ ٢٠٤).

٢- نفس عليٌّ عليه السلام: وبتصريح البيان الشريف؛ كان يرى عليّاً في كل سماء وهو يصلّي (برازش ٨/ ٣٢) ويمكن الإشارة إلى حضور علي عليه السلام إلى جانب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مقام «أو أدنى» عنه صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء وبلغت قاب قوسين أو أدنى؛ أوحى الله تعالى إليّ: انظر! فنظرتُ، فرأيت علياً واقفاً معي، ولقد خرقت حُجُبَ السماوت كان عليٌّ واقفاً قائماً يستمع إلى ما يقول الله... (المجلسي ٢٥/ ٣٨٣).

٣- صورة عليٍّ عليه السلام: واجه النبيّ الأعظم في السماء الخامسة صورة علي عليه السلام، وبسؤال جبرئيل عُلِم مدى اشتياق الملائكة إلى زيارة وجه أمير المؤمنين عليه السلام، و هو

الأمر الذي جعل الله سبحانه أن يخلق من نوره القدسي صورة لوجه علي عليه السلام للملائكة في السماء الخامسة. فكان كأنّ علياً عليه السلام بينهم ليلاً ونهاراً، فيزورونه وينظرون إلى وجهه (نفسه ٤٥/ ٢٢٨).

٤- صوت علي عليه السلام: في الغاية القصوى للمعراج، يعني مقام «القرب أو أدنى» واجه النبي صلوات الله عليه وآله إحدى أهمّ التجليات العلوية.. فلمّا سئل صلى الله عليه وآله عن اللغة التي تكلم الله بها معه وخاطبه... قال: كلّمني ربي بصوت علي بن أبي طالب عليهما السلام، ثم ألهمت فقلت: يا ربّ! أنت الذي تخاطبني أم علي؟! فقال الله: أخاطبك بصوت علي ليطمئنّ قلبك. (نفسه ١٨/ ٣٨٦).

٥- مَلَكٌ بصورة علي عليه السلام: «... فخلق الله تعالى هذا الملك على صورة علي بن أبي طالب تحت عرشه، لينظر إليه العرش؛ فيسكن شوقه» (نفسه ٣٩/ ٩٧)؛ «... فخلق الله عزّوجلّ لها ملكاً على صورة عليٍّ...» (الحلي، كشف اليقين ١/ ٤٥٨)؛ «رأى تحت العرش ملكاً على صورة عليٍّ يسبّح...» (النباطي البياضي ١/ ٢٤٤)

٦- مثال عليٍّ عليه السلام: لدى بيانه صلوات الله عليه وآله وقائع المعراج لأمر المؤمنين عليه السلام.. أشار إلى وجود مثاله في المعراج، وقال: أحضر الله تعالى لي مثالك و... وقد كان مثالك ورائي (برازش ٨/ ٣٢). ووجود هذا المثال يؤكّد المعيّة العلوية للنبوة المصطفوية في جميع الشؤون (إلّا النبوّة).

٤- الفضائل العلوية من حيث طبيعة العلاقة

٤-١- العلاقة بالله تعالى

تذكر في هذا القسم من الفضائل العلوية ما تتبين بها طبيعة علاقة الإمام علي عليه السلام بالله تبارك وتعالى:

١- وليّ الله (النمازي الشاهرودي ٣/ ٣٩٩) ٢- حبيب الله (الصدوق، الخصال ١/ ٣١٣) ٣- منتخب الله (المجلسي ٢٦/ ٣٠٧) ٤- مختار الله (الحسيني الاسترآبادي ١/ ٤٩) ٥- جنب الله (ابن شاذان القمي، ٧) ٦- صوت الله (الخوارزمي، ٧٨) ٧- الجدير

برضا الله (٤/ ٢٢٧) ٩- الجدير باسم الله (الكراجكي ٣١٤) ٩- الجدير باسم الله (الكراجكي ٣١٤) ١٠- الجدير بعلم الله (الأربلي ٣٨) ١١- الجدير بسلام الله (النعمانى المغربي، ٤١٥) ١٢- الجدير بثناء الله (المازندراني، المناقب ٢/ ٧٣) ١٣- مجرى رحمة الله (الحسينى البحراني، ٤/ ٦) ١٤- وسيلة معرفة ولي الله وعدوّ الله (المجلسي ١٨/ ٣٤١) ١٥- وسيلة معرفة حزب الله من حزب الشيطان (نفسه) ١٦- وسيلة بقاء دين الله (نفسه) ١٧- وسيلة حفظ حدود الله (نفسه) ١٨- وسيلة إقامة حكم الله (نفسه). ١٩- غضبه عزّة الله (الحكاني ١/ ٤٦٢) ٢٠- رضاه حكم الله (نفسه) ٢١- محبُّه محبُّ الله (المجلسي ٢٤/ ٣٦) ٢٢- عدوّه عدوّ الله (نفسه) ٢٣- الشك به كفرٌبالله (الطوسي ١٤٢) ٢٤- ولايته شرط الإيمان بالله (المجلسي ٣٦/ ٢١٦) ٢٥- محبته وإطاعته شرط التقرّب إلى الله (الحسيني الاسترآبادي ٧٤٩) ٢٦- كرامته عند الله (الموحد الأبطحي ١٧٩) ٢٧- الجدير بالفضائل والكرامات المختصّ بها من قِبل الله (المجلسي ١٨/ ٣٠٠) ٢٨- معيار الطاعة والمعصية لله (البحراني، غاية المرام ١/ ١٨٢) ٢٩- معيار رفض وقبول الأعمال عند الله (الطبري، بشارة المصطفى، ٤١) ٣٠- أسد الله الغالب (المرعشي النجفي ٤/ ٢٧٩).

٢-٤- العلاقة بالنبي ﷺ

وهنا نذكر جملة من الفضائل العلوية التي تبين طبيعة العلاقة العلوية بالنبي الأكرم ﷺ، مع مراعاة النسق السالف:

١- حبيب حبيب الله (المجلسي ٨٩/ ٣٠٤) ٢- أحب الخلق للنبي (القمي، تفسير القمي ٢/ ٣٤٣) ٣- المعية المثالية لعلي بالنبي (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٥/ ٩٢) ٤- إشراف علي على المعراج النبوي (الطبرسي، بشارة المصطفى ٤١) ٥- اتحاد النور العلوي بالنور المحمدي (المجلسي ٢٥/ ٣) ٦- وحدة الطينة العلوية بالطينة المحمدية (نفسه) ٧- خليفة ووصي النبي (الصدوق، كمال الدين ٢٥٠) ٨- وصيّ النبي (القمي، تفسير القمي ١/ ٢١) ٩- أمين الرسول (المجلسي ٨٩/ ٣٠٤) ١٠- أَفضل أخٍ للنبي (الصدوق، علل الشرايع ١/ ١٨٣) ١١- مثل هارون للنبي (نفسه، كمال الدين ٢٥٠) ١٢- والد أبناء النبي (الموحد الأبطحي ١٧٤) ١٣- أكثر الناس طاعة للنبي (الطبري، نوادر المعجزات،

٧٤؛ العروسي الحويزي ٤/ ٤٦٩) ١٤- وزير النبي (المجلسي ٥١/ ٦٨) ١٥- المؤيِّد الالهي للنبي (نفسه ١٨/ ٣٨٨) ١٦- الناصر للنبي (الطبرسي، مكارم الأخلاق ٤٤٤) ١٧- وارث النبي (الصدوق، كمال الدين ٢٥٠) ١٨- وارث علم النبي خاصّة (المجلسي ٥١/ ٦٨) ١٩- وارث رداء النبي الخاصّ بليلة المعراج خاصّة (المحدث النوري ٣/ ٢٧٩) ٢٠- صاحب لواء النبي في يوم القيامه (الحلي، المختصر١٤٠) ٢١- صاحب حوض النبي في القيامة (المجلسي ٥٢/ ٢٧٦) ٢٢- شيعة علي شيعة النبي (الحسيني الاسترآبادي ٧٤٩) ٢٣- محبوعلي محبوالنبي (نفسه) ٢٤- علي وشيعته ومحبوه مع النبي في الجنة (المجلسي ٢٥/ ٣) ٢٥- تعجّب النبي لدى سماعه فضائل علي (نفسه) ٢٧- المتسلم صحائف أعمال العباد من النبي (الصفار ٢١٢) ٢٨- الجدير بجميع العطايا الإلهية للنبي إلا النبوّة (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٥/ ٩٢) ٢٩- كالنمر الغضبان للدفاع عن النبي (ابن طاووس، اليقين ٢٩٨) ٣٠- حق علي على الناس كحق النبي (المجلسي ٥١/ ٦٨).

٤-٣. العلاقة مع الناس

كل فضيلة من الفضائل المذكورة في هذا القسم هي نوع من الفضل والتفوّق العلوي على سائر الخلق؛ وهو الأمر الذي تجلّى بوضوح خلال المعراج النبوي الشريف.. و سنذكرها تواليا كما هو النسق السالف:

١- السيد والمولى (الكوراني العاملي ٩٢٣) ٢- سيد جميع المؤمنين (المازندراني، المناقب ٣/ ٢١) ٣- سيد جميع الأوصياء الإلهيين (المجلسي ٢٦/ ٢٨٦) ٤- سيد جميع المسلمين (ابن طاووس، اليقين ٢٧٩) ٥- حجة الله على العباد (الحر العاملي، الجواهر السنية ٢٣٠) ٦- راية وعَلَم هداية الأُمّة (نفسه) ٧- الكلمة الثابتة والملازمة للمتقين (الجرجاني ٥/ ٢٢) ٨- قائد المتقين و إمامهم (المفيد ١٧٣) ٩- إمام المُبيضّة وجوههم (نفسه) ١٠- إمام أولياء الله (الطباطبائى ١٣/ ٢٠) ١١- إمام أهل الطاعة (نفسه) ١٢- أمير المؤمنين (المجلسي ٣٧/ ٣٣٩) ١٣- نور المطيعين لله (القمي، تفسير القمي ٢/ ٢٤٣) ١٤- أعدل الناس (ابن كرامة ١٠٧) ١٥/ أصلح وخير الناس (نفسه) ١٦- أصدق الناس

(نفسه) ١٧- خير وصي (المجلسي ١٨/ ٣٧٠) ١٨- سفينة النجاة (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٥/ ٨٥) ١٩- قول: يا علي؛ طريق في الجنة (الصدق، الأمالي ٤٧١).

مع أن الفضائل العلوية المشار إليها؛ من حيث الميزان والمعيار ذات أهمية ومراتب متفاوتة، وهذه حقيقة غير قابلة للإنكار، إلا أن هذه الدراسة لم تعمد إلى حذف أيّ منها بلحاظ قصد جامعيتها.. ومن جهة أخرى؛ يحدث تارة أن تطرح فضيلة من الفضائل بأسلوب يقلل من أهميتها، وذلك بداعي الضعف في فقه الحديث ولحن القول. وكمثال على ذلك ؛ نجد أن الفضلية الخامسة عشرة «وراث رداء النبي الخاص بليلة المعراج» غير قابلة للقياس مع الفضائل العلوية الأُخرى.. ولكننا إذا أمعنّا النظر في رمزية هذا الرداء المحمدي العظيم.. نجده رمزاً للجدارة والعزة وقابلية (المعية) العلوية من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥- أمير المؤمنين عليه السلام

إحدى الفضائل العلوية، وهي من ألقابه عليه السلام الخاصة، لقب «أمير المؤمنين» وقد كشف النقاب عن هذا اللقب العظيم، والمنزلة الجليلة لعلي عليه السلام في المعراج النبوي، وقد جرى بيانه بعد المعراج...

٥-١. معرفة المصطلحات

الأمر في اللغة بمعنى القانون والفرمان، أو بمعنى القدرة والسلطة.. ومن هنا؛ يطلق عنوان «أولوا الأمر» على الأعيان وكبار القوم ومتولّي الأُمور.. و«صاحب الأمر والنهي» يعني صاحب القدرة والقدرة المطلقة.. والأميرِ بمعنى القائد العسكري ومتولّي الأُمور.. وأمير المؤمنين بمعنى إمام وقائد المؤمنين (قيّم ١/ ٢٧٠). والأمير على وزن: فعيل، وهي صفة مشبّهة، وتطلق على الشخص ذي الصفة الثابتة والمتكرّسة فيه.. إذن: فأمير المؤمنين، يعني: الشخص الرئيس والقائد من حيث الإيمان (الحسيني الطهراني ٢/ ٣٥).

وفي الرواية أدناه نلاحظ عبارة أخرى في وجه تسمية الإمام علي عليه السلام بأميرِ المؤمنين، قال أحمد بن عمر: سألت الإمام الكاظم عليه السلام وقلت: لم سُمّي أميرَ المؤمنين؟ قال: «لأنه يميرهم العلم، أما سمعتَ في كتاب الله: (ونميرُ أهلَنا)» (المجلسي ٣٧/ ٢٩٣)

إن مصطلح (الأمير) وبالنظر إلى المعنيين يمكن أن يدلّ على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ليس مجرد متكفل الرزق المادي والآمر للمؤمنين، وإنما هو المقسّم للرزق المعنوي.

٥-٢. أهمّيّة هذا اللّقب

(أمير المؤمنين) أحد أهم وأجلى ألقاب الإمام علي عليه السلام، وله ميزته الخاصّة من بين سائر الألقاب، من قبيل «سيد المسلمين» و« يعسوب الدين» و«قائد الغرّ المحجّلين» و«قاتل الفجرة» و«خليفة رسول الله» و «وصيّه» و«وزيره» ويحظى بالدرجة الأعلى، ولهذا؛ وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمر المسلمين بالسلام على الإمام علي عليه السلام بهذا اللقب الشريف والتحية له (الحسيني الطهراني ٢/ ٣٥).

وتصريح النبي الاكرم صلوات الله عليه وآله في خطبة الغدير يبيّن أنّ أحد شروط الفلاح بعد مبايعة الإمام وقبول ولايته هو السلام عليه بهذا اللّقب. وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس؛ السابقون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين، أولئك هم الفائزون في جنّات النعيم» (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٢/ ٥٣).

والمسألة ذات الأهمّيّة القصوى لهذا اللقب أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لمّا بلغ أعلى وأسمى مرحلة من المعراج، مقام قرب (أو أدنى) وفي تلك الخلوة، حيث لم يؤذن لجبرئيل الأمين بدخولها، وبعد نزول قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى) سمع الله عزّوجلّ يقول: «يا محمد! اقرأ عليَّ بن أبي طالب أمير المؤمنين» (المجلسي ٣٧/ ٢٩٠).

وقد ورد في الزيارة السابعة للإمام علي عليه السلام في (مفاتيح الجنان): «السلام على مَن خاطبه جبرئيل بإمرة المؤمنين بغير ارتياب» (القمي، مفاتيح الجنان، ٥٩٨).

٥-٣. أمير المؤمنين؛ المخاطَب الأفضل

إن هذا اللقب ليس عنواناً اعتبارياً، وإنما هو بيان حقيقة وكشفٌ عن سرٍّ موجود في شخص الإمام علي عليه السلام، إذ مهما يضاف الأمير والرئيس إلى شيء، فإنّه راجع إلى معنى وحقيقة ذلك الشيء. فأمير الجيش، يعني ذلك الشخص المقدّم ـ من حيث العلم والفنّ العسكري ـ على جميع أفراد الجيش. وأمير الأُمراء، يعني ذلك الشخص

المقدم على سائر الأُمراء.. قال ابن عباس: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «ما أُنزل الله آيةً فيها (يا أيها الذين آمنوا [في معرض المدح والثناء] إلّا وعليٌّ عليه السلام رأسها وأميرها» (المجلسي ٣٥ / ٣٥٢).

٤-٥. أمير المؤمنين بعد الشهادتين

وجود أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الشؤون باستثناء النبوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وجود فعلي وتفصيلي عام. (المجلسي ٢٥ / ٣)، بالطينة (نفسه) والجذر والأصل (القمي، مفاتيح الجنان ٨٢)؛ فالاثنان واحد، بل إنّ وحدتهما قد عبّر منها القرآن الكريم بـ(النفس الواحدة) (آل عمران / ٦١) في الاجتماع العظيم للأنبياء والمرسلين والصلاة الجليلة في المعراج خلف رسول الله صلى الله عليه وآله.. كان الإصرار على الشهادة بالولاية العلوية بعد الشهادتين. آية: «... أكملتُ...» (المائدة / ٣) بل إنّ اِكمال الدين وإتمام النعمة منوطان بالإيمان والشهادة بالولاية العلوية.. وإن مجموع هذه البحوث ومحتوى الحديث أدناه (وفضلاً عن بيان فضيلة من الفضائل العلوية) فيه الدلائل الواضحة على لزوم الشهادة الثالثة في الأذان

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فإذا قال أحدكم: لا اِله اِلا الله: محمد رسول الله، فيقل: عليٌّ أمير المؤمنين وليُّ الله» (الطبرسي، الاحتجاج ٨٣)

٥-٥. المعراج وأمير المؤمنين

هذا اللّقب الأجل قد جرى على لسان الله تبارك وتعالى وجبرئيل والملائكة والأنبياء وحورية علي عليه السلام وهو ـ لقب أمير المؤمنين عليه السلام ـ مكتوب على أبواب الجنان الثمان (المجلسي ٣٧ / ٣٣٩) وقد ورد في رواية ابن عباس: والله! لم نقل لعليٍّ أمير المؤمنين حتى سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله أميرَ المؤمنين (نفسه).

١-٥-٥. انحصار لقب أمير المؤمنين:

في اَقصى نهايات مقصد المعراج، يعني: مقام القرب أو أدنى، وبعد صدور الأمر بلقب أمير المؤمنين عليه السلام، وجدنا الله عزّوجل يحصر هذا اللقب بعلي عليه السلام فقط، فقال سبحانه: «فما سمّيتُ به أحداً قبلَه ولا أُسمّي بهذا أحداً بعدّه» (نفسه، ٣٧ / ٢٩٠)

وقد أشار النبيّ الأعظم ﷺ في خطبة الغدير لدى بيانه حصر هذا اللّقب الشريف بعلي عليه السلام فقال: ألا! إنه لا «أمير المؤمنين» غير أخي هذا»(الحلي، العُدد القوية ١/ ١٧٤). وبهذا الصدد، لمّا سئل الإمام الصادق عليه السلام عمّا إذا كان الإمام القائم عليه السلام سيسلِّم عليه بإمرة المومنين؟ قال: لا، فإن هذا الاسم خاصّ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، ولم يجعله لأحدٍ سبقه، ولن يسمّي أحدٌ بعده نفسه اِلا كافر (المازندراني، شرح أصول الكافي ١/ ٤١١).

وعليه؛ فهو لقب منحصر بفرد واحد، وهو الإمام علي عليه السلام، بل إنه لم يستعمل في وصف النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله.. وكذا الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم من نسل الإمام علي عليه السلام، حيث لم يتعلّق بواحد منهم (المجلسي ٣٧/ ٢٩٠).

اِن حصر لقب «أمير المؤمنين» بعلي عليه السلام لا يتعارض المقامات النبوية المحمدية، وذلك أنّ النبيّ ﷺ قد شهد بما كان في مقام القرب (أو أدنى) وفي تلك الخلوة الإلهية الخاصّة كان علي عليه السلام يحمل عنوان المطيع الأكبر والأحرص لرسول الله ﷺ (نفسه ٢٥/ ٣) وكذا بخصوص سائر الائمة عليهم السلام، وذلك أنّ أمير المؤمنين ـ في بعض الروايات ـ هو الخليفة بلا فصل.. وهذا من خصوصيات الإمام علي عليه السلام.

اِن مساحة اِمارة أمير المؤمنين علي عليه السلام قد شملت ووسعت جميع السماوات والأرضين، أي أنه فضلاً عن مؤمني الأرض، فإنّ جميع سكان السماوات هم من زمرة المؤمنين وتحت إمرته عليه السلام، كما أن مدة هذه الإمارة تشمل ما كان وجميع ما يكون من المؤمنين، كما ورد في الحديث النبوي الشريف القائل: «فأنت يا علي أمير من في السماء وأَمير من في الأرض، وأمير مَن مضى وأَمير من بقى، فلا أمير قبلك ولا أَمير بعدك» (الحر العاملي، إثبات الهداة ٢/ ١٦٠)

٥- ٢-٥. أمير المؤمنين وابنية نظام الوجود

تتناول الروايات الشارحة للمعراج شرح أبنية خلقة الوجود والملكوت أيضاً، كما يفهم من الرواية الكريمة الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث أشارت اِلى أنّ عبارة «عليٌّ اَمير المؤمنين» قد اقترنت بعبارتي «لا اِله اِلّا الله» و«محمد رسول الله» حيث كتبها الله عزوجل

على أركان العرش ومجرى الماء وقواعد الكرسي واللوح وجبهة إسرافيل وأجنحة جبرئيل وأكناف السماوات وطبقات الأرض وقمم الجبال وعلى الشمس والقمر.

وإنّه لواضحٌ جدّاً أنّ جملة «كَتَبَ على» لا توحي بمجرد الكتابة والتدوين بالقلم ـ مثلاً ـ وإنما هي دالّة على أن أساس بنيان الوجود وأصل الخلقة قد جعله الله تعالى قائماً على هذه الحقيقة (الطبرسي، الاحتجاج ٨٣)

٥- ٥- ٣. السلام على أمير المؤمنين

لمّا وصل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مقام القرب أو أدنى، أمره الله تعالى أن يسمّي علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين (المجلسي ٣٧ / ٢٩٠) وإن هكذا اَمر وفي تلك المرحلة من المعراج حيث لا مرحلة أسمى منها .. يستلزم أهمية لا توصف..

وأدناه تتناول رواية كريمة خاصة بالأمر بالسلام على عليِّ بن أبي طالب عليه السلام بلقب إمير المؤمنين..

روى ابن عباس عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قال: كنّا نحن مارّين في أزقّة المدينة يوماً اِذ اَقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» فقال: «وعليك السلام يا أمير المؤمنين، كيف أصبحتَ؟» فقال: «أصبحتُ ونومي خطرات ويقظتي فرغات وفكرتي في يوم الممات»

قال ابن عباس: فعجبت من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام، فقلت: يا رسول الله! ما الذي قلتَ في ابن عمّي.. أ حُبّاً له أم شيئاً من عند الله؟ قال: «لا والله ما قلت فيه شيئاً اِلّا رأيت بعيني». قلت: وما الذي رأيت يا رسول الله؟ قال: «ليلة أُسري بي في السماء؛ ما مررت بباب من أبواب الجنة اِلّا ورأيت مكتوباً عليه: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين من قبل أن يُخلق آدم بسبعين اَلف عام» (نفسه ٣٧ / ٣٣٩).

وبالنظر اِلى هذا الحديث، وهو من غرر أحاديث وروايات شيعة أهل البيت عليهم السلام، تتناول جملة أسئلة لإيضاح مفاده، ولدى الإجابة عليها نتّجه اِلى تحليل هذا الحديث الشريف.

١- لماذا يكشف عن هذا اللقب العظيم في المعراج خاصّة؟
٢- لماذا كتبت على جميع أبواب الجنان هذه العبارة؟
٣- لماذا كان علي عليه السلام أَميراً للمؤمنين قبل خلقة آدم بسبعين ألف عام؟
٤- لماذا جرى التأكيد والإشارة اِلى هذه السبعين ألف عام؟

جواب السؤال الأول: انّ أولوية وعظمة لقب (أمير المؤمنين) ما يلزم أن يبيّن ويؤكّد عليه في مرتبة عظيمة من عالم الملك، أي: مساحة عالم الملكوت الواسعة. بل إن جميع المسائل والفضائل التي شهدها المعراج اِنّما كانت للارتقاء والارتفاع بمقولة المعراج باعتبارها ذات منزلة أسمى وأرقى.

جواب السؤال الثاني: الكتابة على باب كل ملكٍ، أو ما يعرّفه المالكون، أو في هوية محبوبي الساكنين، وبالنظر اِلى التدقيق في معنى (أمير المؤمنين) وكتابة هذه العبارة على أبواب الجنان الثمان إشارة اِلى إمامة الإمام علي عليه السلام للجنة وأهلها، ولا ينبغي المرور من هذا المطلب اللطيف والظريف، حيث يكتب على باب المِلك على سبيل الحرز والحراسة والحفظ.. ومن هنا؛ يمكن أن يقال اِنه بعد الإيمان بالتوحيد والرسالة؛ فإن كمال الحفظ والحراسة وأَمان الجنة وأهلها منوط بالإيمان بإمارة مولانا الإمام علي عليه السلام.

وبهذا الصدد؛ ورد في الحديث النبوي الشريف: «إنّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح من الذهب، فإذا دُقّت الحلقة على الصفيحة؛ طَنّت وقالت: يا علي!» (الصدوق، الأمالي ٤٧١)

وقال الجوادي الآملي عن الطباطبائي: قال الطباطبائي في شرح هذا الحديث وإنه لماذا أصبح صوت حلقة باب الجنة: «يا علي»: حينما يدخل الضيف بيتاً ينادي صاحب البيت، فإن كان لهذا الأخير اسم معين، فاِن الضيف يناديه باسمه.. وإن صاحب الجنة ومضيافها علي بن أبي طالب عليهما السلام.. ومن هنا؛ كان صوت حلقة باب الجنة أيضاً: «يا علي»؛ إذ كلّ من يذهب اِلى الجنة إنما هو تحت مظلّة اِمام أهل البيت.. ولولا الأنوار العلوية الطيبة، فإنه لا أحد قادر على طيّ طريق الجنة.. وإننا لنشعر شعوراً كاملاً بما إذا كنّا في الطريق اِلى الجنة أم لا، وما اِذا كانت أبوابها ستفتح لنا أم لا! (جوادي آملي ٢٥٤).

جواب السؤال الثالث: إن المساحة الزمانية لإمارة الإمام علي عليه السلام على المؤمنين أوسع وأشمل تاريخ الحياة البشرية، ولها جذورها الضاربة في مطلع الخلقة والخليقة، وفي أنّ علياً كان اَمير المؤمنين قبل خلقة آدم عليه السلام بسبعين ألف سنة إشارة اِلى النسبة الإلهية، وإن اصطفاء عليٍّ عليه السلام قبل بدء الخلقة والخليقة تؤيّده روايات جمّة تحدثت عن خلق نور علي عليه السلام ووجوده قبل الخلقة.. وفي ذلك الإشارة والدلالة على أن علياً عليه السلام بكونه أميراً للمؤمنين لم يكن لمجرد منصب سياسي، وإنما هو لمنصبٌ تكويني وملكوتي؛ يرجع تاريخه اِلى مطلع الخلقة واللّحظة التي أراد الله عزوجل أن يُعرف، وذلك ما استغرقته السنون القديمة لتكون إمامته وإمارته على جميع أهالي الجنان الثمان..

جواب السؤال الرابع: من الواضح والمعلوم أن عدد (٧٠) يراد به الكثرة والكمال في الاستعمال اللغوي والبلاغي.. فكان هذا العدد من مظاهر الكثرة والكمال والمكمّل لهذه الحقيقة التي تحت الإشارة إليها، فالعدد هذا مستغرق لمساحة زمنية أوسع وأشمل من الحدّ والحساب المتعارف عليها بشرياً.. مضافاً اِلى أن كلمة (سنة) الواردة في الأحاديث والروايات أكبر من كلمة (يوم أو شهر) لتكتمل بذلك صيغة المبالغة.. وبهذا الدليل إشارة وتأكيد على هذا العدد السابق لخلقة آدم عليه السلام، وفيه آية التقديم والتقدّم والتثبيت والإثبات والتحكيم والاستحكام لهذا الحكم الإلهي العتيد، مضافاً اِلى الجامعية والمعانعية الكافية والوافية والأحسن والأجمل وغير القابل للاستبدال والاستعاضة بشخص آخر..

وابن عباسٍ الذي هو ابن عمّ النبي والأمير صلوات الله عليهما وآلهما، وهو الذي لدى المقايسة بكثير من الصحابة يفوقهم في معرفة النبي والأمير عليهما وآلهما السلام.. قد اعتراه الريب في قضية الانطباق والاتحاد فيما يرتبط بالمحبة النبوية مع المحبة الإلهية، كما اعتراه العجب في منزلة الإمام علي عليه السلام.. وكأنّه اتّهم النبي صلى الله عليه وآله بالعمل والقول حسب ميوله الشخصية وبكونه صلى الله عليه وآله غير معصوم وأنه ينطق عن الهوى! وتعجّبه إزاء هذا اللقب العلوي الشريف ـ أمير المؤمنين ـ آية ضعفه النفساني إزاء قبول هذه الإمارة.. فإذا كان ابن عباس بهذه الصفة والموقف، فكيف سيكون موقف وصفة غيره ممن هم أكثرية صحابة النبي صلى الله عليه وآله؟!

مثال ذلك؛ ما ورد في تفسير الآية الأولى من سورة (المعارج) في التفاسير الروائية (برازش ١٧/ ١٦) حيث نواجه من كان على استعداد لتقبّل العذاب الإلهي دون تقبل الولاية والإمارة العلوية، لا لسبب إلا البغض لعلي عليه السلام.. كما أن ممن عبائر دعاء الندبة الشريف ما تفصح عن هذه الحقيقة المريبة في ميل قلوب الغالبية الغالبة من رجالات العرب إلى الأخذ بثارات بدر وخيبر وحنين وغيرها من شخص على عليه السلام وعدم قبولهم فضائله وحقوقه.. (القمي، مفاتيح الجنان ٨٨٤). وبهذه الاستنتاجات يبدو أنّ المعراج كان ـ وما يزال ـ يمثّل فرصة للتعاطف مع النبي الاكرم صلى الله عليه وآله إزاء كل ذلك العداء وتعمد تجاهل الناس علياً عليه السلام وفضائله وضرورة محبته والولاء له في الملكوت الأعلى؛ من الأشياء إلى الأنبياء والملائكة وأخيراً إلى الله عزّوجل.. لأجل تثبيت وطمأنة الرسول ونشر البهجة في قلبه الشريف (المجلسي ١٨/ ٣٨٦) وإن هذا المنحى الإلهي قد شهدت به وعليه سور (الضحى) و(الانشراح) و(الكوثر)؛ هذا بالإضافة إلى مسألة إلقاء الحجج المتتالية على الخلائق، لئلّا يقول قائل في يوم القيامة: قد كنّا عن هذا غافلين...

٦- محصّلة المقال

٦- ١: إن جميع المسائل والفضائل المشار إليها في المعراج لها المدخلية في الارتفاع بمقولة المعراج بحد ذاته.. فالمعراج كام متضمّناً لآيات التعالي والتشريع وسعة الإمكانات والقابليات الوفيرة، كما كان مفعماً بأسباب العجب والتعجب.. ولذا؛ فإن تعظيم وتكريم المقامات والفضائل العلوية في آفاق المعراج كان له الدور المباشر في إظهارها بما لا يسمح به عالم الأرض في تبيين هذه الفضائل العلوية الفذّة.

٦- ٢: أنّ المعراج انعكاس لفرائض العبادة (أسرى بعبده) (الإسراء/ ١) وكذا: أرقى مراتب العبادة (فكان قاب قوسين أو أدنى) (النجم/ ٩) فالأمر هذا سبب للتقرب، مضافاً إلى كونه رمزاً، وعلى هذا؛ فإن استعراض مقامات وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام من بدء المعراج إلى منتهاه ـ الذي لا يمكن للعقل البشري تصوّره كما هو ـ يشير إلى أنّ ذكر وسماع ورواية الفضائل والمدائح العلوية من أهمّ أشكال العبادة وأرقاها...

٦- ٣: أنّ أهمّيّة وأولوية بعض الفضائل العلوية، مثل لقب (أمير المؤمنين) ينبغي أن تُبيّن وتطرح ضمن مراتب تفوق عالم الملك، وبما يلائم سعة عالم الملكوت.

٦- ٤: أن المعراج برمّته متّكىء على الناحية الملكوتية والتكوينية وقِدَمِ الفضائل العلوية.

٦- ٥: خلال طيّ مراحل المعراج النبوي المتعدّدة كانت كثرة المصرّحين بالفضائل العلوية وعلوّ شأنها (من الله والرسول وجبرئيل والانبياء والملائكة وحورية علي عليه السلام) وكذا وفرة النصوص المقدسة في هذا المجال، وكثرة التجليات العلوية، لا تدلّ على أولوية وعظمة وأهمية هذه الفضائل والمقامات فحسب، وإنما تشير إلى أنّ أحد أهمّ أهداف معراج النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو بيان وإبلاغ هذه الفضائل.. فكان ذلك من الأركان الأصلية للمعراج المقدس.

٦- ٦: حيث كان المعراج الذي هو تجلي لاشتياق عالم الملكوت للإمام علي عليه السلام، وبمثابة أعظم اجتماع للرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله مع الأنبياء والملائكة للشهادة بالولاية العلوية، وأخيراً كونه ـ المعراج ـ موضع تجلي الحب الإلهي والمحمدي اللامتناهي لأمير المؤمنين عليه السلام.. يمكن أن يمثل فرصة مناسبة لطمأنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتعاطف معه في مقابل كلّ ذلك العداء وكلّ ذلك التجاهل الشيطاني من جهة الناس إزاء أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله..

٦- ٧: إن لقب (أمير المؤمنين) قد صدر للإمام علي عليه السلام في المعراج .. هذا اللقب الذي يُعدّ أكثر جامعية من بين سائر ألقابه الجليلة، وهو الدالّ على الولاية العلوية والخلافة المباشرة للنبي الأكرم صلوات الله عليه وآله.. فأن يؤمر المسلمون ـ بكافّة أجيالهم وإلى يوم القيامة ـ بالسلام على عليٍّ بلقب (أمير المؤمنين) وفيه المزيد الدالّ على ذلك..

مصادر البحث:

القرآن الكريم

ابن شاذان القمي، محمد بن أحمد بن الحسن (مئة منقبة في فضائل ومناقب أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام) قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ١٤٠٧ ق.

ابن طاووس، علي بن طاووس (التحصين) قم، مؤسسة دار الكتاب ١٤١٣ ق.
نفسه (اليقين) قم، مؤسسة دار الكتاب ١٤١٣ ق.
ابن كرامة، شرف الاسلام بن سعيد المحسن (تنبيه الغائلين عن فضائل الطالبيّين) تحقيق السيد تحسين آل شبيب. قم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ١٤٢٠ ق.
الأربلي، علي بن عيسى (كشف الغمة) تبريز، مطبعة مكتبة بني هاشمي ١٣٨١ش.
البحراني، هاشم بن سليمان (مدينة معاجز الأئمة الأثني عشر) قم، مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣ ق.
نفسه (غاية المرام وحجة الخصام) بيروت، مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٢ق.
برازش، علي رضا (تفسير أهل البيت عليهم السلام) طهران، أمير كبير ١٣٩٤ ش.
الجرجاني، ابو المحاسن (تفسير گازر) طهران، مطبعة دانشگاه طهران ١٣٣٧ ش.
جوادي آملي، عبد الله (حكمت عبادت) قم، الإسراء، ١٣٧٨ ش.
الحر العاملي، محمد بن الحسن (الجواهر السنية في الأحاديث القدسية) بيروت، مؤسسه الاعلمي ١٤٠٢ ق.
نفسه (اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات) بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٤٢٥ ق.
الحسكاني، الحاكم (شواهد التنزيل) طهران، مؤسسة چاپ و نشر ١٤١١ ق.
حسيني استرآبادى، شرف الدين (تأويل الآيات الظاهرة) قم، جامعة المدرسين ١٤٠٩ ق.
حسيني الطهراني، سيد هاشم (تفسير البرهان) طهران، بنياد بعثت ١٤١٥ ق.
حسيني الطهراني، محمد حسين (إمام شناسي) مشهد، مؤسسة علوم و معارف اسلام ١٤٢٢ ق.
الحلي، حسن بن سليمان (المختصر) قم، منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٧٠ ش.
الحلي، حسن بن يوسف (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) طهران، ١٤١١ ق.
الحلي، علي بن يوسف (العُدد القوية لدفع المخاوف اليومية) قم، مكتبة المرعشي ١٤٠٨ ق.
الخوارزمي، موفق بن احمد بن محمد (المناقب) قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١١ ق.
الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد (مفردات ألفاظ القرآن) بيروت، دار الشامية ١٤١٢ ق.
الصدوق، ابن بابويه القمي (الخصال) قم، جامعة المدرسين ١٤٠٣ ق.
نفسه (الإمالي) طهران، انتشارات إسلامية ١٤٠٤ ق.
نفسه (كمال الدين) قم، دار الكتب الإسلامية ١٣٩٥ ق.
نفسه (علل الشرايع) قم، مكتبة الداوري ١٣٨٥ ق.
الصفار، محمد بن الحسن (بصائر الدرجات) قم، مكتبة المرعشي ١٤٠٤ ق.
الطباطبائي، محمد حسين (تفسير الميزان) قم، انتشارات طباطبائي ١٣٧٦ ش.
الطبرسي، ابو منصور أحمد بن علي (الاحتجاج) مشهد، نشر مرتضى ١٤٠٣ ق.
الطبرسي، رضي الدين حسن بن فضل (مكارم الأخلاق) قم، انتشارات شريف رضي ١٤١٢ ق.

الطبري، عماد الدين (بشارة المصطفى) النجف، المكتبة الحيدرية ١٣٨٣ ق.
الطبري، محمد بن جرير (نوادر المعجزات) قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ١٤١٠ ق.
الطوسي، ابن حمزة (الثاقب في المناقب) قم، مؤسسة أنصاريان ١٤١٢ ق.
عروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة (تفسير نور الثقلين) قم، اسماعيليان ١٤١٢ ق.
الفيض الكاشاني، ملا محسن (تفسير الأصفى) قم، دفتر تبليغات إسلامي ١٤١٨ ق.
نفسه (تفسير الصافي) مشهد، دار المرتضى ١٤١١ق.
القمي، عباس (مفاتيح الجنان) طهران، نشر الهادي ١٣٧٩ ش.
القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم (تفسير القمي) قم، دار الكتاب ١٤٠٤ ق.
قيّم، عبد النبي (فرهنگ معاصر عربي به فارسي) طهران، نشر فرهنگ معاصر، ١٤٠٠ ش.
الكراجكي، ابو الفتح محمد بن علي (كنز الفوائد) قم، مكتبة المصطفى ١٤١٠ ق.
الكوراني العاملي، علي (العقائد الإسلامة) أربع مجلدات، قم، مركز المصطفى ١٤٢٢ ق.
المازندراني، ابن شهر آشوب (مناقب آل أبي طالب عليهم السلام) قم، مؤسسة انتشارات علّامة ١٣٧٩ ق.
المازندراني، محمد صالح بن احمد (شرح أصول الكافي) طهران، المكتبة الإسلامية ١٣٨٢ ق.
المجلسي، محمد باقر (بحار الأنوار) بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٤ق.
المرعشي النجفي (تعليقات إحقاق الحق و إزهاق الباطل) قم، مكتبة المرعشي ١٤٠٤ق.
المفيد، محمد بن محمد بن نعمان (الأمالي) قم، انتشارات كنگره شيخ مفيد ١٤١٣ ق.
موحد أبطحي، مرتضى (الشيعة في أحاديث الفريقين) ناشر: مؤلف ١٤١٦ ق.
النباطي البياضي، علي بن يونس (الصراط المستقيم إلى متحقّي التقديم) طهران، المكتبة المرتضوية ١٣٨٤ ق.
النعمان المغربي، قاضي (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٩ق.
النوري، ميرزا حسين (مستدرك الوسائل) قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٤١٨ ق.
النمازي الشاهرودي، علي (مستدرك سفينة البحار) قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٥ ق.

٩٧
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

ملحمة الزهراء عليها السلام

د. محمد مسجد جامعي

الملخّص: يشير الكاتب الى مكانة الصدّيقة الزهراء عليها السلام فى فترتين (المكّة و المدينة) فى سياق التطوّرات الاجتماعيّة بعد دراسة مكانة المرأة فى المجتمع فى فترة الجاهليّة. يوضح اهميّة زواج الصدّيقة الزهراء مع امير المؤمنين عليه السلام فى زمانه و مكانه و يبحث مقام الزهراء عليها السلام فيما يتعلّق بوضع المرأة فى مجتمع صدر الاسلام و تفاعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الصدّيقة الكبرى عليها السلام. وصف الكاتب سيرة الصدّيقة الكبرى عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و يحلّل اهميّة تحذيرات تلك السيّدة الالهيّة من إنحراف الامّة عن الخطّ الواضح لهداية النبيّ صلى الله عليه وآله.

المفردات المفتاحيّة: فاطمة الزهراء عليها السلام ؛ السيرة و المناقب ؛ تاريخ صدر الاسلام ؛ مكانة النساء ؛ التفاعل مع فاطمة الزهراء عليها السلام ؛امير المؤمنين عليه السلام

المرأة في الجاهلية

كان مجتمع شبه الجزيرة العربية حين ظهور الإسلام مجتمعاً ذكورياً عموماً ـ وهو كذلك حتى الآن ـ وهذا بداعي الخصائص البيئية والتاريخية والاجتماعية، اِذ كانت الأرض فقيرة جرداء ضمّت قبائل مختلفة تتطلب العنف والإنسان الخشن، مضافاً اِلى الجوع؛ بل والعطش والجفاف.. بل إن شحّة المياه و قلّة المطر وصعوبة العيش أضاف ما أضاف لأسباب ذلك الواقع المرير..[1] وهذا الجوع اَدّى اِلى نشوب المعارك واستفحال ظاهرة الإغارات بين القبائل.. فهذه العوامل وغيرها أدّت اِلى تكرّس ثقافة مضادّة للمرأة، حيث لم يكن غير العنف ثقافةً وسلوكاً وحروباً وغارات متتالية ومتبادلة؛ وهي الأُمور التي كانت تتطلّب خشونة الرجل واستبعاداً وطرداً لعنصر المرأة؛ حيث لا قدرة لها على خوض المعارك وشنّ الغارات، بل إنها تحولت اِلى غنيمة من الغنائم المستهدفة أبداً..[2]

و إنّ من إحدى الدلائل المهمّة للثقافة المضادّة والطاردة لعنصر المرأة والبنت أن القبائل العربية كانت تستشعر الحاجة اِلى العنصر الحربي وعدم الحاجة اِلى العوامل السلبية المزاحمة التي تتعرض للأسر والسبي اَحياناً كثيرة، اِذ كان أسر المرأة يشكل أزمة حقيقية في إلحاق العار بحيثية الرجل وقبيلته عموماً. وبالنظر اِلى هذه المسائل و العوامل في تلك الحقبة؛ فقد صارت المرأة عاملاً سلبياً، لا سيما لدى الحروب وظروف المخاطر المستشعرة بين القبائل اِذ كانت الغارات القبيلية تهدد الكتل المجتمعية في كل حين..[3]

والمسألة الأكثر أهميّة أنّ المرأة اِذ ذاك لم تكن تحظى بالشأن الإنساني، فبعيداً عن أن ينظر إليها باعتبارها شريكاً للرجل، كانت تعامل كأي سلعة يحتاجها الرجل أو يمتلكها.. وكانت العلاقة الزوجية علاقة ملكية أكثر منها علاقة بين زوجين، حتى أن الرجل كان يتملكه الإحساس والقناعة بأن الزوجة مجرد مملوك له كترجمة لثقافة الحمية والرجولة

---

١. (آشنائي با تمدّن اِسلامي) ج ١، ص ١١٣؛ بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص ١٧.
٢. مسند احمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٣٦؛ المصنّف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٩، ص ٤٨٥.
٣. تاريخ العرب القديم، توفيق برو، ص ٢٦٩.

والسطوة لديه.[1] ولدى ذلك كانت البنت في طوايا تلك الثقافة البليدة مدعاةً وسبباً لاحتمال تحمّل العار.. مما حدا بالكثير من الآباء اِلى وأد البنات؛ درءاً لذلك العار المزعوم.. وقد نقلت وقائع عديدة تحكي عن وأد الآباء بناتهم وقصّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ممّا أدّى به اِلى البكاء وذرف الدموع وطرد المتحدث عن مجلسه[2].. وهذا كان هو الواقع المرير والمعمول به.

.. ما تقدم؛ كان صورة مختزلة عن الظرف الثقافي العامّ في شبه الجزيرة العربية.. ولكن لم يكن هذا نهاية المطاف.. اِذ كانت المرأة التي تجد نفسها ضحية لتكلم الثقافة حريصة على استدراك وجبر ضعفها المدمّر شخصها وشخصيّتها عبر ما يمكنها في ممارسة المكر وحيلة والنميمة والفتنة.[3] فكانت هذه الميزة عموماً تطفح في المجتمع الذكوري المغلق متأثرةً بالظروف الاجتماعية، هذه الظروف التي تتروع فيما هذه الخصال السلبية ولها دورها الواضح في صياغة شخصية الأنثى...

ونقول: رغم أن بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد ولدت في هكذا بيئة ومجتمع وعاشت فيه.. ولكنها كانت متفاوتة كل التفاوت عن قريناتها، مضافاً اِلى كونها القدرة الإيجابية التامة للمرأة.. وهكذا خلقها الله تعالى وأرادها أن تكون..

مقام السيدة الزهراء عليها السلام

الواقع هو أن إدراك مراتب ومقامات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ـ من قبل الإنسان المسلم والمؤمن وبما يناسب قابليتهما ـ منوط بمدى معرفة الحكمة والتقدير الإلهي، وفلسفة خلقة العالم، والهدف من خلقة الإنسان ومجموع الوجود، والتعرف اِلى البحوث المتعلّقة بما يسمى (الإنسان الكامل) ومنزلته إلسامية.. ولإدراك هذه المسائل ـ ولو بالمجمل ـ ينبغي الرجوع اِلى الآيات القرآنية

١. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ج ٢، ص ٥٩٥.
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم شيرازي، ج ٨، ص ٢٢٢.
٣. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٢٠٩؛ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبايي، ج ١٨، ص ٣٢٦.

والروايات، لا سيما ذات الصلة بالأدعية والزيارات المطلقة والمخصوصة، حيث تتضمّن بيان المراتب العليا والمعنوية لعموم المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام..

ومع أن الفلسفة والعرفان المبتنيين على هذه المعارف يمكن أن يكون لهما دور في بيان وإيضاح العديد من المسائل المذكورة، إلّا أن التحقيق والمطالعة الدقيقة تمنح الإنسان التوفيق إلى معرفة مناحي العظمة الروحية والأخلاقية والإنسانية الخاصة بهم عليهم السلام.

ومن بين المشارب المختلفة للمسلمين؛ هناك الشيعة وحدهم يعتقدون بأنّ شأن ومقام امرأة ما يمكن أن يصل بها إلى دائرة العصمة والإنسان الكامل.. ولاريب في أنّ مصداق هذه المرأة هو بنت نبيّنا الأعظم صلوات الله عليه وعليها وآلهما الطاهرين.. ولكن المسألة هي أنها سيدة وليست رجلاً... غير أنّ هذا لا يعني أنّ نيل المقام المذكور حكر على الرجل وإنّ جنس المرأة عاجز عن ذلك؛ أو لا يصحّ لها ذلك.[1] ومن هنا، كانت الحجيّة والاعتبار المعهود لقول وفعل وتقرير الأئمة المعصومين عليهم السلام سارٍ أيضاً لهذه الصديقة المرضية عليها السلام..

إن نظرتنا وعقيدتنا نحن الشيعة تجاه المعصومين عليهم السلام، ومن جملتهم سيدة النساء الصديقة الزهراء عليها السلام، باعتبارهم مصاديق جليلة للإنسان الكامل.. هذه السيدة ـ وبناءً على نصوص الأدعية والزيارات الواردة فيها ـ أنها قد امتحنت من قبل الله عزّوجلّ قبل أن يخلقها.. ذلك الامتحان الذي يعني تأهيلها لما أنيط بها من المنازل والفضائل والمناقب والمقامات.. ولهذا بيانٌ معرفي تفصيلي ..

ولذا كانت منزلة السيدة الزهراء عليها السلام وفضيلتها ـ ضمن دائرة معتقداتنا الرئيسية ـ ذات مرتبة سامية واستثنائية فذّة، نظراً لأنّ هذه المرأة التي خلقها الله تعالى وجعلها سيدةً لنساء العالمين وأولاها مقام العصمة الأرقى.. قد أوكل لها مقام الحجية حتى على أبنائها المعصومين عليهم السلام.[2]

---

١. نفسه، الطباطبائي، ج ١٦، ص ٣١٢.

٢. عوالم العلوم، ج ١١، ص ١٠٣٠.. قال الإمام العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله على خلقه، وجدتنا فاطمة حجة الله علينا».

فمن كان له هذه الخاصية، لابد أن يكون مميزاً جداً وبما لا يُتصوّر. ورغم أن هذا المعتقد الخاص بنا قائم على أساس مباننا النقلية والعقليّة ذات الصلة بالصديقة الزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام، إلّا أنّ أصل اعتقاداتنا بخصوص المقامات والكمالات المعنوية للمعصومين، ومنهم السيدة الزهراء غير ناشئة عن الاستنتاجات التاريخية إزاء هؤلاء العظماء، بل هو بحث مستقلّ ومعتقد محدّد سلفاً، رغم أنّ بعض الخصائص التاريخية والانسانية المقرّرة لها ما نستشعر من ذلك، إلّا أنّ أصل الموضوع مجرد عن البعد التاريخي..

مرحلة مكّة

العمر القصير لبنت نبي الإسلام كان له ثلاث مراحل متمايزة: المرحلة الأُولى خاصة بمكة المكرّمة. والمرحلة الثانية خاصة بالمدينة المنورة إلى حين ارتحال النبي صلى الله عليه وآله. والمرحلة الثالثة خاصة بالحوادث التي تلت ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذه المراحل الثلاث وعلى رغم مشتركاتها؛ لها خصوصيات متفاوتة: القسم الأول: متعلق بمرحلة طفولتها.. لا سيما ما تلا رحيل أمّها الصديقة خديجة الكبرى عليها السلام. والقسم الثاني: متعلق بحياتها الزوجية واهتمامها بأولادها الكرام البررة. والقسم الثالث: ما يرتبط بتوجيهاتها الاجتماعية والسياسية والعقائدية لدى التنافس القبلي والحزبي وإحياء الميراث الجاهلي على مرّ العصور.

المعروف ـ تاريخياً ـ أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد ولدت في السنة الخامسة للبعثة.. مع أن روايات أخرى تعزو ولادتها إلى قبل ذلك، ولكن بالنظر إلى الأقوال والقرائن العديدة والمعتبرة تشير إلى السنة الخامسة للبعثة سنةً لولادتها العظيمة.[1] وحسب النقول

١. الاصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٢٦٣؛ طبقاً للنقول التي اعتمدها ابن حجر وآخرون، فإن ولادة الزهراء عليها السلام كانت بعد خمس سنين من البعثة أو سنة واحدة. وعزا محسن الامين في (أعيان الشيعة) هذا الترديد إلى اشتباه الرواة في إدراج كلمة (قبل أو بعد) (أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٠٧). ولكن قول المفيد الموافق للأحاديث التي نقلها الشيخ الكليني في (الكافي) يصرّح بالسنة الثانية والخامسة بعد البعثة (العُكبري، محمد بن النعمان المفيد، مسار الشيعة، ج ١، ص ٥٤)

المعتبرة، فإن السيدة خديجة عليها السلام قد ولدت الصديقة الزهراء عليها السلام في السنة الخامسة للبعثة وأنّها كانت آخر مَن ولدت.. كما أنّ هذه الألام العظيمة قد وقعت تحت تأثير جنينها القدسي في مرحلة الحمل، إذ كانت الزهراء تحدّث أمّها وهي في بطنها..[1]

وبغضّ النظر عن هذه الروايات.. فإننا على علم وما عرفناه عنها في حياتها في المدينة، أنها كانت في مرحلة طفولها قد عاشت حياة استثنائية وشخصية طفولةٍ غير عادية.. ولا ريب أن حياة الزهراء في مكة قد تركت تأثيرها العميق والعظيم على والدتها الصديقة خديجة عليها السلام.

وصادفت سنة ولادة الزهراء عليها السلام تعاظم ضغط قريش على النبي صلى الله عليه وآله وعموم المسلمين بشكل متواصل، إلى حيث انتهى الأمر إلى ما يعرف بمحاصرة الموحّدين في شعب أبي طالب عليه السلام .. وهناك؛ وفي تلك الظروف القاسية؛ ولدت الصديقة الزهراء عليها السلام.. فكانت الزهراء عليها السلام صغيرة العمر وتنمو فيما ذوو قرابتها يعانون البغض وضغط المعيشة القاسية.. ممّا اضطر بعضهم ـ تحت تصاعد الضغط والعداء،[2] الأمر الذي حدا بالقرشيّين المشركين إلى تضييق حلقات المحاصرة الاجتماعية والاقتصادية على بني هاشم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله من جملة المحاصَرين الذين استمرت معاناتهم الشديدة جداً ما يقرب من ثلاثة أعوام (من السنة السابعة للبعثة وحتى السنة العاشرة). وكانت الغاية من هذا الحصار الاقتصادي والغذائي تركيع صاحب الدعوة وذوي قرابته المؤمنين.[3] وكانت نتيجة ذلك أنّ ضحى الدين الجديد بشخصين عظيمين، وهما أبوطالب عمّ النبي، وخديجة الكبرى زوجة النبي في آخر سنة من الحصار الظالم.. فكانت سنة الحزن والأسى والعزاء،[4] تبعاً لما أصابهما وغيرهما من ضعف بدني شديد..

---

١. ارشاد القلوب للديلمي، ج ٢، ص ٣٩٤.
٢. تقرير من الهجرة الأولى في سيرة ابن هشام (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٢١).
٣. نفسه، ص ٣٥٠؛ الطبري، ابن جرير، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج ٢، ص ٧٨.
٤. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج ١، ص ٢٣٥.

والقضيـة الأسـاس فيمـا نذهـب إليـه، أنّ السـيدة الزهـراء عليها السلام قـد عانـت اِذ ذاك حيـاة مريـرة، مضافـاً اِلـى مشـاهدتها الواقـع العسـير الـذي كان يعانيـه ويشـهده أبوهـا رسـول الله صلـوات الله عليـه وآلـه، ممـا كان يضاعـف ألمهـا الروحـي وضعفهـا البدنـي، لا سـيّما لـدى استشـهاد والدتهـا وعمّهـا.. بمعنـى أن المسـألة لـم تكـن مجـرد قلقهـا تجـاه سـلامة والدهـا الرسـول، فقدهـا لأمّهـا الشـهيدة وعمهـا الصدّيـق الشـهيد أبـي طالـب عليه السلام فـي (عـام الحـزن) ذاك[1] وفـي تلـك الفتـرة العصيبـة لـم يكـن اِلـى جانـب الرسـول غيـر فاطمـة وعلـي سـلام الله عليهمـا.. فيمـا كانـت الضغـوط المتتاليـة تـزداد شـدة وعسـراً.. ولقـد تواصـل الأمـر هـذا حتـى بعـد فـكّ الحصـار الظالـم والعـودة اِلـى مكـة، ثـم الهجـرة اِلـى أرض المدينـة..[2] وهنالـك اتّخـذت مولاتنـا الصدّيقـة دور الأمّ فـي التخفيـف عـن معانـاة والدهـا النبـي حتـى أطلـق عليهـا لقـب (اُمّ أبيهـا)... وهـو اللقـب الشـريف الـذي كان خاتـم الأنبيـاء يناديهـا بـه..[3]

وكانـت السـنون (١٠-١٣) مـن البعثـة سـنين مضيئـة للغايـة، إذ رام مشـركو قريـش يصـرّون على تصعيـد أذاهـم وعنادهـم وبغضهـم وحربهـم ضـدّ النبـي والمسـلمين.. وإذ ذاك؛ استعاض صلى الله عليه وآله عـن خديجـة وأبـي طالـب بالزهـراء وعلـي سـلام الله عليهـم أجمعيـن .. حتـى أنـه روي أنّ بعـض زعمـاء المشـركين أمـروا غلامـاً لأحدهـم أن يرمـي بأمعـاء جمـل علـى رأس رسـول الله صلى الله عليه وآله وهـو سـاجد يصلّـى لله تعالـى.. اِلـى الحـدّ الـذي حمـل أباجهـل اللّعيـن على الضحـك حتـى سـقط على قفـاه.. ولـم يكـن أحـد مـن النـاس يتجـرّأ علـى رفـع تلكـم القـاذورات عـن رأس النبـي.. اِلـى أن جـاءت الصديقـة الزهـراء الـى المسـجد وأزاحـت عـن رأس النبـي مـا وقـع عليـه ونظّفتـه.[4]

ومـع أن التأريـخ لـم يذكـر الشـيء الكثيـر مـن طبيعـة الحيـاة الأسـرية للنبـي صلى الله عليه وآله بعـد الخـروج مـن شـعب أبـي طالـب، ولكـن بالنظـر اِلـى ظـروف تلـك الفتـرة يمكـن القـول؛ بـل ويتأكّـد، اِنّ

١. أنساب الأشراف، البلاذري، ج ١، ص ٢٣٦؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥.
٢. تاريخ اليعقوبى، نفسه، ص ٣١.
٣. الارشاد، للمفيد، ج ٢، ص ٢٤٤.
٤. أنساب الأشراف، للبلاذري، ج ١، ص ١٢٥.

الصديقة الزهراء عليها السلام كانت أهمّ سبب في التخفيف عن معاناة والدها النبي، مما أعطاها مصداقية أكبر في أن تكون (أم أبيها)[1] على مستوى الحنان والشفقة على الأقل، ناهيك عما يتضمّن هذا اللّقب الشريف من مضامين عقائدية عميقة جداً..

مرحلة المدينة

كان للزهراء عليها السلام ثمان سنين في العمر حين هجرتها إلى المدينة، إذ دخلتها بعد أيام قلائل في توقّف النبي عند حدودها منتظر قدوم علي عليه السلام والفواطم الهاشميات.[2]

ولقد اَضحى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله الشخص الأهمّ بعد دخوله فيها.. وصار ذا المكانة الأرقى بمرور الأيام وتعاقب الأحداث.. مما كان يتسبّب بمشاكل كثيرة للمقرّبين من النبي، أعني: أسرته الصغيرة بشكل غير مباشر.. ومن ذلك؛ قضية زواج الصديقة الزهراء المرضية عليها السلام ...

أهمّيّة الزواج

اقترنت الزهراء بعلي عليهما السلام وكانت فتاة يافعة، ولكن زواجهما لم يتمّ ببساطة، وذلك أن الزواج في تلكم الحقبة كان ذا أهمّيّة كبيرة لما له من تبعات أمر أسباب في العلاقات السياسية والاجتماعية.. ولطالما كان الكثيرون يحرصون على بناء وتكريس العلاقات مع أفراد وقبائل عن طريق الزواج.. ونظراً لمكانة النبي صلى الله عليه وآله العظيمة ـ كما اتّفقت عليه الروايات ـ وما كان يتوقّع له من مستقبل، فقد تقدم لخطبة الزهراء عليها السلام الكثير من الأفراد.. وكان منهم ـ أو في مقدّمتهم ـ أبو بكر وعمر اللذان زادا من إصرارهما على تحقيق ما يريدان، ومعهما غيرهما ممن تقدم لذلك؛[3] مما أخرج النبي لدى ردّهم والإعراض عنهم حتى اضطرّ إلى التصريح في نهاية الأمر بأن زواج فاطمة عليها السلام متوقّف على أمر الله ووحيه

---

١. مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن المغازلي، ج ١، ص ٢٧٨؛ مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الإصفهاني، ص ٥٧.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤١؛ إعلام الورى، للطبرسي الفضل بن الحسن، ج ١، ص ١٥٤.

٣. منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفّان. المناقب، لابن شهرآشوب، ج ٣، ص ٣٤٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٢٨.

وإرادته.. وأن أمر زواجها خارج عن إرادة شخصه،[1] ثم إنه بعد ذلك ـ في أواخر السنة الثانية للهجرة ـ وقع زواجها بعلي عليه السلام.. القرين الكفء الوحيد لها عليها السلام.

وهذا الموضوع بحدّ ذاته أدّى إلى مشكلة ليست بالبسيطة وباحراج شديد في المجتمع المديني إذ ذاك، لا سيما بدافع الحسد والبغض لعلي عليه السلام؛ وهو الحامي والمدافع الأكبر عن الرسول والرسالة.. وكانت الزهراء عليها السلام عارفة بكل ما يعانيه علي ـ فضلاً عن مشاق الجهاد والمعارك ـ رغم أنه لم يكن ذلك الرجل الذي يلقي بهمومه الشخصية وينقلها إلى الجوّ الأسري.

سلوك النساء

من المشاكل الجادّة في تلك البرهة التي كان الجو الأسري للنبي يعانيها ـ ولأسباب تبحث في مظانّها[2] ـ أن النبي كان لها زوجات عديدة، وكنّ يعشن في مجتمع المدينة الصغير والى جانبه صلى الله عليه وآله، وبطبيعة الحال كان البعض منهنّ يثرن صراعات مردّها إلى ضعف الإيمان والشخصية؛ وربما عدم الإيمان والإسلام باطناً، مما كان يتسبّب في مشاكل عصيبة، بل إنّ منهنّ من كنّ يواجهن النبي بصلافة ووقاحة.. وقد أشارت آيات وسور قرآنية إلى ذلك، مثل سورة التحريم وسورة الأحزاب. وأسباب صور ذلك الصراع ذكرت في محلها.[3] ومنهنّ من كنّ يحسدن بنت الرسول سيدة نساء العالمين.. حسداً سرى إلى زوجها وأولادها واستمر إلى أجيال وأجيال.. وكانت المكانة الخاصة للزهراء عليها السلام أمراً مستهدفاً على الدوام من قبل بعض نساء النبي ـ وبالذات عائشة وحفصة بنتا أبي بكر وعمر ـ تجلّى وتأكّد في الحرب على حكومة أمير المؤمنين وتشييع جنازة الإمام الحسن عليه السلام..

وكان من أسباب هذا الحسد والعداء؛ انحرافهنّ عن الإيمان وعدم انجابهنّ للذرية واعمارهنّ المتقدمة؛ باستثناء أم المؤمنين مارية القبطية رضوان الله عليها التي انجبت

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ج ١، ص ٦٤؛ ينابيع المودة للقندوزي، ج ٢، ص ٦٧.
٢. تحولات عصر معصومين، محمد طاهر رفيعي (تحت الطبع)
٣. نفسه.

للنبي ﷺ إبراهيم عليه السلام الذي توفّى بدوره وهو طفل صغير جداً.[1]

ولكن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت البنت الوحيدة للنبي في أيامه في المدينة.. ثم انها انجبت سادة أهل الجنة بعد تسعة أشهر من زواجها. وكانت حاملاً بطفلها الخامس ـ بعد الإمامين الحسنين والسيدتين زينب وأم كلثوم عليهم سلام الله ـ فاستشهد النبي ﷺ ثم أسقطته ضمن حوادث أليمة وفجيعة متتالية...

والأمر الأهمّ أيضاً أن النبي قد جعل فى ذرية الزهراء أبناء له وأولاهم مالا يوصف من محبة وشفقة واجلال في جميع المواقع.. مما كان يزيد من حسد بعض تلكم النسوة ضعيفات الدين.[2] وحيث أن من المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكن ليتصرّف عن هوىً نفسي ورغبة عاطفية بعيدة عن التوجيه الإلهي المباشر باعتباره نبياً لا ينطق عن الهوى.. ولكن شيطان البغض والحسد وقلّة أو انعدام الايمان في قلوب المناهضين لآل البيت عليهم السلام قد فعل فعلته، حتى اختطّ لنفسه مساراً رهيباً في طرد الأجيال المتلاحقة عمّا أراد لهم الله من حبّ وايمان وتمسك بآل البيت النبوي الشريف.

ومن نماذج ذلك الحسد والبغض، أنّ النبي قد كان إذا ما ذكر زوجته الأولى السيدة خديجة عليها السلام بخير.. أُثيرت حفيظة البعض فى زوجاته وصدر عنهنّ ما لا يتطابق الايمان والسلامة النفسية أبداً؛[3] متجاهلات أو جاهلات بأنّ ما كان يصدر عن النبي تجاه زوجته الأولى العظيمة إنما بدليل تضائلها وعظيم إيمانها وسلوكها ووفائها وتضحياتها.. عسى أن يتّخذن من ذلك أُسوة؛ فينهضن بأنفسهن إلى الخير والإيمان..

مجتمع المدينة

رغم تلكم الخصائص والأوصاف، فإن طبيعة السلوك النبوي تجاه السيدة الزهراء عليها السلام لم يكن لمجرد إرادة التغيير في رأي المجتمع المديني تجاه المرأة، وانما كان يستهدف

١. الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١، ص ١٢ و ١٩؛ أنساب الاشراف، البلاذري، ج ١، ص ٤٤٩.
٢. شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٩٨.
٣. أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١، ص ٨٤؛ بحار الانوار، ج ١٦، ص ٣.

المحيطين بالأسرة النبوية التي لم يكن بعض أفرادها ممن تأصّلت فيهم النظرة السلبية ـ المنافية للوعي والإيمان ـ تجاه المرأة .. ولكن كلّ ذلك الجهد النبوي لم يكن ليحظى بقبول هؤلاء وتحمّلهم، بل إنّ بعضهم تطاول واعترض واستهزأ.[1]

فالقضية لم تكن مجرّد محبة نبوية لابنة الصدّيقة.. حتى لكأنّ ملاطفة وشفقة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إزاء أحفاده، لا سيّما الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لم تكن لتحظى بقبول وتحمل أولئك الأوغاد ذوي القلوب القاسية والعقول المتحجّرة والأرواح الشريرة؛[2] والحال أنّ السلوك النبيّ بهذا الصدد كان يتضمّن وجهين، أحدهما: أنّ الحسنين عليهما السلام كانا ابناءً غير عاديين. والثاني: أن حبّ المرء لأبنائه يجد شطراً مهماً جداً من الأخلاق الدينية الراقية[3] التي لم تنفذ بعد اِلى نفوس جيل ذلك الزمان..

ومثال ذلك؛ أنّ اِبراهيم ابن الرسول الذي توفّي طفلاً صغيراً.. وتركت وفاته أثراً كبيراً في مشاعر أبيه النبي صلى الله عليه وآله حتى بكى عليه.. وجدنا بعض الصحابة قد أشكل وعاب عليه... مما اضطرّه اِلى القول: «إنّ القلب ليحزن، وانّ العين لتبكي [لتدمع] ولا نقول اِلا ما يرضي الربّ»[4]

والحقيقة هي أنّ تلك المشاعر الجاهلية البليدة، كانت طافحة لدى أعراب تلك الحقبة الزمنية، كما كانت متأصلة في كل مجتمع آخر، حيث التقاليد والآداب والمعايير والنظم الأخلاقية البعيدة عن النُبل والفضيلة.. وكان هذا بمثابة أمرٍ طبيعي في مجتمعات بعيدة عن إرادة وعبادة ربّها.. وكان واقعها المرير هذا متفاوتاً مع المنطق والسلوك النبوي الرائع.. ولم يكن مقدور النبي صلى الله عليه وآله إحداث تغيير نفسي وأخلاقي شامل وإصلاح سريع في ذلك المجتمع..

وبغضّ النظر عن الثقافة الحاكمة اِذ ذاك، فإنّ ثَمّ عوامل نفسية ومواقف شخصية

١. ذخائر العقبى للطبري، ج ١، ص ٣٦؛ بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٧ و٨١ و٢٣٩.
٢. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٥٢، ص ٣٢٤. تاريخ بغداد، البغدادي، ج ٢، ص ٢٠١.
٣. الكافي للكليني، ج ٦، ص ٥٠.
٤. فقال النبي: «تدمع العين ويوجع القلب ولانقول ما يسخط الرب». تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٣، ص ٥٥٩.

كانت لها مدخليتها في هذا الشأن .. فهؤلاء لم يكونوا ليعوا شيئاً من مقام الزهراء الحقيقي ليتسنّى لهم إدراك بعض المنطق والسلوك النبوي تجاه هذه الصدّيقة العظيمة.. ولم يكن هذا الواقع المرير حكراً على نساء النبي، بل إنّ مجمل نساء المدينة لم يكن ليعين ويتحمّلن ذلك..

وثَمّ روايات كثيرة تَحكى عن اعتراض نساء النبي عليه فيما يرتبط بعظيم إجلاله لابنته الراضية المرضية.. مما كان يضطرّه صلى الله عليه وآله إلى إيضاح الأسباب لهنّ.. بل إن بعض الصحابه لدى اعتراضه كان يكشف للنبي بأنه لم يقبّل صغاره في حياته قط.[1] هذا حين كان النبي يقبّل الحسنين ويلاعبهما عليهما السلام. وكان ذلك؛ في الوقت الذي يجهل فيه عموم الناس جدوى الشفقة على الأبناء الذكور؛ ناهيك عن البنات الإناث.. كما أنّ صفة الكرم والجود والسخاء في تلكم الأيام لم تكن ناشئة عن الرحمة والعطف والتكافل الإجتماعي بقدر ماهي نابعة عن استعراض الرجولة والسطوة.. وهكذا كانت الثقافة الجاهلية الحاكمة..

في خضم ذلك؛ كانت إثارات نساء النبي نابعة عن مواقف الرجال الجاهلية.. وهناك من النماذج الكثيرة ما يؤيد هذا المطلب.. مع أنهم في أحيان كثيرة كانوا يعجزون عن إظهارها، ولكنها تبقى قابلة للإنكار، فهي متكرسة في قلوبهم المتحجرة والقاسية على الأقل.. كما كشفت الحوادث التي تلت أيام رحيل النبي صلى الله عليه وآله.. وهكذا كانت مصاعب ومصائب الصديقة الزهراء آنذاك، وهي نتائج تلك المشاعر السلبية المتطرفة والمضادة الصادرة عن جماعة الصحابة تجاه أهل البيت النبوي، وفي مقدمتهم؛ الصديقة الزهراء عليها السلام.[2]

والمثال الواضح لذلك: سلون عمر تجاه النساء اللآتي بكين لوفاة أبي بكر وخالد بن الوليد، إذ منعهنّ وأهانهنّ وضرب بعضهنّ بالسوط. فكان موقفه تجاه ذلك موقف طبيعي جداً يتناغم وموقف أعراب تلك الحقبة تجاه المرأة عموماً.

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٩٥.

٢. أنساب الأشراف، البلاذري، ج ٣، ص ٦١؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٥.

ولا ريب في أنّ اَحد الأهداف النبوية من اِظهار المحبة العلنية تجاه ابنته وأحفاده ليربي جيل زمانه ثم الأجيال التاليه كيف ينبغي أن يكون الموقف والسلوك تجاه النساء والأطفال.. ويبدو أنّ الرسول الأعظم ﷺ كان يحرص على إنشاء محبته وعطفه في الملأ العام، ليشهد الناس ذلك عن قرب؛ فيتربوا على هذه الشاكلة..

فراق الأب

أشار النبي ﷺ خلال حجّة الوداع في خطبته بمنى اِلى أنه سرعان ما سيفارق الحياة.. وقد مرض صلوات الله عليه وآله قُبيل رحلته رضاً لم يكن شديداً، ولكنه أخذ بالاشتداد شيئاً فشيئاً، وكان ذلك مستشعراً من قبل اَهل بيته ولا سيّما السيدة الزهراء عليها السلام.

وكان فراق الأب النبي أشدّ وقعاً على ابنته الوحيدة، خصوصاً أنّ هذا الأب العظيم هو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، هما أثار كل القلق فيها.. وهذا ما يُعدّ أمراً طبيعياً، ولكن المثير في الأمر ما كانت تتوقّعه من مصائب ستواجهها بعد وفاة الأب الرسول.. علماً أنّ الحسد والبغض لها ولزوجها ولأولادها لم تكن ملامحه تظهر أثناء حياة الوالد الرسول بالشكل الكبير، ولكنه ـ الحسد ـ سيضرب ضربته بعد الاستشهاد النبوي..

..ونقلت عائشه أنّه لدى اشتداد مرض النبي كانت ابنته واقفة أو جالسة اِلى جانب فراش أبيها وهي تبكى الهوينا.. فكشف لها أنّه سرعانِ ما سيرحل من الدنيا، ممّا زاد وضاعف في بكائها.. ثم إنه ﷺ همس لها بجملات لم أتمكن ـ عائشة ـ من سماعها.. ولكنها ـ فاطمة عليها السلام ـ راحت تبتسم، مما أثار تعجّبي .. ثم إنني أقسمت عليها أن تخبرني عن بكائها ثم ضحكها وابتسامتها.. فقالت: بكيت لوفاة أبي، ثم ضحكت لإخباره إياى بأنّي اَوّل من سيلحق به من أهل بيته...

وكما قيل؛ فإن شطراً من ذلك القلق والاضطراب الفاطمي كان بداعي الظروف المستجدّة المتوقعة لما بعد مصيبة استشهاد النبي أبيها ﷺ، وقد كانت سيدة نساء العالم أعرف من أيّ أحد بما سيحدث وكيف سينتقم الناس من زوجها أمير المؤمنين عليه السلام.. وهكذا هو الذي حدث ليفعّلوا حسدهم وبُغضهم لآل البيت عليهم السلام، وليفعّلوا أيضاً نظرة الازدراء

العديدة لعموم المرأة والأطفال.. تلك النظرة والثقافة التي طالما حاربها الرسول والرسالة السماوية..

والقضية المثيرة هي أنّ ذات الصديقة الزهراء عليها السلام لم تكن ذات مدخلية في طبيعة الصراع بين ثقافة الجاهلية وثقافة السماء بخصوص الموقف فى المرأة، وإنما وجدت نفسها قد وقعت فيها وراحت ضحية لها.. هذا بالإضافة اِلى استشعار واجب الوقوف والتصدّي بكل إصرار وتحمل وصبر لمواجهة جميع المشاكل والمصاعب والمصائب..

ومن الطبيعي أن فتاةً وامرأة بعصمة وعبقرية وذكاء فاطمة الصديقة عليها السلام أن تعي جميع الأسباب والعوامل الخفية والمعلنة اِلتى أدّت اِلى الاعتراض على السلوك النبوي معها، ولكنها اختارت الصمت بجلال ولم تصدر عنها ردّة فعل.. فروحها المقدسة السامية كانت توعز طعنات البغض والحسد لها ولأهل بيتها إلى الجهل والغباء والحقارة، اِذ كانت تمرّ عليها مرور الكرام.. وليس فى نقل تاريخي أنّ لفاطمة الزهراء عليها السلام موقفاً أو ردّة فعل سيئة أبدتها لنساء النبي أو بعضهنّ، رغم كل معاناتها منهنّ.. وإنّ هذا لأمرٌ في غاية الأهمّيّة من مجمل سلوكها المتعالي والسامى المعروف لسيّدة نساء العالمين، مما يشير اِلى خصائصها و ميزاتها الفذّة.. في حين أنّ من نساء النبي من كانت بينهنّ الاختلاف ولعلّ منهنّ من كنّ يسئنَ الأدب مع شخص رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤذينه، رغم ما حظين بموقع متميّز فذّ، ورغم النعمة الكبرى المحيطة بهنّ بزواجهنّ من أشرف مخلوق..

ففي تلك الدائرة النسائية، قلّ أن تبدي واحدة منهنّ سلوكاً طيّباً تجاه ابنة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، إلّا أنّها عليها السلام لم تتعال على واحدة منهنّ تحت مدّعى كونها ابنة النبيّ القائد الزعيم، أو أنّها أفضل منهنّ ـ وهو الواقع الأكيد ـ أو أن تصدر عنها ردّة فعل موازية تجاههنّ.. فقد تحملتهنّ إساءاتهن بكلّ صبر وحلم، وكانت ـ وهي سيدة العصمة والعلم ـ ترى مسؤوليتها الكبيرة في إحقاق الحق و إيضاح جادة الهدى والرشاد بأفضل وأبهى صورة..

ومسألة أخرى ذات صلة ببنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي أنّ جميع المرويات تشير اِلى جلال قدرها عليها السلام حيث كانت معصومة منزّهة عن حسد أو حقد أو رغبة في انتقام ورغبة

في إلحاق سوء بأحد أو كشف مستور خاصّ بأحد، فهي الطاهرة الطهرة المطهّرة التي لا يصدر عنها إلّا الخير والصلاح.. على عكس ما تناقله المسلمون بإجماعهم عن بعض نساء النبي صلوات الله عليه وآله ممن هنّ بعيدات عن العفّة في الكلام والفعل وغير ذلك مما كان يوجب أذى الصديقة الزهراء عليها السلام.

ومن المناسب هنا ذكر نموذجين عن طبيعة المشاكل بين أَزواج النبي..

النموذج الأوّل؛ راجع إلى قصة السيدة مارية القبطية.. إذ ما أن دخلت حياة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى آثار دخولها حفيظه بعض أقرانها، حتى اضطرّ النبي إلى إسكانها في خارج المدينة.. وبعد ولادتها إبراهيم عليه السلام زادت وتيرة الحسد فيهنّ، ولقد كانت أول مَن توفّيت من نساء النبي وهي شابّة في مقتبل العمر تبعاً للضغوط الروحية والنفسية التي عرّضها لها..

والنموذج الثاني؛ ما يرتبط بحكاية أَم حبيبة أخت معاوية، فهي لدى مقتل محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه واستشهاده بتلك الهيئة المفجعة، أَرسلت إلى قرينتها عائشة ـ أخت محمد ـ ضأناً مشوياً تبارك لها مقتله وتُعرب عن فرحها بتلك المصيبة، وذلك أنّ محمد بن أبي بكر كان ربيب أَمير المؤمنين علي عليه السلام ومن شيعته المقرّبين والموالين الأكثر إخلاصاً، كما كان عامل الإمام عليه السلام في أرض مصر، وقد انتهى على أخته عائشه في معركة الجمل بعد أن وجّه إليها سهام اللوم والانتقاد الحق..

أما عائشه؛ فقد اضطربت وتعجّبت من فعل أم حبيبة ونعتتها ببنت الباغية وأقسمت أنها لن تأكل بعد ذلك المشوي من الضأن.. وإنّ مثل هذه النماذج لكثير. وهي كاشفة عن مدى الاختلاف والصراع والتحاسد والتباغض البعيد عن الإيمان وسلامة النفس فيما بين نساء النبي من جهة، و ما يصدر عنهنّ إزاء بنت النبي من جهة أخرى..

وما تمّ بيانه إلى هذا الحدّ؛ كانت عبارة عن المشاكل التي كانت الزهراء عليها السلام تعانيها في حياة النبي صلى الله عليه وآله.. ولكنّ الوقائع ذات الصلة بما بعد استشهاد النبي ومصيبة السقيفة المشؤومة إلى حين استشهادها عليها السلام جديرة بالتأمّل، وفيها من الكثير من النقاط والقضايا، ونشير إليها هنا بالإجمال.

بعد النبي صلى الله عليه وآله

بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ مسألة أخرى تعود إلى آلام ومشاقّ الزهراء عليها السلام، وهي ليست عائدة بالضرورة إلى البيعة الإجبارية الملازمة لتهديد الإمام علي عليه السلام والدفاع عن زوجها المظلوم.. وإنما أجواء المدينة الصغيرة لم تعد قابلة للعيش من جهتها، سواء من حيث بيئة الأسرة النبوية، أو من حيث الارتباط ببعض الصحابة الانتهازيين.. فالإمام قد ظلم حتى بعد استشهاد زوجته واعتماده سياسة السكوت [بمعنىً من المعاني] .. وقد تعمد الناس آنذاك تجاهله والتنكّر له.. والأمر عائد إلى موضوع قد تمّت الإشارة إليه سلفاً. وإنّ من الخطأ التصوّر أنّ مسألة البغض والتجاهل عائدة إلى قضية خلافة النبي صلى الله عليه وآله.. خصوصاً وان مجتمع تلك الحقبة لم يكن ليتقبّل الإمام وأهل بيته بدلائل حجة مرّت الإشارة إليها..

وفي الوقت نفسه؛ أنّ المصونية النسبيّة النابعة من كونها امرأة وأنّها الذّكرى الوحيدة التي بقت بعد رحيل النبي، كانت الزهراء هي القادرة على أداء الرسالة بما ليس علي عليه السلام قادراً على القيام به تبعاً لتمكّن الجهة المعادية ـ المنافقة ـ من تصفيته وقتله بسرعة بعد أن تثمر جهوده عليه السلام.

الإبلاغ والتذكير

بعد أن بايعت جماعة أبابكر خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله.. جاء الدور لمسألة المعارضة والمعارضين، أي أنّ الذي لم يوافقوا على هذه البيعة، وعلى رأسهم بنوهاشم، ومع أنّ العباس عمّ النبيّ كان كبير بني هاشم سنّاً، إلّا أنّ الدور الاجتماعي والأسري والسابقة الدينية كان أمير المؤمين عليه السلام أبرز منه، لا سيّما وأنّه صهر النبيّ.. فأضحى الإمام على رأس المعارضين.[1] وكذلك بالنظر إلى موقع السيدة الزهراء عليها السلام، فقد أضحت المعارضة تدور بمجملها على محور الزهراء.. ويمكن القول أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، وبالاخص السيدة الزهراء كان لهما الدور الأكثر تميّزاً واستثناءً في عمليّة المعارضة.. ولهذا؛ فقد انطلق محبّو السقيفة المشؤومة نحو بيت أمير المؤمنين عليه السلام.. ولذلك قصة أليمة ومفصّلة للغاية.[2]

---

١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج ١، ص ٢٨؛ تاريخ الامم، الطبري، ج ٣، ص ٢٠٨.

٢. الهجوم على دار فاطمة، مهدي عبد الزهرة.

وتارة يتعرض المجتمع أو جزء منه إلى الاضطراب والقلق والانكسار، الأمر المؤدّي إلى عدم تفكير افراده بعواقب أفعالهم.. وفي تلك الحقبة في المدينة كانت حاشية أبي بكر جميعاً قد استولت عليهم حالة غضب وهياج وعناد. وقد غفلوا أو تغافلوا عن وصايا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحتى أصلَ المشورة، ولم يكونوا ليسمعوا لقول الحقّ والعقل.. واصرّوا على الذهاب في طريقهم إلى نهايته.. ومثل هذا الحال يمكن أن تشهده مختلف المجتمعات، كما وقع ويقع على الدوام..

في تلك الأيام كانت لحاشية أبي بكر ورهطه مثل هذه الحالة المُزرية والشاذّة، وليس أنهم كانوا لا يعون الواقع.. حين كان أمير المؤمنين والصدّيقة الزهراء عليهما السلام يذكرونهم الحقائق وأَشكال الصّواب والحقّ بخطبهما ونداءاتها ويذكرانهم بالوصايا النبوية.. فهم كانوا يتذكّرون كل ذلك، ولكنّهم لم يكونوا ليهتمّوا بالاهتداء إلى طريق الصواب وتمييزه عن طريق الباطل.. لأنّ هذا الاهتمام المشار إليه إنما يكون حين يستمع الإنسان إلى حديث العقل.. ويحاول الالتزام بمعايير العقل ويكون مستعداً روحياً ونفسياً لقبول ذلك..

ولدى الظروف التي لا يكون المجتمع مستعدّاً للاستماع، ينبغي الاكتفاء بالقدر الأقلّ من المقاومة. ولذا؛ فلو كان امير المؤمنين عليه السلام يريد الكلام بأكثر من الحدّ المطلوب أو يبذل أكثر من الفعل والجهد المتوقّع، لكان قُتل قطعاً، وذلك أنّ أفراد العدو قد أطلقوا تهديدهم وهم عازمون على تنفيذ قتلهم إياه على سبيل القطع.. وهكذا لم تكن يده عليه السلام مبسوطة لبيان الحق ولإبلاغ صوته إلى الأجيال التالية وإيضاحه أَصل القضية وحقيقة الأمر لهم.

وهكذا وفي هذا الجزء كان دور الصديقة الزهراء عليها السلام أكبر وأسنى من دور أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ الفعل الذي كانت قادرة على إنجازه لم يكن هو بقادر على القيام به. وذلك أنها ـ فضلاً عن كونها بنت النبي صلى الله عليه وآله ـ كانت امرأة وزوجة له، ولو أنّ النبيّ كان له ولد ذكر بدلاً عنها.. ثم قام هذا الابن بما قامت هي به للدفاع عن امير المؤمنين عليه السلام؛ لقتل قطعاً.. وحتى في ظلّ ما يطرح من شعارات تنادي بالمساواة بين المرأة والرجل، فإنّ للمرأة حصانة أكبر..

وإن التاريخ ليحدّثنا ضمن مأساة سبي نساء أهل البيت عليهم السلام وأسرهنّ وسوقهنّ من كربلاء إلى الكوفة ومبادرة السيدة زينب عليها السلام إلى إهانة ابن زياد في مجلسه العتيد.. إذ عزم هذا الأخير على قتلها.. إلّا أنّ رجال حاشيته منعوه من ذلك قائلين: إنها امرأة، والنساء لا يقتلن.[1] وثمّ مصاديق عديدة بهذا الصدد، يمكن تتبعها في المصادر التاريخية والثقافات المختلفة يمكن إحصاؤها وتدوينها..

والمقصود هنا، أنّ أكثر ما كان يمنح الصديقة الزهراء عليها السلام هو أنّها كانت امرأة، وكان هذا يمثّل العامل الأهمّ في تمكّنها من إيراد خطبتها العصماء في المسجد النبوي في المدينة، ولقد واجهت فيها أبابكر وبكل صراحة وحدّة.[2]

هذا في حين أنّ الظروف العصيبة لم تكن لتسمح بالقاء ذلك الخطاب حتى من قِبل شخص رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا لا يعني كون الزهراء عليها السلام أكثر أهمية وفضلاً من أبيها النبيّ المصطفى صلوات الله عليه وآله، وإنما هي منزلة المرأة قد منحتها القدرة على هذا النوع في المواجهة والتحدّي.. فكان للسيدة الزهراء عليها السلام ما كان له من دور في بيان الحق والحيلولة دون الوقوع في الشبهات في تلكم المرحلة.. دور ما كان لأحد من الرجال أن يؤديه؛ بمن فيهم أمير المؤمنين عليه السلام نفسه..

وبين هذا وذاك؛ رأينا سيدة نساء العالمين قد احتفظت بشخصيتها النسوية ولو اضطرّها ذلك إلى الحضور بنفسها في مجلس أبي بكر، إذ تمكّنت عليها السلام في إبلاغ رسالتها، بما تضمّنت من ضرورة أن تبقى المرأة مرأة لاثبات شخصيتها ككائن إنساني وإيضاح حقّها وعقيدتها.. ولا مبرّر لأن تنسلخ عن ذاتها ومظهرها أو تتقمّص شخصية الرجل التي لا تغني ولا تسمن من جوع بالنسبة للمرأة في كثير من الأحيان.. ناهيك عما قد يلحق بها من أضرار فادحة.

عدم الانحراف عن الجادّة

عادةً ما تطرح المسائل التي تلت رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فيما يرتبط بالخلافة بشكل،

١. تاريخ الامم، الطبري، ج ٥، ص ٤٥٨؛ إعلام الورى، للطبرسي، ص ٤٧٢.
٢. بلاغات النساء، ص ١٨؛ السقيفة وفدك، احمد بن عبد العزيز الجوهرى، ص ١٤٠.

وكأنّ ما قام به أهل البيت عليهم السلام آنذاك كان لمجرد استيفاء حقوقهم.. والحال أنّهم كانوا على علم مسبق بعدم إحقاق الحقّ أو ميل الناس إليهم.. والأمر هذا لم يكن ليستوجب علمهم بالغيب، إذ الظرف آنذاك كان يشير إلى ذلك تماماً.. فحينما يقال: «إن الرجل ليهجر»[1] لدى وصفهم إرادة النبي كتابة كتاب لا يضلّ الناس بعده عند قراءته والالتزام بمضامينه.. فإنّ من الطبيعي أن يمنع أهل بيته عليهم السلام عن خلافته..

وبعد واقعة السقيفة المشؤومة، كان معلوماً أنّ أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام لن يستطيعا من قلب الواقع.. وإن الفرد البسيط كان يعي هذه الحقيقة.. وهكذا كان الكثير من أهل المدينة يصرحون بذلك لدى طلب الإمام منهم أن يعودوا عن بيعتهم الباطلة وغير الشرعية لأبي بكر، إذ كانوا يصرحون بأن الأوان قد فات،[2] أي أنه أصبح من المستحيل إعادة عجلة التاريخ حتى بالنسبة إلى وعي الفرد العادي، وأنّ الإصرار على التغيير سيؤدّي إلى الفوضى والحرب الداخلية الأهلية لا محالة، لا سيّما وأنّ كثيراً من المنافقين كانوا يتربّصون لهدم المجتمع المسلم.

وهكذا كان المؤكّد في الأمر استحالة عودة أو إعادة الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، لا سيّما بعد استشهاد الصديقة الزهراء عليها السلام، وقد تسلّط أبوبكر بصورة تامّة.. وهذا ما كان أهل البيت عليهم السلام يعونه حقَّ الوعي.. ولكنّ الأمر الأهمّ من كل شيء هو أن لا يضيع الحقّ ويغيّب تماماً.. فإن لم نتمكّن من إحقاق الحق ولم نتمكّن من نيله.. فلابدّ من إيضاح الأمر للأجيال اللاحقة .. وهذا ما ضحت السيدة الزهراء عليها السلام بنفسها لأجله فكان من الضروري أن تضيع ذكرى الرسول ـ الزهراء البتول ـ ويطفأ نورها بعد رحلة أبيها صلوات الله عليها..

ومن هنا؛ كان الأجدر بكل ذي حجى أن يقيّم الإنجازات التي قامت بها الصديقة الزهراء عليها السلام تقييماً واعياً قائماً على أساس إيضاحات أهل البيت عليهم السلام أنفسهم.. بمعنى ضرورة أن يتّضح أنّ مساعي الزهراء وإمساك أمير المؤمنين عليهما السلام وامتناعهما عن بيعة أبي بكر.. ولا سيّما ـ خطوة ـ الخطبة الفدكية الزهرائية، لم تكن لإحراز السلطة والحكم، وأن

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٤؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٢، ص ١٨٧.
٢. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج ١، ص ٢٩.

يتسنّم الإمام زمام الحكم أو أن تعاد فدك إلى مالكتها الزهراء ـ وهو حقهما قطعاً ـ إذ الظروف تغيّرت ولم يعد بالإمكان إعادة عجلة الحياة ـ حياة النفاق والظلم والاستبداد ـ ولكن الأهمّ في الأمر هو أن لا يُضلَّ الطريق ويقع الانحراف عن جادة الهدى بطرد الهداة.. لقد أضحت الاستراتيجية أن يبقى ثم نور يمكن التمييز به بين ما هو حقٌّ وما هو باطل..

و كان ذلك الإصرار من قبل الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام للحيلولة دون استيلاء الشبهة على العقول.. ولإلقاء الحجة البالغة على الإجيال المسلمة بأنّ ما أحدثه المنقلبون على الأعقاب لم يكن محطَّ تأييد من أهل البيت عليهم السلام الذين هم رمز الحق والرشاد، وأنهم قد اعترضوا عليه رغم أنّهم لم يستطيعوا تغيير المسار الضالّ والظالم.. وذلك الاعتراض المتواصل هو ما كان يضئ الدرب لمن شاء الاستضاءة لبلوغ الرشاد.. ومثل هذه الحقائق هي ما يمكن استيحاؤه من طوايا مفاهيم الخطبة العلوية الشقشقية الشهيرة، ثم ممّا عكف الأئمة المعصومون إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام على تكريسه وتحقيقه (مع الأخذ بنظر الاعتبار التفاوت في ظروف الإمام الثاني عشر عليه السلام)؛ إذ طالما حرصوا على إرشاد الأجيال المسلمة بأنّ ما يعيشونه من أوضاع ظالمة وباطلة ليست هي المراد الديني..

وهذا ما نلاحظه أيضاً في سيرة جميع الأنبياء والمرسلين، حيث لم يحرصوا على الاستيلاء على السلطة والحكم أبداً، و إنما اعتمدوا استراتيجية إنارة الطريق إلى الهدى والخير، وفهم حقيقة العدل والتمييز بين الحق والباطل.. وهذه المسألة قد ورد الحديث عنها في معظم الأدعية والزيارات.. كدعاء الندبة الوارد فيه: «لئلّا يزولّ الحقُّ عن مقرّه، ويغلبَ الباطلُ على أهله».[1]

ولقد كان الفرد الأكثر تأثيراً في هذا المقام ابنة نبي الهدى صلوات الله عليه وآله، وهي التي استثمرت مصونية المرأة أعظم استثمار؛ مع ما تحملت من آلام ومصائب ومصاعب حتى انتهى بها الأمر إلى التضحية بنفسها المقدسة،[2] ولكنها تمكّنت من

١. مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

٢. إثبات الوصية، المسعودي، ج ١، ص ١٤٦.

قول الحق وتضيء جادته وتمنع من الوقوع في الشبهة في عقول الأجيال المتتالية.. وإنه لبفضلها اتّضح الحق حتى للمتأصّل فيهم الجور والاستبداد.. وتلك رسالة حملتها فاطمة الصديقة عليها السلام كما لم يحملها غيرها.

التأسيس للتشيّع

لقد دوّن اللّاحقون مطلع تأريخ الاسلام كجزء من الإسلام لا كجزء من التاريخ.. ولذا؛ كان تأريخ الحقبة الإسلامية الأولى ـ صدر الإسلام ـ ذا أهمّية قصوى.. إذا صار النظر إلى الدين وتقييمه حكراً على هذه النافذة أو البوابة التاريخية.. وأضحى تكوين وتدوين النظام الفقهي والكلامي والاعتقادي من هنا؛ حيث تاريخ صدر الإسلام ـ بعد النبي صلى الله عليه وآله ـ وتحت يافطة تطبيق الإسلام الحق.. وليس خافياً وجود التفاوت بين النظرة إلى تلك الحقبة كدين أو كتاريخ.[1]

وكانت الرسالة الزهرائية الكبرى في أن ترشد جميع الأجيال المسلمة إلى أنّ ما وقع بعد استشهاد النبي أبيها لا يحكي عن واقع الإسلام المحمدي، وأنه لا يمكن أن يكون كذلك، ولا يسع أحداً أن يفسّره بذلك.. وإنّ إبلاغ هذه الرسالة من قبل الصديقة الزهراء كان أعظم وهم في الإمساك بالسلطة التي يجهل رعاياها أو يتجاهلوا هذه الحقيقة.. وبهذا يمكن القول بأنّ فاطمة البتول عليها السلام هي المؤسّسة للتشيّع لآل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

وإذا ما تناولنا التشيع بالمعنى العامّ ـ أي: الفكر الهادف إلى تنفيذ الوصايا النبويّة فيما يرتبط بالوصية والامامة (بالمعنى العامّ للإمامة)، وجدنا أنّ دور الصدّيقة الزهراء عليها السلام في التعريف الصريح للخلافة ووصاية أمير المؤمنين عليه السلام، وتفهيم وتحديد والفصل بين مختلف المشارب؛ وضمن ذلك الجو المفعم بالشبهات ـ المشبوه ـ أكبر من دور أيّ فرد آخر وأوضح وأوسع فاعلية.

---

١. لمزيد المطالعة، راجع: زمينه‌هاى تفكر سياسى در قلمرو تشيع و تسنن (فارسى)، محمد مسجد جامعى، ص ٦٨-١٢٨.

ويقابل ذلك الموقف الرسمي المرتبط بقراءة أهل السنة للاسلام، إذ نجد تفاسير أخرى مغايرة؛ مثل الموقف الشيعي، ومواقف الخوارج والمعتزلة والقدرية والمرجئة ومشارب أخرى غيرها.. وبين هذا وذاك، كان التفسير الشيعي من أهمّ التفاسير فيما يرتبط بتاريخ مرحلة الصحابة التالية لاستشهاد النبي صلى الله عليه وآله والإسلام نفسه.. وإنّ من خصائص الرؤية الشيعية تجتذب اليها ـ بشكل طبيعي ـ من كان يخالفها ويخالف التشيع عموماً.

ولا ريب في أنّ هذه الحقيقة لا تؤدّي إلى القول بأنّ مجرّد العوامل الاجتماعية هي التي تنتهي إلى الجذب نحو التشيّع.. بل إنّ واقع الأمر يفضي إلى القول بأنّ التشيع دين الله الحق وهو مدرسة ذات حقانية واضحة، وهذه الحقانية هي التي تجتذب الأفراد غير المتعصبين وغير الصنميّين والمائلين إلى نقد التأريخ، اعني تاريخ تلك الأيام الأولى التي تلت رحيل النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

وما يبحث هنا؛ هو دور الصديقة الزهراء عليها السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام في رسم الخارطة الشيعية والتصور إزاء سيدة نساء العالمين وعموم المعصومين.. وبهذا الصدد، فإنّ ما هو واضح ومسلّم به هو أنّ للزهراء وكذلك لأمر المؤمنين الدور الأهمّ في صياغة التشيع؛ ولا سيّما والتشيع الاثني عشري.

الاستشهاد

فبما يرتبط باستشهاد السيدة الزهراء عليها السلام وكيفية وطبيعة مواجهة أصحاب السقيفة المشؤومة لها ليس فقط بقضية الاعتداءات والجراحات التي لحقت بها من قبلهم حين الهجوم على دارها المقدّس وهتك حرمتها.. وإن اتّضاح هذه القضايا المفجعة يتمّ ـ وبالأدلّة التاريخية ـ فيما الموضوع الأصلي هو طبيعة الضغط الموجّه إلى أهل البيت عليهم السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله..

فاستشهاد الصدّيقة الزهراء وبذلك العمر القليل وفي تلك الفاصلة الزمنية القليلة؛ يحكي بنفسه عن الكلمات الروحية والجسمية التي تعرضت سيدة الجنة لها.. وذلك أنه لم تعش الزهراء عليها السلام غير (١٨) سنة أو (٢٥) أو (٢٧) سنة ـ طبقاً لتفاوت الروايات ـ مع

عديد أولادها، مما يؤكد سلامتها.. ولكنها توفيت فجأة بعد وفاة النبي بفاصلة بسيطة جداً (٧٥ يوماً/ ٩٥ يوماً / ستة أشهر) والحال أنها كانت سليمة الصحة تماماً إلى ما قبل استشهاد النبي صلى الله عليه وآله.

وبغضّ النظر عن جميع هذه الدلائل، فإن الخطبة الفدكية المتواترة التي ألقتها الصدّيقة الزهراء عليها السلام كافية لإثبات تلكم المصائب والمشاكل وما سيقع فيه المسلمون ـ وإلى يوم القيامة ـ من أضاليل ومآسي..

وقد نقل هذه الخطبة العظيمة صاحب كتاب (بلاغات النساء) ابن طيفور، وهو من كبار علماء وأدباء القرن الثالث الهجري.. وذلك بعد خطبة عائشة.. مشيراً إلى أن خطبة الزهراء كانت الخطبة الأولى بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، رغم أن خطبة عائشة جاءت بعد وفاة أبي بكر... وعموماً؛ إذا ما لاحظنا هذه الخطبة لوحدها، وجدناه تكشف مدى الضغط الشديد الذي تعرض لها أهل البيت، وفي مقدمتهم أمير المؤمنين والصديقة الزهراء عليهما السلام ..

ومنذ رحلة النبي وإلى استشهاد الزهراء لا سيّما في الأيام الأولى التي شهدت ضرب الزهراء وجرحها وسقط جنينها المحسّن،[1] كانت الظروف في غاية العسر بالغة الحساسية. ثم خفّت تلك الضغوط نوعاً ما إلى أن استشهدت عليها السلام.. ففي الأيام الاولى كانت المواقف ضدّ أمير المؤمنين سلبية بتمام المعنى.. وهو الرجل صاحب الدور الأول في الاسلام بعد النبي، إذ كان بطل الإسلام العظيم.. ولكنه ـ بفعل الظروف القاسية والظلم العتيد ـ وجد نفسه مضطرّاً إلى الرّكون إلى حواشي الحياة. بل أن الأغلبية خاصمته وزوته عنها، وكأن في ذلك انتقاماً منه..

وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى سيدة نساء العالمين حيث انتقم الناس عبرهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تظافرت جهود الأوغاد المنقلبين على الاعقاب لتتضاعف الضغوط على أهل بيت النبوة والخير والنور... حتى انتهى الأمر إلى استشهاد ـ قتل الزهراء عليها السلام

١. الأمالي، للصدوق، ص ١٧٦.

بالضرب على الروح والجسم الأطهرين.. وقبل هذا وذاك ما كانت الزهراء لتأذن لأحد بعيادتها بعد ظلمها وإصابتها.. وقد نقل غير الشيعة أيضاً رواية عيادة أبي بكر و عمر للزهراء في مرضها بوساطة من أمير المؤمنين عليه السلام،[1] الذي كان يعرف مدى الخزي والعار التاريخي الذي ستلحقه بهما الزهراء عليها السلام.. وعموماً، فإنّ تلك الرواية وغيرها تكشف عن مدى الضغط الشديد والهائل الذي تعرض له الإمام وبنت الرسول...

لقد أشارت الروايات المعتبرة الصحيحة إلى أنّ جملة من الصحابة ما كانوا يرضون للنبي أن يكرّم ويشفق على أهل بيته[2] وهم أمير المؤمنين والسيدة الزهراء وأبنائهما صلوات الله عليهم أجمعين.[3] ولكن النبي كان يعي حقيقة الأمر، فراح يزيد من إكرامه وتأكيد منزلة أهل بيته في الإسلام والمجتمع المسلم ويوصي الناس ـ كراراً ومراراً ـ بهم خيراً وتمسكاً باعتبارهم سفينة النجاة وأن لا يتقدّموهم..

ثم إنّ تصاريح أمير المؤمنين عليه السلام لدى وفاة الزهراء عليها السلام ومراسم دفنها تحكي عظيم المظلومية والاضطهاد الذي تعرضا له، مضافاً إلى وصايا البتول المختصرة كانت متمّمة للكشف عن ذلك الواقع المرير.[4]

ولعلّنا نجد أروع الكلام وأجمل العبارات والمقطوعات الأدبية والبلاغية في كل أمة من الأمم حين يفقد عَلَم من أعلام الأدب عزيزاً عليه أو يتعرّض إلى مصيبة مفاجئة.. وهكذا كانت خطبة الإمام وشكواه المؤلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وشرحه للمصائب التي تعرّض وزوجته الجليلة لها.. وعباراته فيها أجمل وآلم العبارات حتى بالقياس إلى خطبه الأخرى؛ وهي جميلة ورائعة كلّها.. ولكنه راح يناجي سيد النبي حين دفنه لعزيزته ومهجة فؤاده بصوت حزين، ويقول:

«السلام عليك يا رسول الله، عنّي وعن ابنتك النازلةِ في جوارك، والسريعةِ اللّحاق

١. الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ج ١، ص ٣١؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٩٨.
٢. (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى). الشورى / ٢٣.
٣. أنساب الاشراف، البلاذري، ج ٢، ص ١٠٤.
٤. صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٣٩؛ تاريخ المدينة المنورة، ابن شبّه، ج ١، ص ١٠٧.

بك.. قَلَّ يا رسول الله عن صفيّتكَ صبري، ورقّ عنها تجلّدي.. اِلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فُرقتكَ وفادح مصيبَك موضع تعزّ.. فلقد وسّدتُكَ في ملحودةِ قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسُك.. اِنّا لله وإنّا إليه راجعون.. فلقد استُرجعتِ الوديعةُ، وأُخذِت الرهينة.. أما حزني فسرمدٌ، وأمّا ليلي فمسَهّدٌ اِلى أن يختارَ الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، وستنبّئُك ابنتك بتضافر أُمّتكَ على هضمها.. فأحفِها السؤال، واستخبِرها الحال، هذا ولم يطُلِ العهدُ ولم يخلُ منك الذكرُ، والسلام عليكما سلامَ مودّعٍ؛ لا قالٍ ولا سَئمٍ، فإن انصرف؛ فلا عن ملالةٍ، وإن أقم؛ فلا عن سوءِ ظنٍّ بما وعد الله الصابرين».[1]

وهكذا هو أُوج الصبر والتّحمل والأدب والأخلاق وعظمة الروح وجلال العظمة.. فسلام الله عليه يوم ولد ويوم يستشهد ويوم يُبعث حيّاً...

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٢.

١٢١
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد؛ سيرته و حياته و آثاره و مدرسته التفسيرية

الدكتور السيد مصطفى مطهري

الملخّص: هذا المقال حول ابى جعفر محمد بن الحسن بن الوليد القمّى (م ٣٤٣ ق) من مشايخ حديث الشيعة فى القرن الرابع. يوضح الكاتب ترجمة ابن الوليد من وجهة نظر الاساتيذ، التلاميذ، المكانة العلميّة، التأليفات، وجهات النظر، مناهجه العلميّة فى التفاعل مع الرواة، فقه الحديث، المسائل الكلاميّة، و بحث الإستثناء من وجهة نظر دراية الحديث بالتفصيل. ثمّ يذكر رواياته التفسيريّة التى توجد فى المصادر الحديثيّة الموجودة بالتفصيل و يعدّ مشايخه فى الحديث فى هذه المجموعة من الاحاديث و يقدّم كيفيّة إعادة بناء كتابة التفسير و يحلّل تصنيف هذه المجموعة من الاحاديث بمؤشرين موضوعى و عملى.

المفردات المفتاحيّة: ابن الوليد، محمد بن الحسن (م ٣٤٣ ق) ـ الترجمة و الآثار؛ علماء الشيعة؛ القرن الرابع ؛ دراية الحديث؛ محدّثوا قمّ المتقدّمون ؛الاحاديث التفسيريّة؛ كتاب التفسير ـ الاعادة و التحليل

شخصية ابن الوليد

محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، معروف بابن الوليد.

كنيته: أبو جعفر. وطبقاً لقول النجاشي، قد توفّي سنة (٣٤٣ ق)[١] وبخصوص تاريخ ولادته وكذا أسرته، ليس في المتناول اِلا اسم ابنه وآبائه.

وقد نقل عن أساتذته، مثل: محمد بن الحسن بن الصفّار المتوفّى سنة (٢٩٠ ق)[٢] وكذا الحسين بن الحسن بن أبان المتقدّم قليلاً على الصفّار[٣] وعدم نقله المباشر عن البعض الآخر من اَساتذة قم، مثل أحمد بن محمد بن خالد البرقي (م ٢٨٠ ق)[٤] يقوّي احتمال كون ولادته في النصف الثاني من القرن الثالث.[٥]

وعن كونه قمّيّاً أو غير قمّيّ، وأنّ سكنه في قم، ثَمّ اختلاف يمكن أن يكون ناشئاً من سَفَراته المحتملة بداعي اشتغاله بأمور التجارة. ولم يعدّ النجاشي ـ خلافاً للرجاليين الآخرين[٦] ـ كونه قمّيّاً في الأصل.. مع أن عدم نقله المباشر عن الأساتذة غير القمّيّين يمكن أن يكون مؤيّداً جيداً لإقامته في مدينة قم واحتسابه فى جملة علمائها.

ابنه: أبو الحسن أحمد، من العلماء ذوي الدور الكبير في رواية الميراث الحديثي في قم. وفى التقارير الخبرية الخاصّة بحوادث السنين الأخيرة في مرحلة الغيبة الصغرى يفهم أنه عاش مدةً في بغداد والبصرة[٧] وهو لدى اهتماماته العلمية، كان منشغلاً بأعمال التجارة (الحجال)[٨] أيضاً.[٩]

---

١. رجال النجاشى، ص ٣٨٣ رقم ١٠٤٢

٢. رجال النجاشى ص ٣٥٤ رقم ٩٤٨

٣. الرجال للطوسى ص ٣٩٨ رقم ٥٨٤٥

٤. رجال النجاشى ص ٧٦ رقم ١٨٢

٥. راجع: دائرة المعارف بزرگ اسلامى، مدخل ابن الوليد قمى، تأليف السيد محمدجواد شبيرى الزنجانى

٦. معالم العلماء ص ١١٢ رقم ٧٦٤، رجال ابن داود ص ٣٠٨ و ٣٠٤

٧. الغيبة ص ٢٥٥

٨. حِجال، جمع حَجَلة والجمع: حجلات وحجوجل، الحجلة: ساتر كالقبّة يزين بالثياب والستور للعروس.

٩. رجال النجاشى ص ٤٩ رقم ١٠٤

الأساتذة والتلاميذ

لا شكّ في أنّ مساعي ابن الوليد في مجال الأحاديث وجملة آرائه لها العلاقة الوثيقة في تلقّي الروايات عن الأساتذة الثقات، مضافاً اِلى جهوده في تربية وتعليم التلاميذ، ويمكن تلمّس ذلك بوضوح في مشايخ (التهذيبين) و(الاستبصار) وكذا كتب الفهارس والرجال.[1] ومع هذا، فاِن من بين أساتذته شخصيات ممتازة، مضافاً اِلى تلامذته المرموقين..

وأكثر مشايخ ابن الوليد في المحدّثين المشهورين، مع أن منهم مَن لم تثبّت أسماؤهم.. ويمكن الإشارة اِلى بعض هؤلاء:

١- أحمد بن إدريس الأشعري القمي الذي روى عنه ابن الوليد اَكثر من (٥٠) رواية، وأوردها الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) والطوسي في (التهذيبين)[2]

٢- الحسن بن متيل القمي، وعدّه النجاشي والطوسي في وجوه الأصحاب وأنه كثير الحديث.[3]

٣- سعد بن عبد الله الأشعري القمي، وهو من الشيوخ والفقهاء والموثقين وصاحب تأليفات قيّمة عديدة.[4]

٤- عبد الله بن جعفر الحميري، وهو من المشايخ والموثّقين القمّيين[5].. وقد روى عنه ابن الوليد في (التهذيب) و(الوسائل) حوالي عشرين حديثاً.

٥- محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار، وقد روى عن ابن الوليد أكثر من سبعين رواية بطريق الصفار في (التهذيبين) و(من لا يحضره الفقيه) و(الوسائل).

---

١. انظر: مشيخة الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤٤٢ و مابعدها؛ مشيخة الطوسي، تهذيب الاحكام ج ١٠ ص ٣١٦ و مابعدها؛ فهارس الشيعة للخداميان.

٢. تهذيب الاحكام ج ١ ص ٦؛ ج ٤ ص ١٩٠؛ ج ٨ ص ٢٠٧

٣. رجال النجاشي ص ٤٩؛ الفهرست للطوسي ص ١٣٧؛ الرجال للطوسي ص ٤٢٤

٤. رجال النجاشي ص ١٧٧؛ الفهرست للطوسي ص ٢١٥

٥. رجال النجاشي ص ٢١٩؛ الفهرست للطوسي ص ٢٩٤

٦- محمد بن يحيى العطّار القمي.. وروى عنه ابن الوليد (٢٠٠) رواية.[١]

ومن تلامذته كثيري الرواية يمكن الإشارة اِلى:

١- ابن أبي جيد. والنجاشي الذي هو من تلامذة ابن أبي جيد كتب في ترجمته: رأيت إجازته (ابن الوليد) له بجميع كتبه وأحاديثه.[٢]

٢- أحمد بن محمد و هو نجل ابن الوليد.. هو من مشايخ الشيخ المفيد.[٣] كتب الطوسي: وأخبرنا جماعة عن أحمد بن محمد بن الحسن عن أبيه.[٤] أكثر من (٢٠) رواية بواسطة أحمد.

٣- محمد بن علي بن حسين بن بابويه؛ الشيخ الصدوق. كتب الطوسي: وأخبرنا جماعة عن محمد بن علي بن الحسين عن محمد بن الحسن.[٥] حيث كان كثير التأثّر بآراء أستاذه.[٦]

٤- جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه. ونقل الكثير من الروايات عن ابن الوليد.[٧]

ومن الرواة الآخرين عن ابن الوليد يمكن الإشارة اِلى هارون بن موسى بن أحمد التلّعُكبري[٨] وجعفر بن حسين بن عليّ المؤمن القمّيّ[٩] وأورد الطوسي بهذا الصدد: «روى

---

١. راجع: شيخ القميين ابن الوليد ص ٢٠-٤٣
٢. رجال النجاشي ص ٣٨٣
٣. امل الآمل ج ٢ ص ٢٥؛ معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٥٦-٧
٤. الفهرست للطوسي ص ٢٦٣، ٣٥٥، ٤٢٢، ٤٧٣
٥. الفهرست للطوسي، ص ٢٨، ٩٨، ١١٤، ١٢٤، ١٥٤، ٢٠٣، ٢٤٢، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٤٢، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٨١، ٤٩٥، ٥١٢
٦. راجع: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٩٠؛ معاني الاخبار ص ٣١٤
٧. راجع: تهذيب الاحكام ج ١ ص ٢٦٦، ج ٥ ص ٤٣١، ج ٦ ص ٣٢ و ٤٤؛ كامل الزيارات ص ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٤١، ٤٦، ٤٨
٨. رجال النجاشي ص ٤٣٩، الرجال للطوسي ص ٤٤٩
٩. شيخ القميين ابن الوليد ص ٥٥-٥٩

عنه التلّعكبري، وذكر أنه لم يلقه، ولكن وردت عليه إجازته على يد صاحبه جعفر بن الحسين المؤمن بجميع رواياته»[1]

المنزلة العلميّة

كان ابن الوليد من مشايخ الإجازة ومحدّثي الإماميّة المشهورين، كما كان عالماً بمختلف علوم الحديث والرجال والفقه والكلام والتفسير.[2] وإن حضور عالم مثل الشيخ الصدوق (مع ملاحظة التأثير الاجتماعي لولادته بدعاء إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف) مجلسه ودرسه وانتفاعه من علمه له أهميته الواضحة.[3] وفضلاً عن الطوسي[4] فإن النجاشي أيضاً قد لقّبه[5] بـ(شيخ القمّيّين)[6] فيما وثّقه العلماء الآخرون[7] بمن فيهم المتأخرون،[8] كلٌّ بكلماته المختلفة. ويفهم من كلام الطوسي في ترجمته لحيدر بن منعم

١. الرجال للطوسى ص ٤٣٩

٢. رجال النجاشى ص ٣٨٣ رقم ١٠٤٢

٣. كمال الدين و تمام النعمة ص ٥٠٢

٤. رجال النجاشى ص ٤٤٢ رقم ٧٠٩

٥. «شيخ» فى اللغة: من استبانت فيه السن و ظهر عليه الشيب. و المراد به حيثما يطلق فى علم الدراية و الرجال و الحديث يراد به من اخذ منه الرواية.. من أعلى مراتب المدح [المرتبة الأولى]. معجم مصطلحات الرجال و الدراية، محمدرضا جديدى نجاد، بإشراف محمدكاظم رحمان ستايش.

٦. رجال النجاشى ص ٨٢رقم ١٩٨، احمد بن محمد بن عيسى؛ ص ٢١٩ رقم ٥٧٣، عبدالله بن جعفر بن الحسين؛ ص ٢٦١ رقم ٦٨٤، على بن الحسين بن بابويه؛ ص ٣٣٨ رقم ٩٠٥، محمد بن عيسى الاشعرى؛ ص ٣٤٩ رقم ٩٤٠ محمد بن على بن محبوب؛ ص ٣٨٣ رقم ١٠٤٢ محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد؛ ص ٣٨٤ رقم ١٠٤٥ محمد بن أحمد بن داود بن على؛ الفهرست للطوسي ص ٢٦ رقم ٦٨ أحمد بن إسحاق بن عبدالله

٧. رجال ابن الغضائري ص ١١٦؛ رجال النجاشى ص ٣٨٣ رقم ١٠٤٢؛ الفهرست للطوسي ص ٤٤٢ رقم ٧٠٩؛ معالم العلماء ص ١١٢ رقم ٧٦٣؛ فرج المهموم ص ١٣٩؛ رجال ابن داود ص ٣٠٨ و ٣٠٤؛ خلاصة الأقوال ص ٤٧ رقم ٤٣١

٨. منتهى المقال في أحوال الرجال ج ٦ ص ٢٦؛ شعب المقال في درجات الرجال ص ١٢٤؛ قاموس الرجال ج ٩ ص ١٩١؛ معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٤٥؛ نقد الرجال ج ٤ ص ١٦٧؛ جامع الرواة ج ٢ ص ٩٠

أنّ من أبرز الخصوصيات العلمية لابن الوليد إحاطته بجميع مصنّفات وأصول الشيعة.[1]

آراء ابن الوليد

من العلماء الإماميّين من أشار إلى الميزات العلمية لابن الوليد بشكل متفاوت. مثال ذلك: إشارة الشيخ الطوسي إلى تبحّره في نقد ودراسة وتقييم الأخبار[2] والنجاشي إلى فقاهته. والطوسي أشار إلى معرفته الرجالية بشكل مباشر[3] ومن تراثه العلمي ـ كما سيأتي ـ وسائر معارفه، مثل التفسير والفهرست تستقى منزلته الراقية. وأهمّ موارد ذلك:

١- نقد الرواة والأخبار:

أهم ميزة ابن الوليد أنه كان متميزاً عن جميع أقرانه في خُبرته في نقد الأخبار وتحديد القيمة الفذّة لروايات أهل البيت عليهم السلام، وكذا معرفته بمواضيع وموضوعية بعض الكتب[4] ولذلك شهرة وافرة حتى بين المتأخرين.[5] وثمّ كلام مديد في طبيعة ومدى تأثر علماء قم و بغداد بشاكلة تفكيره.[6] وكنموذج لذلك؛ وجدنا الشيخ الصدوق باعتباره الشخصية ذات التأثير في مسار الحديث الشيعي وممثل المسلك الفكري للحديث بقم المقدسة وجدناه يصرّح بخصوص التزامه بنقد ابن الوليد في كتاب (من لا يحضره الفقيه) وفي ذيل رواية صوم يوم الغدير؛ فيقول:

«وأما الخبر المربوط بصلاة يوم الغدير وثوابها المذكور فيه لمن صام في ذلك اليوم.. ثم إن شيخنا محمد بن الحسن ـ رضي الله عنه ـ لم يعتبره صحيحاً وكان يقول: الحديث

---

١. الرجال للطوسى ص ٤٢١ رقم ٦٠٧٣
٢. من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٩٢
٣. رجال النجاشى ص ٣٨٣ رقم ١٠٤٢
٤. الفهرست للطوسى ص ١٧٤ رقم ٢٦٩
٥. منتهى المقال فى احوال الرجال ج ٦ ص ٢٦؛ شعب المقال فى درجات الرجال ص ١٢٤؛ قاموس الرجال ج ٩ ص ١٩١؛ معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٤٥؛ نقد الرجال ج ٤ ص ١٦٧؛ جامع الرواة ج ٢ ص ٩٠
٦. رجتال النجاشى ص ٣٢٩ رقم ٨٩١؛ ص ٣٥٤ رقم ٩٤٨؛ ص ٣٧٣ رقم ١٠١٩؛ ص ٣٤٨ رقم ٩٣٩؛ الفهرست للطوسى ص ٤٠٨ رقم ٦٢٣

وارد عن طريق محمد بن موسى الهمداني، وهو كذاب وغير موثّق.. وإن كل خبر لا يصحّحه ذلك الشيخ ـ قدّس الله روحه ـ ولم يحكم بصحته، فهو متروك وغير صحيح عندنا».[1]

والأقسام المحكيّة عن آرائه بهذا الصدد يمكن تلمّسها في مختلف مواضع كتب الرجال وعن محمد بن عبد الله المسمعي لم ترد ترجمة له في كتب الرجال، ولكن الشيخ الصدوق كتب في (عيون أخبار الرضا عليه السلام) في ذيل إحدى الروايات: «كان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد سيّئ الرأي في محمد بن عبد الله المسمعي راوي الحديث».[2]

والأصل المنسوب إلى زيد النرسي وزيد الزراد من وجهة نظر ابن الوليد موضوع.[3]

كما أنه عدّ كتاب خالد بن عبد الله بن سدير موضوعاً، وأنّ واضع هذه الأُصول محمد بن موسى الهمداني[4] فيما رمى محمد بن جعفر بن أحمد بن بطّة المؤدب بالضعف والتخليط في الأسانيد[5] كما اعتبر ابن الوليد متفرّدات محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن رضوان الله عليه غير معتبرة .. في حين عارضه النجاشي في رأيه هذا، ووضعه بأنه مخالف لرأي الأصحاب[6] والطوسي كتب عن قولٍ للشيخ الصدوق: «سمعت محمد بن الحسن بن الوليد يقول: كُتب يونس التي هي بالروايات كلها صحيحة؛ يعتمد عليها إلّا ما ينفرد به محمد بن عيسى بن عبيد ولم يروه غيره، فإنه لا يعتمد عليه ولا يُفتى به»[7] وثَمّ جماعة من أعيان قم قد نقلوا عن ابن الوليد فيما يرتبط بمتفردات محمد بن أرومة، وهو غير معتمد بداعي الطعن

١. من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٩٢
٢. عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢١
٣. الفهرست للطوسي ص ٢٠٢
٤. الفهرست للطوسي ص ١٧٠؛ رجال النجاشي ص ٣٣٨
٥. رجال النجاشي ص ٣٧٣
٦. رجال النجاشي ص ٣٤٨
٧. الفهرست للطوسي ص ٥

بغلوّه[1] فهو مَن عزم الأشعريون بقم على قتله بسبب الطعن عليه بالغلوّ. ولكنهم حين عرفوا كونه من أهل الصلاة، كفّوا من عزمهم المذكور. وعدّ ابن الغضائري ابنَ أرومة نقيّاً عن الفساد.[2]

وعُرّف في (فهرست) ابن الوليد إسماعيلَ بن جابر الجعفي على أنه صاحب كتاب[3] تبعاً للرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام إذ قال فيها: أحبّ الناس إلى في الحياة والممات أربعة نفر: بريد العجلي وزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم والأحول.. وهم معرفون عند ابن الوليد[4] وهم محطّ اعتماد لديه.[5]

وعن طبيعة تعامل ابن الوليد مع التراث الحديثي لسعد بن عبد الله؛ يمكن القول أنّ ابن الوليد قبل جميع أحاديث سعد إلّا قسم من كتاب (المنتخبات) الذي قال عنه الشيخ الصدوق بعبارة: «إلا كتاب المنتخبات، فإني لم أروها عن محمد بن الحسن إلّا أجزاء قرأتها عليه».[6] وكذلك عبارة النجاشي في عدم نقل كتاب (بصائر الدرجات) في أحد الاحتمالين وأقرب إلى الواقع، يعني الاستثناء الجدير بالالتفات.

ومن جهة أخرى؛ فقد عمد علماء آخرون من الشيعة في بغداد إلى نقل شطر من أهمّ وجوه ذلك النقد، لا سيما استثناؤه بعض رواة روايات كتاب (نوادر الحكمة) لمحمد بن أحمد بن يحيى[7] ولاحظوها في كتبهم الرجالية والفقهية.. وبهذا الصدد؛ وبلحاظ بعض الآراء الرجالية والفهرسة لابن الوليد في العلاقة مع الاستثناء ومعرفة المعنى والمفهوم في ذلك.. فإنّ ثَمّ تحليلاً جديراً بالبيان يتأتّى من ذلك.[8]

---

١. رجال النجاشي ص ٣٢٩
٢. رجال ابن الغضائري ص ٩٣
٣. رجال النجاشي ص ٣٢
٤. راجع: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢١ ذيل حديث ٤٥
٥. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٧٦
٦. الفهرست للطوسي ص ٢١٥-٢١٦؛ شيخ القميين ابن الوليد ص ٨٦-٩٣
٧. رجال النجاشي ص ٣٤٨ رقم ٩٣٩؛ الفهرست للطوسي ص ٦٢٣ رقم ٤٠٨
٨. هذا القسم من المقال مقتبس من دروس الأستاذ الحسيني.

فيما يرتبط بلاستثناء ومفهومه

مفهوم الاستثناء

مصطلح الاستثناء مصدر من باب الاستفعال، وجذره «ث ـ ن ـ ي» و«ثنى» في اللّغة بمعنى التكرار والمنع والانعطاف والانصراف. والاستثناء في اصطلاح علم النحو حيث له استعمال آخر يحسب على الاستثناء، وهو إخراج بعض الأفراد عن دائرة حكم الكلّ بوسيلة: «إلّا» وأمثالها (غير، سوى، عدا، حاشا) والجملة المستعملة في ذلك الاستثناء شاملة لثلاثة أركان:

١- المستثنى منه: مجموعة كلّيّة يُخرج منها موضوع واحد أو اسم.

٢- المستثنى: مورد وموضوع يُخرج من الحكم الكلّي.

٣- أداة الاستثناء: وهي كلمات ـ حروف ـ يتمّ بها إجراء وتنفيذ حكم الاستثناء.

ويستعمل عنوان الاستثناء في كلّ واحد من العلوم الفقهية والأصولية والتفسيريّة والحديثية أيضاً[١]. ويمكن استعمال هذا العنوان في معرفة الرجال، وذلك أن المتتبّع لكتب (الفهرست) يواجه ظاهرة تذكر على أنها استثناء و يستفاد منها في معنى ومفهوم خاصّ مناسب لموضوع المعرفة، وإن كانت أرضية ومساحة ذلك الاستنتاج ذاته المنحى الحاكم في علم النحو. في الاستثناء الرجالي ثم موارد أو أفراد يخرجون من الحكم الكلّي بأداة الاستثناء (إلّا) في الغالب، ويميّز، وبالنتيجة ستشتمل الجملة على الاستثناء ذي الأركان الثلاثة المذكورة أعلاه.

ومن هنا؛ كان الاستثناء في الرجال يمكن أن يبيّن بالنحو التالي: الراوي؛ يرى كتاب شخص آخر فيقول مثلاً: من مئة رواية أو راويها هناك ثمانون مورداً مقبولاً، وعشرون مورداً من هذا الحكم ـ يعني القبول ـ نستثنيها.. وما هو مهمّ لدى ذلك حكم المستثنى منه ودوره في التعامل مع المستثنى.

وفي إيضاح عامّ لمفهوم الاستثناء ينبغي القول إنه بعبارة واحدة مشتملة على الاستثناء

---

١. راجع: كتب التفسير ذيل آية ٤٤ سورة الكهف؛ العدّة في أصول الفقه ج ١ ص ٢٢١؛ منتهى الدراية ج ٣ ص ١٨١

لها حكمان دوماً: حكم إيجابي، وحكم سلبي.. وهذا الأمر سارٍ في جميع اَشكال الاستثناء، بمعنى بقاء مجموعة تحت الحكم. وطبقاً لما يستفاد منه في كتب الرجال، فإن ما يبقى تحت المستثنى منه ثَمّ موارد يجيز المستثنى انتسابها اِلى المعصوم والشرع التامّ كما يجيز نقلها.. وعليه؛ إذا كان من هو عارف بالحديث كابن الوليد وفي الطريق اِلى كتابٍ ما، ولا يستعمل نوعاً فى أنواع الاستثناء فذلك ما يعكس مطلبين: ١- أنه لا يرى مشكلة خاصّة في مسار انتقال هذا التراث والميراث. ٢- أنه يقبل الميراث..

وإنه لمزيد من الإيضاح والمنفعة يشار اِلى أنواع الاستثناء في الرجال.

أنواع الاستثناء

بنظرة عامّة اِلى موضوع الاستثناء المتحقق في المجموعة التراثية المفهرسة عند الشيعة وتمّ تناقلها، فإنه يمكن تقسيم الاستثناء اِلى أربعة أقسام واَشكال:

١- استثناء من روايات بعض تلامذة صاحب الكتاب.

في ترجمة يونس بن عبد الرحمن جملة معلومات خاصة بـ(فهرست) الطوسي الدلالة على أنّ ابن الوليد يعدّ كتبه الحديثية مقبولة. والقمي ليس له من اعتراض على رواياته الفقهيّة، أما بالنّسبة اِلى محمد بن عيسى بن عبيد، وهو أحد ناقلي الميراث الحديثي ليونس بن عبدالرحمن، فقد خدشه، وما هو نسب محمد بن عيسى ليونس، المنفردات لا يقبله.

ولدى إيضاح هذا المورد؛ ينبغي القول: يبيّن الطوسي عن قول ابن الوليد ثلاث طرق (الراوي المباشر) اِلى كتب يونس عليه الرحمة: ١- إسماعيل بن مرار. ٢- صالح بن السندي (المحرف عن صالح بن سعيد الراشدي) ٣- محمد بن عيسى بن عبيد. ثم نقل عن الشيخ الصدوق أن استاذه ابن الوليد يذهب اِلى اَنّ كتب يونس بن عبد الرحمن التي هي بالروايات؛ كلّها صحيحة يعتمد عليها، اِلّا ما ينفرد به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ولم يروه غيره، فإنّه لا يعتمد عليه ولا يُفتى به.[1]

١. الفهرست للطوسى رقم ٨١٣

يعني إنه لا اعتراض على كتب يونس، وإنما الإشكال في أحد الطرق المنتهية إلى ميراث يونس. وبالنتيجة وجدنا ابن الوليد غير قائل بالاعتبار والحجية لشطر من الروايات التي نسبها محمد بن عيسى بن عبيد ليونس.. ومن هنا؛ يكون الإشكال في الطريق إليه وليس في صاحب الكتاب. وبهذا الشكل، يتعلق الاستثناء بموارد يكون الميراث المكتوب في البين.. أي تردّد الشخص المستثني في مسار انتقال هذا الميراث.

٢- الاستثناء من روايات بعض المشايخ؛ أصحاب الكتب.. وهكذا استثناء هو على عكس الشكل الأوّل. مثال ذلك:

سعد بن عبد الله، صاحب مجموعة في الكتب[١]، حيث استثنى ابن الوليد من مجموعة كتبه كتاب (المنتخبات) وقِسماً من روايات سعد في كتاب (المنتخبات). وكتب الطوسي في (الفهرست) بعد إحصاء كتب سعد عن قول الشيخ الصدوق:

«...إلّا كتاب (المنتخبات)، فإنّي لم أروها عن محمد بن الحسن إلّا أجزاء قرأتها عليه واَعلمت على الأحاديث التي رواها محمد بن موسى الهمداني، وقد رويت عنه كل ما في كتاب (المنتخبات) ممّا أعرف طريق من الرجال الثقات».[٢]

وبالنتيجة، فإن نسبة روايات محمد بن موسى الهمداني للمعصوم ـ من وجهة نظر ابن الوليد ـ بقيت مورد شك.. وسلوك وموقف ابن الوليد تجاه كتاب (المنتخبات) لسعدٍ يتضمّن ثلاث نقاط:

ألف: أنّ هذه المجموعة هي لسعد بن عبد الله.

ب: أنّ سعد بن عبد الله قد عزا هذه المجموعة للمعصوم عليه السلام.

ج: أنّ ابن الوليد قد تردّد في نسبة بعض روايات هذه المجموعة للمعصوم من ناحية بعض مشايخ سعد.

٣- استثناء جزء محدّد من أثر أو آثار حديثية.

في الشكل الثالث، كان مورد الاستثناء أكثر جزئية، ومصداقه أكثر تحديداً.

---

١. رجال النجاشي ص ١٧٧

٢. الفهرست للطوسي ص ٢١٥

فمثلاً نجد أنّ محمد بن الوليد لا ينقل عن كتب محمد بن حسن الصفار كتاب (بصائر الدرجات)، والحال أنّ هذا الكتاب من الكتب البارزة للصفار[1] أو أنّ المستثني في بعض الأحيان يقبل جميع كتب الراوي وكذا نسبة الروايات إلى المعصوم عليه السلام، ولكنه في رواية خاصة يُعرِب عن شكّه، مثل رواية تحريم لحم البعير، حيث كان ابن الوليد يقبل جميع كتب علي بن ابراهيم، ومنها كتاب (الشرائع) ويُقرّبنسبتها إلى علي بن ابراهيم، غير رواية واحدة وردت في كتاب (الشرائع) الناصّة على حرمة لحم البعير؛ فيستثنيها ولا يقبلها.[2]

وإنّ تفاوت هذا النوع من الاستثناء مع نوعي الاستثناء المذكورين يكمن في أنّ مورد الاستثناء محدّد ومصداقه معين، خلافاً للاستثناء في النوع الأوّل حيث يعثر عليه لدى البحث في مدى وطبيعة متفرّدات محمد بن عيسى... أو في النوع الثاني حيث ينبغي تحديد ـ بعد البحث ـ طبيعة روايات سعد بن عبد الله بن محمد بن موسى الهمداني.

٤- استثناء المفاهيم الكلّيّة

في هذا النوع من الاستثناء يترك التحديد عموماً إلى القارئ، ولا يحدّد المستثني أيّ تعداد وأيّ مصداق خاصّ. فمثلاً: نقرأ في ترجمة محمد بن سنان: له كتب.. وجميع ما رواه إلّا ما كان فيها من تخليط وغلوّ؛ أخبرنا به جماعة عن أبي جعفر بن بابويه عن أبيه ومحمد بن الحسن جميعاً؛[3] أو في ترجمة محمد بن علي الصيرفي، حيث جاء فيها: له كتب... أخبرنا بذلك جماعة عن ابي جعفر بن بابويه عن أبيه ومحمد بن الحسن.. إلا ما كان فيها من تخليط أو غلوٍّ أو تدليس أو ينفرد به ولا يُعرف من غير طريقه.[4]

إن مسألة الاستثناء يمكن اعتبارها نوع سلوك عُرفت ـ أكثر ما عُرفت ـ في المساحة الحديثية في قم ومن قِبل ابن الوليد.. ولكن لا يمكن تحديدها ـ كظاهرة ـ بمساحة

١. الفهرست للطوسي، رقم ٦٢١.
٢. نفسه، رقم ٣٨٠.
٣. نفسه، رقم ٦١٩.
٤. نفسه، رقم ٦٢٤.

خاصّة أو فرد خاصّ، وإنما الاستثناء هذا ـ بأنواعه ـ عبارة عن ظاهرة عامّة في مسلك محققي الحديث الشيعة[1] حيث لها مردودات خاصّة.

ولدى إيضاح مردودات الاستثناء يتعلّق الحكم بالمستثنى منه والمستثنى ودور الحكم المتعلّق بالمستثنى.. وبالنظرة إلى مجموعة المستثنى منه يمكن تلمّس الدور الكبير في توسعة مساحة توثيق أو تضعيف الرواة.. ولبيان دوافع الاستثناء ووجهته، ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار جذر مسألة الاستثناء في نقد محتويات كتب الحديث القديمة بداعي العثور على قرائن الاطمئنان إلى جهة صدور الحديث عن المعصوم عليه السلام. ومن هنا؛ يتعلق الاستثناء بتراث الروايات الثقات، من قبيل سعد بن عبد الله ومحمد بن الحسن الصفار، وكذا الرواة الضعفاء؛ مثل محمد بن سنان وأبي سمينة. وبخصوص استثناء ابن الوليد للمحدثين التالين ومدى تأثير هذا الاستثناء؛ فيمكن تلمّسه في بيان النقطة الأبرز في كلام الطوسي في كتابه (العدّة)[2]

أسئلة

١- في نقل النجاشي والطوسي عما استثناه ابن الوليد، هل ثَمّ تفاوت؟ وأيّ رأي هو الصحيح لدى حصول الاختلاف؟

٢- هل يعتبر القول: «الرواة المستثنون من قِبل ابن الوليد في (نوادر الحكمة) كلهم ثقات» قولاً صائباً ومدروساً؟

٣- ما المقصود من الاستثناء عند ابن الوليد؟ وهل أنه بمسلكه هذا، أراد تضعيف روايات الرواة وردّهم المطلق في هذا الاستثناء؟

أوجه تفاوت نقل الطوسي والنجاشي

قد وردتنا مسألة استثناء ابن الوليد بطريقين: أحدهما: في (رجال النجاشي) والثاني: في (الفهرست) للطوسي..

---

١. رجال النجاشي، رقم ١٩٢؛ اختيار معرفة الرجال، رقم ١٠١٤.

٢. العدة في أُصول الفقه، ج١، ص١٥١.

وقد بدأت عبارة النجاشي بالقول:

.. محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري القمّي أبو جعفر كان ثقة في الحديث.. إلّا أنّ أصحابنا قالوا: كان يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ولا يبالي عمّن أخذ. وما عليه في نفسه مطعن في شيء، وكان محمد بن الحسن بن الوليد يستثني من رواية محمد بن أحمد بن يحيى ما رواه عن محمد بن موسى الهمداني أو ما رواه عن رجل أو يقول بعض أصحابنا.[1]

أما عبارة الطوسي؛ فهي:

محمد ابن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري القمّي؛ جليل القدر كثير الرواية.. له كتاب (نوادر الحكمة) وهو يشتمل على كتب جماعة.. أخبرنا جماعة عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه ومحمد بن الحسن عن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى عن محمد بن أحمد بن يحيى.[2] وقال محمد بن علي بن الحسين (ابن بابويه): إلّا ما كان فيه من تخليط وهو الذي يكون طريقه محمد بن موسى الهمداني أو يرويه عن رجل أو عن بعض أصحابنا.[3]

وبالنظر إلى عبارة «قال أبو العباس بن نوح: وقد أصاب شيخنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد في ذلك كله»،[4] عن النجاشي الذي ذكر موارد استثناء ابن الوليد، وبملاحظة المكاتبة الحاصلة بين النجاشي وابن نوح،[5] يمكن الادّعاء أنّ النجاشي قد نقل أصل الكلام من ابن نوح مشافهة أو عن طريق المكاتبة.

والطوسي ـ كما يبدو ـ قد أخذ هذا المطلب عن كتاب (الفهرست) للصدوق.. وهو الذي كتب في (الاستبصار) في ردّ خبر أحمد بن محمد السيّاري: ... وقال أبو جعفر ابن

١. رجال النجاشي، ص ٣٤٨.
٢. طريق الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) هو كذلك.
٣. الفهرست للطوسي، ص ٤٠٨.
٤. رجال النجاشي، ص ٣٤٨.
٥. نفسه، ص ٥٩، رقم ١٣٧.

بابويه في (فهرسته) حين ذكر كتاب (النوادر) استثنى منه ما رواه السيّاري وقال: لا أعمل به ولا أُفتي به لضعفه.[1] وعلامة أُخرى على صحة هذا الاستنتاج؛ استناد الطوسي لدى ترجمة موارد عديدة للرواة بكلام الصدوق في (فهرست) الصدوق.[2]

وينبغي القول في وجود التفاوت بين هذين النقلين: إن اسم هيثم بن عدي الآدمي قد ذكر في (الفهرست) للشيخ، أما في (رجال النجاشي) فلم يرد له ذكر[3] فيما ذكر في هذا الكتاب الأخير اسم مموية بن معروف، وفي (الفهرست) للشيخ ذكر اسم معاوية بن معروف، حيث يكون تعبير الشيخ صحيحاً.[4]

والشواهد تشير إلى أنّ نقل قول الطوسي في (الفهرست) ذو ألفاظ أدّق.[5]

الآراء في استثناء ابن الوليد في (نوادر الحكمة)

حيث أن الغاية من علم الرجال؛ معرفة الرواة الثقة من غير الثقة، وبالتبع معرفة الأسانيد والأحاديث المعتبرة من غير المعتبرة، فإنّ التوثيق على شاكلتين: خاصّ وعامّ. والمراد من التوثيق الخاصّ: ما يرد التصريح به في كتب الرجال أنّ فلان الراوي خاصّ ومعيّن ثقة.. أو أنّ هذا المعنى ورد بالفاظ وعبارات أُخرى، ممّا يدل على توثيقه. والمراد من التوثيق العامّ؛ أنّ الرواة قد وثّقوا ضمن قاعدة كلّيّة وعامّة (لا شخصية خاصّة) مثل قاعدة توثيق مشايخ النجاشي وقاعدة الشيخوخة والإجازة و... حيث جعل المتخصّصون بعلم الرجال قواعد عيّنوها؛ وهي إذا ما انطبقت؛ كانت شاهداً ودليلاً على توثيقه.[6]

وفي هذه البحوث؛ وقبل اعتبار الأفراد أنفسهم، تكون هذه العناوين العامّة هي

---

١. والاستبصار، ج ١، ص ٢٣٧.
٢. فهرست الطوسي، ص ١٣٠، رقم ٢٩٩ و٣٠٠، ص ٢٢٠، رقم ٦٢٠، ص ٢١٦، رقم ٦١١.
٣. رجال النجاشي، ص ٣٤٨، الفهرست للطوسي، ص ٤٠٩.
٤. نفسه.
٥. إقبال الأعمال.
٦. دانش دراية الحديث، الرباني، ص ٢٥٠.

الحاكمة على وثاقة جماعة من الرواة المنضوية أسماؤهم تحت ضابطة كلّيّة خاصة..[1]

وأحد العناوين العامّة التي ادّعي دلالتها على وثاقة الأفراد المذكورين رواة نقل عنهم محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري وليسوا محطّ استثناء ابن الوليد وأيّدهم الصدوق وأبو العباس بن نوح.[2]

وقد نهض علماء الرجال لدى تبيين حدود الاستثناء بالبحث وأجابوا على مسألة مّا إذا كان صحيحاً ما قيل بأنّ كل من وقع في الاستثناء عن ابن الوليد، محطّ توثيق أم لا؟

الذين اعتبروا هذا الأمر توثيقاً عامّاً؛ ادّعوا أنّ ابن الوليد وأبا العباس والشيخ الصدوق قد استثنوا بعض رواة روايات محمد بن أحمد.. وفي هذا ظهور بأنّ سائر الرواة الذين روى عنهم قد قبلهم. إذ أنّ اكتفاء ابن الوليد باستثناء الموارد المذكورة حاكٍ عن أنّه اعتمد جميع روايات محمد بن أحمد بن يحيى غير موارد الاستثناء. وهذا يعني أنّ توثيق الرواة الذين لم يستثنهم.. وينبغي الالتفات هنا إلى أنّ مقصود المشايخ عدم وساطة صاحب (نوادر الحكمة) وليس كلّ راوي مذكور اسمه في سند هذه الكتب[3]..

وهنا نتطرق إلى بعض هذه الآراء.

الف: السيد الصدر كتب في (نهاية الدراية) في عوامل المدح: من عوامل المدح رجال محمد بن أحمد بن يحيى صاحب (نوادر الحكمة) الذي لم يعرّضوا للاستثناء، وذلك أنّ من هذا الاستثناء يُعلم أن باقي الأفراد كانوا مرضيّين، وهذا أقلّ مراتب مدحهم ذاك، بل هو جعل طريق للتوثيق، وأنّه وجه دليل على الاعتماد؛ مسلك جماعة من المحقّقين، مثل صاحب (الذخيرة) وآخرين، وقد نوّه إليه السيد في (العدّة الرجالية)، ولكن رأيي أنّ عدم الاستثناء هذا لا يوجب إلّا تقوية الحديث في الجملة.[4]

ب: أورد المحقق الخوئي: يذهب البعض إلى هذا الرأي، وذلك أنّ اكتفاء ابن

١. كليات علم الرجال، بداية الفصل السادس.
٢. الفهرست للطوسي، رقم ٩٣٩. كليات علم الرجال، ص ٢٦٤.
٣. كليات علم الرجال، ص ٢٦٤.
٤. نهاية الدراية، ص ٤٢٤ و ٤٢٥.

الوليد بما استثنى يكشف عن اعتماده جميع روايات محمد بن أحمد بن يحيى إلّا تلك الموارد.. ولكن يبدو أنّ هذا القول غير صائب، وذلك أن اعتماد ابن الوليد رواية شخص لا يدلّ على حُسنه؛ ناهيك عن وثاقته، لأنّ هذا احتمال على أنه على أصل العدالة،[1] وكان يعمل برواية كلّ شيعي لم يثبت فسقه، ولذا؛ لم يكن اعتماده رواية راوٍ دالّاً على توثيقه.[2]

ج: أن الشيخ السبحاني كان يوثّق ويعدّل جميع مشايخ محمد بن أحمد بن يحيى في الحديث الذين ذُكروا في رجال (نوادر الحكمة) إلّا في الموارد المستثناة عنه ابن الوليد وابن نوح والصدوق.. وإن توثيقهم حجة ما لم يتعارض مع تضعيف الآخرين..[3]

تحليل ماهية الاستثناء

قد كتب الطوسي في ترجمة محمد بن عيسى بن عبيد في (الفهرست): ضعيف، استثناه أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه عن رجال (نوادر الحكمة) وقال: لا أروي ما يختصّ بروايته.[4] وهذه العبارة تشير بوضوح إلى أنه ثمّ قرب بين مفهوم الضّعف وبين ظاهرة الاستثناء.. وعبارة النجاشي في ترجمته ـ محمد بن عيسى بن عبيد ـ تشير إلى هذا التقارب أيضاً..[5] ولكن هذا الضعف الذي يُفهم من مفهوم الاستثناء لا ينبغي أن يبيّن بمعنىً غير مناسب.

وإيضاح هذا المطلب نجده في الجواب على سؤالٍ بخصوص ما إذا كان استثناء ابن الوليد استثناءً احترازياً ونفيياً، أم أنّه استثناء احتياطي وتنبيهيٌّ؟ وبعبارة أخرى: هل أنّ ابن الوليد فيما يرتبط بالمجاميع التي عزلها، كان يعدّها خارجة عن الشرع، أم أنه لم يكن يعدّ قرائن انتسابها ـ الروايات ـ غير تامّة؟ وذلك أنّ هذين الأمرين والإدّعاءين متفاوتان..

---

١. لاريب في أن هذا الرأي بعيد عن الواقع..
٢. معجم رجال الحديث، ج ١٥، ص ٤٧.
٣. كليات علم الرجال، ص ٢٦٤ و ٢٦٧.
٤. الفهرست للطوسي، رقم ٦١١.
٥. رجال النجاشي، رقم ٨٩٦.

لدى الإجابة على هذا السؤال؛ نجد من المناسب ذكر المقدمة أدناه.. وهي أنّه في مسلك القدماء كان انضمام القرائن إلى بعضها يوجب قبول مجموعة أو عدم قبولها.. فمجموعة القرائن توجب استنتاج انتساب رواية أو جملة من الروايات إلى المعصوم.. ويمكن تسمية هذا المسلك بنقد المحتوى، أو التطابق مع التعاليم العامّة لدى الشيعة.. وليس مهمّاً في هذا المسلك أن يكون مثلاً سعد بن عبد الله الذي هو أستاذ ابن الوليد صادقاً، وإنما اللازم أن يكون ثقةً عن راوٍ ثقةٍ؛ وهو من راوٍ ثقةٍ حتى يصل الأمر والنقل إلى المعصوم...

ولكن لدى البحث ومناقشة جواب السؤال، ثمّ قضية أدلى بها الطوسي في آخر مبحث الخبر الواحد في كتاب (العدّة في أصول الفقه) حيث كان يعيش في برهة قريبة من ابن الوليد.. وهي عمله بروايات المتّهمين والمضَعَّفين إن توفّرت قرائن الصحة، إذ قال: (إن كان هناك ما يعضد روايتهم ويدلّ على صحتها؛ وجب العمل بها). وإن لم تتوفر قرائن الصحة، فقال: (وإن لم يكن هناك ما يشهد لروايتهم بالصحّة؛ وجب التوقّف في أخبارهم).

ثم إنه عدّ هذا المسلك مقبولاً بين مشايخ الحديث، وأعاد جذور الاستثناء إليه.. وأضاف قائلاً: (ولأجل ذلك؛ توقّف المشايخ عن أخبارٍ كثيرة هذه صورتها ولم يرووها واستثنوها في فهارسهم من جملة ما يروونه من التصنيفات).[1]

وكما يلاحظ؛ لم يعدّ الطوسي الروايات صحيحة لدى اعتبار قرائن صحتها تامّة، ولم يهتمّ ولم يلتفت إلى مسألة وضعها أو كذبها واعتبر أنّ مسلك المحدّثين مسلك احتياطيٌّ..

وفي شواهد هذا التحليل والتصوير، يمكن متابعة بعض روايات (البصائر) بنقل الصّفار في كتب الشيخ الصدوق عن طريق ابن الوليد.[2] ومؤيّد آخر لذلك؛ أنّ ابن الوليد هذا قد استثنى روايات محمد بن أحمد بن يحيى في (نوادر الحكمة) بشكل مطلق،

١. العدة في أصول الفقه، ج ١، ص ١٥١.

٢. جعفري رباني، محمد بن حسن الصفار وكتاب بصائر الدرجات، ص ٥٥-٧٦ و ١٧٩.

كما قال بصورة مطلقة: «جميع ما روى محمد بن علي الصيرفي»،[1] ولكنه قال في ترجمة محمد بن علي الصيرفي: (إلّا ما كان فيها من تخليط أو غلوّ أو تدليس أو ينفرد به ولا يعرف من غير طريقه»[2] أي: أنه يدّل ذلك الإطلاق إلى عناوين محدّدة وجزئية.

هذه النقطة اِلى جانب المطلب الخاصّ بجعل الشيخ الصدوق كتاب (نوادر الحكمة) كتاباً مشهوراً ومحطّ اعتمادٍ ومرجعٍ، حيث ذهب محمد بن أحمد بن يحيى الى أنّ جميع الرواة ضعفاء مستثنون وأخذ رواياتهم.. يعدّ أمراً بعيداً عن الواقع.. وهي نقطة تنبّه اِلى أنّ جميع ما أورده محمد بن أحمد بن يحيى عن أولئك الأفراد في (نوادره) غير صحيح بالضرورة، وليس غير مقبول بالجملة. وذلك لعدم تناغمه ـ هذا البيان ـ مع سلوك ابن الوليد إزاء تراجمهم. بلى؛ قد رأى ابن الوليد أنّ بعضاً من هذه المجموعة غير قابلة للانتساب للمعصوم، بمعنى أنّ القرائن الدالّة على صدورها عن المعصوم غير مجموعة، كما لو أنّ الراوي من أهل التدليس أو كان مخلّطاً، والتدليس والتخليط علامة ضعف الراوي.. وهذا الرأي والمنحى بمعنى أنّ في مجموعة تعاليم هذا الفرد (مثل أبي سمينة) جملة تعاليم تخليطية وتدليسية. ولكن هذا المدّعى متفاوت مع القول بأنّ كل واحدٍ واحدٍ من مجموعة الأحاديث التي رواها غير قابلة للانتساب للمعصوم، ولا ريب في أنها جميعاً قد نُسبت للمعصوم كذباً وزوراً...

وجذوة القول أنّ محمد بن أحمد بن يحيى عدّ نقل الروايات (الكثيرة) عمّن وقعوا موقع الاستثناء من قبل ابن الوليد في (نوادر الحكمة) مع ما لهذا الكتاب من شهرة.. ويبدو بعيداً أن نقول بأنّ محمد بن أحمد بن يحيى قد نقل ـ فقط ـ الروايات الضعيفة وغير الجديرة بالقبول.. وقد استثناها ابن الوليد، ومع ذلك، فإنّ كتاب (النوادر) من الكتب المراجع والمعوّل عليها، كما صرّح بذلك الشيخ الصدوق والنجاشي على مرجعيّته..

وعلى هذا؛ مع قبول المسألة المعروفة في ثقافة انتقال حديث الشيعة؛ والقائلة بأنّ

---

١. الفهرست للطوسي، رقم ٦٢٢.

٢. نفسه، رقم ٦٢٤.

الراوي إذا أخذ رواية ونقلها، يكون قد قَبِل مسؤولية نسبتها اِلى المعصوم.. فإنّه يمكن استنتاج مسلك ابن الوليد في الاستثناء بمثابة تحذير واحتياط أراد له ابن الوليد أن يسرّ به إلى تلامذته الذين لا يرغبون في تحمّل مسؤولية انتقال موارد الاستثناء.. وأنّ الاستثناء يبيّن هذا التردّد في نسبة الرواية اِلى المعصوم..

معيار ابن الوليد في الموقف من الرواة

تارة يلاحظ في مسار نقل بعض التراث الشيعي وجود وسائط بين ابن الوليد وإلى الإمام المعصوم قد يكون ضعّفها أو استثناها، فهل يكون هذا نقضاً لكلامه؟ وما هو المعيار في هذه الإزدواجية؟

لفهم معيار ابن الوليد في أشكال موقفه وتعامله مع الرواة؛ ينبغي الالتفات اِلى التفاوت في حيثية الراوي. ويمكن تقسيم نظرة أصحاب الرجال والمحدّثين اِلى رواة الحديث اِلى جهتين:

١- الشخصية المستقلّة.

٢- الشخصية التبعيّة أو الطريقيّة.

هذه النظرة تابعة عن كيفية تعامل محدّثٍ ما مع الرواة الذي سبقوه. فمثلاً ثَمّ فرد كمحمد بن علي أبي سمينة يقاس فى جهة مجموعة التراث الحديثي التي قام بتأليفها بنفسه، وهي تعكس آراءه الحديثية وعقائده بهذه المجموعة.. مورداً مورداً.. وبهذه النظرة تتكوّن مسألة حمل الحكم.. وتارة يكون تعامل عاملٍ ما معه بعنوان الواقع عن طريق كتب الثقات.

في النظرة الاولى التي يعبّر عنها بالشخصية المستقلّة للراوي يمكن أن يكون مضعَّفاً، كما ضُعّف محمد بن علي أبو سمينة من هذه الحيثيّة. أما تضعيف أبي سمينة في التراث الحديثي؛ لا منافاة مع وقوعه ـ أو الأفراد الشبيهون له، مثل محمد بن سنان ـ في الطريق اِلى كتب الثقات وعدم استثنائه، وذلك أنّ أبا سمينة في هذه النظرة من جهة الشخصية التبعية والطريقية قد وقع في المداقّة.

ومن هنا؛ فإن وقوع محمد بن علي أبي سمينة في الطريق المتعدد إلى كتب الثقات وعدم استثنائه.. لا منافاة بينه وبين تضعيفه في الآثار الحديثية، وهذا ما يعبّر عنه بالوثاقة النسبيّة.

وبالنظر إلى هذه النقطة يمكن التوصّل إلى حقيقة عدم المنافاة بين استثناء بعض الأفراد في (نوادر الحكمة) وبين نقل ابن الوليد الرواية عنهم.. فيتّضح معيار ابن الوليد في الاستثناء.

وبالنتيجة: فلاحظ أنّ ابن الوليد قد وقع في مسير نقل بعض التراث الشيعي، مع أن الوسائط بينه وبين أصحاب الكتب ضعاف؛ مثل أبي سمينة الذي عدّه من الكذّابين المشهورين،[1] والنجاشي قال فيه: هو ضعيف جداً وفاسد المعتقد.. وكذا سهل بن زياد الضعيف وغير المعتمد في الحديث.[2] وهذا بمعنى أنّ ابن الوليد يعدّ محمد بن سنان ـ بلحاظ آثاره الحديثية ـ ضعيفاً في نقل كتاب طلحة بن زياد، أو أبو سمينة في نقل كتاب سليم بن قيس. وإنّ البحث الدقيق والجامع في المصادر الرجالية الشيعية الأولى يوضّح واقع أنّ عموم التوثيق والتضعيف الساري إلى هذه المصادر ناظران إلى الرواة أصحاب التأليف الحديثي..

وهذا هو التفكيك بين حيثيتين للراوي الواحد. ويمكن أن يكون الراوي الضعيف ضعيفاً بلحاظ التراث الحديثي الخاصّ به قد وقع في طريق تراث رواة آخرين.. ومن هنا؛ كان معتمداً مئة بالمئة.. وشاهد ذلك مشهود في موارد أخرى في مسلك العياشي مع أبي يعقوب إسحق بن محمد، مع أنه يعدّه مغالياً حيث جعله جسراً رابطاً بينه وبين الرواة الثقات.[3]

ومن هنا؛ يمكن القول: إن معيار عدم اعتماد بعض الرواة عند ابن الوليد هو تخليط الراوي وغلوّه وتدليسه وكذبه ووضعه وانفراده في الرواية وعدم النقل من طريق آخر.

---

١. اختيار معرفة الرجال، ص ٥٤٦.

٢. رجال النجاشي، ص ١٨٥، رقم ٤٩٠. الفهرست للطوسي، ص ١٤٢، رقم ٣٣٩.

٣. رجال النجاشي، ص ٤٥٦.

مقايسة رأي ابن الوليد وآراء الرجاليين بخصوص المستَثنَون

في هذا القسم نسعى إلى بحث آراء أرباب الرجال حول المستثنون وتقييم هذا المطلب، وما إذا كان جميع الأفراد المستثنون من قِبل ابن الوليد قد شملهم تضعيف علماء الرجال، أو أنهم مردودون أم لا؟

يمكن تقسيم موارد الاستثناء إلى ثلاث طبقات.. طبقة لم يرد فيها مدح أو ذم.. وطبقة لم يوثّق أفرادها أو لم يكونوا محطّ قدح و تضعيف. وطبقة ثالثة أفرادها محطّ اعتماد أو ثقة..

**في الطبقة الأولى نلاحظ الأسماء التالية:

*وهب بن منبّه، أبو علي النيشابوري، الهيثم بن عُدي، عبد الله بن أحمد الرازي، محمد بن هارون، معوية بن معروف، محمد بن موسى الهمداني، عبد الله بن محمد الشامي، يوسف بن حارث.

**وفي الطبقة الثانية نلاحظ الأسماء أدناه:

*أبو عبد الله الرازي الجاموراني. وقد ذكر النجاشي بواسطة ابن بطّة طريقه إلى كتبه،[1] وكتب ابن الغضائري عنه: وفي مذهبه ارتفاع.[2]

*أبو عبد الله السياري. وصفه النجاشي والطوسي بالقول: ضعيف الحديث؛ فاسد المذهب؛ مجفوّ الرواية؛ وكثير المراسيل.[3]

*يوسف بن السخت. نقل الكشي المدح فيه[4] وضعّفه ابن الغضائري وعدّه مرتفع القول.[5]

*أبو يحيى الواسطي. التقى الإمام الحسن العسكري عليه السلام[6] وكتب عنه النجاشي: لم

١. رجال النجاشي، ص ٤٥٦.
٢. الرجال لابن الغضائري، ص ٩٧.
٣. رجال النجاشي، ص ٨٠، الفهرست للطوسي، ص ٥٧.
٤. اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٦.
٥. الرجال لابن الفضائري، ص ١٠٣.
٦. رجال النجاشي، ص ١٩٢.

يكن بكل الثبت في الحديث.[1] وكتب ابن الغضائري: حديثه نعرفه تارةً وننكر أخرى، ويجوز أن يخرج شاهداً.[2]

*محمد بن علي أبو سمينة. عدّه النجاشي ضعيفاً للغاية، وله عقيدة فاسدة ولا يعتمد في أي شيء[3] وهو مشهور في الكوفة بالكذب، وفي قم مشهور بالغلوّ. وقد أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى من قم[4] وعدّه النجاشي ـ معتمداً بعض مشايخه ـ مغالياً.[5] اَما ابن الغضائري فله فيه، رأي أكثر اعتدالاً.[6]

*سهيل بن زياد. عدّه النجاشي ضعيفاً في الحديث وغير معتمد.[7] وشهد على غلوّه وكذبه أحمد بن محمد بن عيسى، وأخرجه من قم . وكانت له مكاتبة مع الإمام العسكري عليه السلام، ممّا يشير إلى مدى أدبه الرفيع.[8] وأورد عنه الصدوق في كتابه (التوحيد) روايات.[9]

*أحمد بن هلال. اختلفت الآراء فيه.

الف: النجاشي: صالح الرواية، يُعرف منها ويُنكر. روي عن الإمام العسكري عليه السلام ذمٌّ في روايته.[10]

ب: الطوسي: عدّه مغالياً واتّهمه في دينه، مع أنه راوي لأكثر أصول الأصحاب.[11]

---

١. نفسه.
٢. الرجال لابن الغضائري، ص ٦٦؛ الخلاصة، ص ٢٢٩.
٣. رجال النجاشي، ص ٣٣٢.
٤. نفسه.
٥. اختيار معرفة الرجال، ص ٥٤٥.
٦. الرجال لابن الغضائري، ص ٩٥.
٧. رجال النجاشي، ص ١٨٥.
٨. نفسه.
٩. التوحيد، ص ٦٦ ح٢٠، ص ٦٨ ح٢٢، ص ٨ ح ٢، ص ٩٤ ح ١٠، ص ٩٦ ح٢، ص ٩٧ ح ٣، ص ٣١٣ ح ١١.
١٠. رجال النجاشي، ص ٨٣.
١١. الفهرست للطوسي، ص ٨٣.

ج: الكشّي: نقل رواية في ذمّه وبعده عن النقل.[1]

د: الصدوق: نقل عن ابن الوليد عن سعد بن عبد الله صاحب (الرجال) قال: لم أر ولم أسمع متشيّعاً رجع عن تشيعه إلى النصب إلّا أحمد بن هلال.

*أحمد بن بشير الرقّي. ذكره الشيخ،[2] وضعّفه ابن بابويه.[3]

*محمد بن عبد الله بن مهران. النجاشي: هو غالٍ كذّاب وفاسد المذهب.[4]

*جعفر بن محمد بن مالك الكوفي. النجاشي بعد نقل الأقاويل كتب: لا أدري كيف نقل عنه الرواية شيخنا الثقة أبو علي همّام وأبو غالب الرازي.[5] ووثّقه الطوسي[6] فيما عدّه ابن الفضائري كذّاباً ضعيفاً.[7]

*عبد الله بن محمد الدمشقي. كتب العلامة الحلي: نبّه النجاشي إلى ضعفه وكتب في رأيه: عندي فيه توقّف.[8]

**الطبقة الثالثة الممدوحة أو الموثّقة:

*أحمد بن حسين بن سعيد: مدحه ابن الغضائري مع تذكيره بتضعيف القمّيين له: وحديثه فيما رأيته سالم.[9]

*وقد أيد الأصحاب محمد بن عيسى بن عبيد. وكتب النجاشي، بعد أن عدّه جليلاً ثقة وكثير الرواية: وذكر أبو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد أنه قال: ما تفرّد به محمد بن عيسى

---

١. اختيار معرفة الرجال، ص ٥٣٥.
٢. الرجال للطوسي، ص ٤١٢.
٣. رجال ابن داود، ص ٤١٢.
٤. رجال النجاشي، ص ٣٥٠.
٥. نفسه، ص ١٢٢.
٦. رجال الطوسي، ص ٤١٨.
٧. الرجال لابن الغضائري، ص ٨.
٨. الخلاصة، ص ٣٨.
٩. الرجال لابن الغضائري، ص ٤٠.

من كتب يونس وحديثه لا يعتمد عليه، ورأيت أصحابنا ينكرون هذا القول ويقولون: مَن مثل أبي جعفر محمد بن عيسى؟[1] مما يشير أنه كان معتمداً لدى الأصحاب في نقل الرواية حتى في متفرّداته.

*والحسن بن الحسين اللؤلؤي الذي استثنى ابن الوليد متفرّداته، عدّه النجاشي ـ في ترجمته ـ ثقة وله روايات كثيرة.[2]

ويُضاف إلى ما ذكر أعلاه أنّ في كلمات أعيان محدّثي الشيعة يمكن العثور على شواهد جمّة على نقل الرواية عن أفراد مستثنون من قِبل ابن الوليد؛[3] منها الكتب الحديثية الأربعة، حيث نقل الرواية فيها عن هؤلاء المستثنون.[4] وهذا الأمر يصحّ أن يكون أمارة على عدم قبول استثناء ابن الوليد من قِبل مؤلّفيها.

وعلى هذا؛ ومع ملاحظة ما تقدّم؛ يمكن الادّعاء أنّ دليل الاستثناء من قِبل ابن الوليد هو التنبيه إلى رواية المستثنين .. وليس المراد عدم حجية ما رواه هؤلاء المذكورون بشكل مطلق.. وإن أمكن ـ بعد ملاحظة رواياتهم ـ الحكم بتضعيفها. وكذا لا يمكن ـ بشكل مجمل ـ الذهاب إلى أن قول ابن الوليد في وثاقة هؤلاء الروايات غير مستثنىً.. وطبعاً هذا في حين كان هؤلاء قد نقلت عنهم روايات كثيرة في كتاب (نوادر الحكمة) فيكون ادّعاء وثاقة هؤلاء كلاماً موجّهاً.

٢- الفقه وفقه الحديث:

بخصوص بعض الكتب الفقهية، ولا سيّما كتاب (من لا يحضره الفقيه) للصدوق: أبدى ابن الوليد آراء عديدة إزاء أبواب الفقه العديدة، مما يحكي عن أنّ آراءه مأخوذ بها

١. الرجال للطوسي، ص ٣٣٣، رقم ٨٩٦.
٢. نفسه، ص ٤٠.
٣. الكافي ج ٣، ص ١ و٥٥٢؛ ج ٧، ص ٢٠٠ و٢٣٨ و٤٥٧؛ ج ٦، ص ٤٢٣؛ ج ١ ص ٤٠٨ و٤٠١ و٣٦٩؛ ج ٣ ص ٤٨٧؛ ج ٥ ص ٩٦ و١١١؛ ج ٦ ص ٣٠٣؛ ج ٤ ص ١٣٠ و١٥١؛ ج ٤ ص ١٥٢؛ الاستبصار، ج ٤، ص ١٣٠ و١٧٨ و٢؛ ج ١ ص ٩٨؛ ج ٤ ص ٨٧؛ التهذيب ج ١، ص ١٥٢ و٤١٩ و٤٢٨؛ ج ١٠ ص ٩٩ و٤٧؛ ج ٤ ص ٢١٨؛ ج ٦ ص ١٥٨ و٣٣٤ و٢٨٩ و٢٤١؛ ج ٣ ص ٣٠٨؛ ج ٨ ص ١٣
٤. شيخ القميين ابن الوليد، ص ١١٣ ـ ١٣٧.

بين الفقهاء.. والأبواب والمواضيع مثل: الحجّ[1] وغسل المرأة الميتة[2] والنهي عن تجديد القبر[3] والقنوت باللغة الفارسية[4] وتقديم خطبة صلاة الجمعة والتهليل والتكبير على الصلاة[5] وصلاة الخوف[6] وصلاة الصديقة الزهراء عليها السلام[7] وصوم يوم الغدير[8] والأضاحي[9] والشفعة[10] وسيل وادي مهزور[11] والدين والقرض[12] والقبالة[13] والإجارة[14] والزكاة ومعنى: في سبيل الله.[15]

وكنموذج.. فقد حكي أنه بالاستناد إلى رواية: «مَن جدّد قبراً أو مثل مثالاً؛ فقد خرج عن الاسلام» مع ترجيحه كلمة «جدّد» على باقي الكلمات الشبيهة، مثل «حدّد أو جدّث»[16] قد أفتى بحرمة التجديد للقبر،[17] حيث حصلت مناقشة بين كبار العلماء؛ مثل العلامة الحلي والعلّامة المجلسي وصاحب (الجواهر) وآخرين.[18]

---

١. الفقيه، ج ٢، ص ٤٥٠.
٢. .نفسه، ج ١، ص ١٥٤.
٣. نفسه، ج ١، ص ١٨٩.
٤. نفسه، ج ...، ص ٣١٦.
٥. نفسه، ص ٤٣٢.
٦. نفسه، ص ٤٦٤.
٧. نفسه، ص ٥٦٤.
٨. نفسه، ج ٢، ص ٩٠.
٩. نفسه، ص ٤٩٦.
١٠. نفسه، ج ٣، ص ٨٠.
١١. نفسه، ص ٩٩،
١٢. نفسه، ص ١٩٠.
١٣. نفسه، ص ٢٠٥.
١٤. نفسه، ص ٢٥٢.
١٥. نفسه، ص ٢٢٤.
١٦. من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ١٨٩.
١٧. الفتوى هي: «لايجوز تجديد القبر وتطيين جميعه بعد مرور الأيام عليه وبعد ما طُيّن في الأول. ولكن إذا مات ميت فطيّن قبره؛ فجائز أن يرمّ سائر القبور من غير أن يجدّد».
١٨. منتهى المطلب للعلامة الحلي، ج ١، ص ٤٦٢. الحدائق الناضرة للبحراني، ج ٤، ص ١٣٢.

٣- الآراء الكلاميّة:

من المواضيع المفعمة بالحواشي والمهمّة في المسائل الكلامية بين العلماء القدماء: موضوع سهو النبي ﷺ.. وقد أشار الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) إلى القائلين بها والرادّين عليها.. ومع تأييده لها، ذهب إلى مذهب ابن الوليد استاذه وتأثّر به كل التأثّر.. وكانت هذه المسألة إحدى موارد النزاعات الأساسية في مدرسة قم الكلاميه أو فريق من القميين وبغداد.. وقد أعيد النظر بها من قِبل المفيد[١] والمرتضى والطوسي وردّت بشكل قاطع[٢] وصورت فيها رسائل عدّة من قبل علماء الإمامية، مثل (رسالة عدم سهو النبي)[٣] و(تصحيح الاعتقادات)[٤] و...[٥].

وعدّ الصدوق ـ بعد نقله رواية[٦] ـ تؤدّي إلى وقوع السهو من النبي ـ والعياذ بالله ـ والإشارة إلى رواية «ذو الشمالين» ردّ جواز سهو النبي؛ رأياً للغلاة والمفوّضة، ومع التبرؤ منهم؛ انهمك الصدوق في الردّ على السؤال القائل: إذا كان السهو في الصلاة جائزاً وممكناً.. فما الضّمان في أن لا يقع ولا يمكن حدوثه في أمر تبليغ القرآن ـ وعموم تبليغ الأحكام ـ والحال أنّ الاثنين فريضتان.. ولكنه ـ الصدوق ـ عدّ سهو النبي متفاوتاً عن سهو الآخرين وأنه سهو من الله تعالى ووصفه بأنه «إسهاءٌ»، ثم أشار إلى قول أستاذه ابن الوليد وكتب:

«وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أوّل درجة في الغلوّ، نفي السهو عن النبي؛ ولو جاز أن تردّ الأخبار الواردة في هذا المعنى، لجاز أن تردّ جميع الأخبار، وفي ردّها إبطال الدين والشريعة..».[٧]

---

١. الشيخ المفيد، ص ١٣٥.
٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٥٩. الاستبصار، ج ١، ص ٣٧١. التهذيب، ج ١، ص ١٨١.
٣. الشيخ المفيد، رسالة عدم سهو النبي.
٤. على فرض نسبتها للشيخ المفيد.
٥. رسالة عدم سهو النبي، ص ١٥-٢٩.
٦. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٥٨.
٧. نفسه، ج ١، ص ٣٥٩.

أما الشيخ المفيد فقد كتب مخاطباً الصدوق في رسالة مستقلّة كتبها في (عدم سهو النبي) وبعد الإشارة إلى روايات أخرى عديدة بخصوص الأنبياء، وناظراً إلى كلام ابن الوليد: «فيجب على الشيخ الذي حكيتَ ـ أيها الأخ ـ عنه أن يدين لله بكل ما تضمّنته هذه الروايات، ليخرج بذلك عن الغلوّ على ما ادّعاه، فإن دان بها؛ خرج عن التوحيد والشرع، وإن ردّها ناقض في اعتلاله، وإن كان ممّن لا يُحسن المناقضة؛ لضعف بصيرته».[1]

وفضلاً عن ذلك؛ فإن استفاضة روايات الكليني عن سهل بن زياد الآدمي في كتابه الشريف (الكافي) وإزاء الاستثناء الصادر بحقه من جهة ابن الوليد[2] يمكن أن يعكس نوع نزاع فكري بين ابن الوليد و الكليني.. كما يشاهد اختلاف منهجي بين ابن الوليد المتوفّى في سنة (٣٤٣) و الشيخ الكليني المتوفى بحدود سنة (٣٢٨) بخصوص نقل كتاب (بصائر الدرجات) للشيخ محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة (٢٩٠). وبتصريح النجاشي والطوسي، فإن ابن الوليد لم يروِ هذا الكتاب،[3] رغم اطلاعه عليه؛ خلافاً لسائر كتب الصفّار.. في حين أن الكليني قد انتفع ونقل من هذا الكتاب الشريف (البصائر) الكثير الكثير.. وتأخذ هذه المسألة أهميتها من حيث أن محتوى روايات (بصائر الدرجات) قد حظيت بشكل مباشر بردّ موضوع الإمامة وعلم الأئمة وقضية الغلوّ بشكل دقيق من قِبل المتكلّمين..

٤- الرأي التفسيري:

لا شكّ في أنّ العثور على المنهجية الحديثية لابن الوليد، وكذا تفسيره وترتيبه للروايات القرآنية المنقولة عنه أمرٌ مؤثّر في التعرف إلى أفكاره. ومع ذلك؛ فإن المورد التفسيري الوحيد الذي يمكن اعتباره إبداءً للرأي الصريح، الحوار الذي دار بين الصدوق وابن الوليد بهذا الصدد.. وقد بيّن الصدوق في شرح رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما

١. رسالة عدم سهو النبي، ص ١٧.
٢. رجال النجاشي، ص ٣٤٨، رقم ٣٣٩. الفهرست للطوسي، ص ٤٠٨، رقم ٦٢٣.
٣. رجال النجاشي، ص ٣٥٤، رقم ٩٤٨. الفهرست للطوسي، ص ٤٠٨، رقم ٦٢٢.

ضرب رجلٌ القرآن بعضَه ببعضٍ اِلا كفر» رأي ابن الوليد قائلاً: قد سألت أستاذي محمد بن الحسن عن معنى هذا الحديث. فأجابني بالقول: المراد أن يجيب الرجل عن تفسير آية بآية أخرى.[1]

فيما قال الطباطبائي لدى تبيين صحة هذا الكلام من عدم صحته: في جواب ابن الوليد للمرحوم الصدوق نوع إبهام، اِذ يمكن أن يكون مقصوده وإشارته اِلى المسلك المعمول به بين أهل العلم، حيث يضربون آية بآية أخرى، ولدى التمسّك بواحدة منهما يؤوّلون الآية بالآية الأخرى. وكذا يمكن أن يكون مراده أنّ من يريد معرفة معنى آيةٍ ما من خلال آيات أخرى، أي يستشهد بآية من الآيات على ما يذهب إليه في تفسير آية أو آيات أخرى. فإذا كان مراد ابن الوليد المعنى الأوّل؛ فصحيح، وكان ضرباً لبعض القرآن ببعض آخر. وإن كان مقصوده المعنى الثاني؛ فكلامه باطل، حيث تدفعه الروايتان المذكورتان.[2]

تأليفات ابن الوليد

اِلى الآن، عرف من بين تأليفات ابن الوليد عناوين ثلاثة كتب له. ذكر منها النجاشي والشيخ ضمن ترجمته عنوانين.. فيما الكتاب الثالث ذكره النجاشي وحده في ترجمة إسماعيل بن جابر.

١- كتاب الجامع

ذكر الشيخ والنجاشي[3] وابن قولويه[4] وابن طاووس[5] كتابه الأول بعنوان (الجامع) أو

١. وسألت محمد بن الحسن عن معنى هذا الحديث، فقال: هو أن تجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى، معاني الأخبار، ص ١٩٠.
٢. الميزان، ج ٣، ص ٨١.
٣. رجال النجاشي، ص ٣٨٣، رقم ١٠٤٢. الفهرست للطوسي، ص ٤٤٢، رقم ٧٠٩.
٤. كامل الزيارات، ص ٩٤-٩٥.
٥. فرج المهموم، ص ١٣٩-١٤٠. كشف المحجة لثمرة المهجة. الذريعة اِلى تصانيف الشيعة ج ٥، ص ٢٩.

(الجامعة)، فيما ذكره السيد المرتضى بعنوان (الجامع الكبير)[1] وذكره ابن النديم[2] بعنوان (الجامع في الفقه)، وذكره الآقا بزرگ الطهراني بعنوان (الجامع في الحديث) وأنّ أجزاءً منه مذكورة في بعض كتب المؤلفين.. منها: رواية الجامع في باب زيارة الإمام الرضا عليه السلام.[3]

وهذا الكتاب ـ بناءً على مستندات الآقا بزرگ في كتابه القيّم (الذريعة) اكان موجوداً إلى عصر العلّامة المجلسي[4] وفي زمان ابن طاووس بالقدر المسلّم[5] موجود ومحطّ انتفاع. وإنّ وجود روايات فقهية[6] وتوحيدية[7] في هذا الكتاب أكثر تناسباً مع عنوان صاحب (الذريعة).. ويمكن ـ جراء قِدم هذا الكتاب ـ أن لا يحظى بعناوين أخرى، مثل الكبير في الفقه وفي الحديث..

٢- كتاب التفسير

ثاني كتبه؛ كتابٌ تفسيريٌّ ذكره النجاشي بعنوان (كتاب تفسير القرآن)[8] والشيخ الطوسي بعنوان (كتاب القرآن)، والأرجح عنوان النجاشي، مع أنه لا توجد معلومة عن أصل الكتاب، ولكن يمكن الاستناد بخصوصه على بعض الشواهد والتحقيق في الروايات القرآنية. وهذا الامر له أهمّيّته من ناحيتين: الأولى: النظرة القرآنية لمدرسة قم مع وجود الحسّاسيّة البالغة لعلماء التراث المتقدمين، مثل ابن الوليد، قياساً إلى المواضيع الأخرى؛ حيث يقلّ الاهتمام بها. والثانية: أنّ هذه التحقيقات يمكن أن تكون عاملاً في تقويم الكتب الأخرى الصادرة عن علماء قم السابقين لابن الوليد، لا سيّما وأن ثمّ

١. الانتصار، ص ٢٢٤-٢٢٥.
٢. فهرست ابن النديم، ص ٢٧٩.
٣. تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٦٠٢. فى لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٠٢. المزار، ص ٦٤٧، منتهى المطلب، ج ٢، ص ٨٩٥.
٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٣، ص ١٧٠ و ج ٥، ص ٢٩.
٥. فرج المهموم، ص ٢٢٤.
٦. كامل الزيارات، ص ٩٢ و ١٠٤. الانتصار، ص ٢٢٤. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٥٤.
٧. فرج المهموم، ص ١٣٩. التوحيد، ص ٢٢٦.
٨. رجال النجاشي. نفسه.

سلسلة أساتذته من العلماء مثل الصفار وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري وأحمد بن محمد بن خالد والعباس بن معروف وآخرين ممن لهم كتب في موضوع التفسير والقرآن.[1]

٣- كتاب الفهرست:

هو كتاب خاص بموضوع الفهرسة الذي ذكره النجاشي في ترجمة إسماعيل بن جابر[2] لابن الوليد. ويبدو أنه حاوٍ آراءً رجالية واحصاءً لكتب ابن الوليد وطرقه إلى كتب الأصحاب.. وهذا الكتاب غير متوفّر، ولكن حصل له محاولات لجمعه..[3]

أسلوب التحقيق في مدرسته التفسيريّة

في التحقيق الذي بين أيدينا نجد أنّ جميع الروايات التي نقلها ابن الوليد ورواها عنه أصحاب الكتب الحديثية المتقدّمين، ولا سيما كتب الشيخ الصدوق ـ وقرنت إلى الآيات محطّ التفسير، هي حوالي (٢٥٥) رواية في كتاب (تهذيب الاحكام) و(٢١٩) رواية في سائر كتب المتقدمين[4] فيما يتعلق بمحورية القرآن، وقد جمعت (٤٧٤) له عموماً.[5]

وخصوصية هذه المجموعة ـ أي الروايات القرآنية فحسب المأثورة عن ابن الوليد ـ يمكن استنتاج مسلكه في منهجية القميين في التفسير، وكونها ذات تأثير مشهود. ويمكن تارة أن نرى في روايةٍ ما الإحجام عن ذكر عبارة: الآية، مع إيراد تفسيرها. ولكن بالنظر إلى التحقيقات الواردة يمكن القول بأنّ تعداد هكذا روايات، قليل جداً ولا توجب خللاً،[6] مضافاً إلى أنّه يبدو أنّ مباني القدماء في تأليف هكذا كتب تفسيرية بيان روايات تضمنت آيات قرآنية.

---

١. الفهرست للطوسي، نفسه.
٢. .رجال النجاشي، ص ٣٣، رقم ٧١.
٣. فهارس الشيعة، مهدي خداميان، كتابشناسي شيعة، قم ١٣٨٩.
٤. يجدر الذكر أن الرواية أحياناً لها عدّة طرق. ولا أثر لذلك في إحصاء الروايات وتعدادها.
٥. كما تجدر بالذكر أن الصدوق قد نقل شطراً كبيراً من هذه المجموعة عن أبيه بكل دقة .. ولعلنا لم نعثر على بعض الموارد.
٦. مراعاة هذه النقطة تغلل من احتمال خطأ المحقق إلى حدٍ كبير.

وبعد ذلك؛ جرت خطوتان أصليتان في قسمي السند والمحتوى للروايات التفسيرية.

الأولى: على أساس السند، لتتّضح أهمّيّة هذا القسم في النقل.. وهو أمر، علاوة على التعرّف على المصادر المحتملة للنقول وتحاليلها، وهذا يساعد على كشف أصل أو عناوين الكتب التفسيرية المفقودة[1] أو تقويم المتون التفسيرية القديمة[2] وطبيعة روايتها،

والثانية: تصحيح أصل رواية على أساس سائر الروايات[3] وعلى أساس ترتيبها الموضوعي.. وكذا نوعية الموقف من روايات ابن الوليد وتقسيم وترتيب رواياته التفسيرية.. وهكذا يتّضح منهجه في إطار المجموعة المذكورة.

أسانيد روايات ابن الوليد التفسيرية

الدراسة التي بين أيدينا الخاصة بقسم الأساتيد تمّت بصورتين:[4]

الأولى: فيما يرتبط بالروايات التفسيرية لكتاب (تهذيب الأحكام).

والثانية: بناء على تقارير سائر الكتب الحاوية لهذه الروايات.

والعلة في ذلك نوع المصادر الحاوية لهذه الروايات[5] ولا يبدو ثمّ تفاوت بين وسائط ابن الوليد في هذا الكتاب وكذلك القسم الثاني للروايات. ومن جملة مصادر ذلك الكتاب؛ كتاب (من لا يحضره الفقيه) وجميعهم من أساتذة ابن الوليد.

١- روايات ابن الوليد التفسيرية في (تهذيب الأحكام)

الجدول رقم (١) يشير إلى الروايات الواردة في (تهذيب الأحكام)؛ وقد نقل الطوسي هذه المجموعة من الروايات عن اساتذته تارة بطرق مختلفة عن ابن الوليد وعنه الى صاحب الكتاب بطرق مختلفة أيضاً. ولم يذكر الطوسي عناوين الكتب. ومع ذلك، فقد

١. مثل كتب أبي الجوزاء وعلي بن الحسان والحسين بن علوان، ولا معلومة من عناوينها.
٢. مثل تفسير الحسن بن عباس بن الحريش بعنون (كتاب إنا أنزلناه في ليلة القدر).
٣. سنذكر نموذج هذا المورد وإيضاحه تباعاً.
٤. يتطلب شرح وتفصيل جميع الأساتيد مجالاً واسعاً.
٥. علّة هذا التفكيك ستوضح في قسم بحث مصادر روايات ابن الوليد.

ذكرت الكتب التفسيرية للمؤلفين والكتب مورد استناد الشيخ الذي يقع ابن الوليد في الطريق إليها والروايات المذكورة عنهم ـ ويحتمل أنها مذكورة في كتبهم التفسيرية ـ قد نقلها[1] في الجدول أدناه. وطبعاً يمكن أن يكون هؤلاء المؤلفون قد أخذوا رواياتهم عن الكتب القديمة. ويشار إلى نقاط بهذا الصدد في تحقيق مصادر الروايات.

ابن الوليد

الاساتذة	الوسائط الى صاحب الكتاب	اسم صاحب الكتاب	كثرة النقل عن الكتب
محمد بن الحسن الصفار	احمد بن محمد بن عيسى	الحسين بن سعيد (كتاب تفسير القران)	١٥٥
محمد بن الحسن الصفار	احمد بن محمد ومعاوية بن حكيم والهيثم بن أبي مسروق	محمد بن الحسن الصفار (كتاب فضل القرآن)	١٥
محمد بن الحسن الصفار	الفضل بن غانم واحمد بن محمد	موسى بن القاسم له ثلاثون كتاباً مثل كتب الحسين بن سعيد	٣٨
سعد بن عبد الله والحميري[2] و(علي بن) ابراهيم هاشم	اسماعيل بن مرار وصالح بن السندي	يونس بن عبد الرحمن (كتاب تفسير القرآن)	١
سعد بن عبد الله والحميري واحمد بن ادريس ومحمد بن يحيى واحمد بن ادريس	احمد بن محمد بن عيسى عن (و) العباس بن معروف	على بن مهزيار (كتاب التفسير)	٣
		محمد بن أحمد بن يحيى (..)	٢٠ المجموع ٢٥٥

٢- روايات ابن الوليد التفسيرية في سائر المصادر:

القسم الثاني: أما تفاوت ذلك في نوع نقل الروايات؛ فعلى أساس نقل الرواية وفي ذلك

١. باستثناء (نوادر الحكمة) وهو كتاب جامع بموضوعات متنوّعة.

٢. ورد في مشيخة (الاستبصار): والحميري؛ وفي مشيخة (التهذيب): والحسين. معجم رجال الحديث ج ٢٤، ص ١٠٣.

لم يعمل بأسلوب الطوسي في المشيخة. ومن هنا؛ ينتهي إلى مصاعب بخصوص اسلوب الطوسي في الإسناد إلى كتب القدماء. ومع هذه الإيضاحات الواردة، يمكن أن تكون نوعَ حلٍّ.. يكشف الجدول (٢) عن كثرة روايات ابن الوليد عن أساتذته، كما يلاحظ نوع اشتراك بين أساتذة ابن الوليد في نقل الرواية الواحدة. وإن أكبر عدد للروايات المنقولة كان عن الصفار، فيما العدد الأقل؛ كان عن الحسن بن متيل. وهذه النسبة في كل الروايات المنقولة هي عن هذين الاثنين.. ويَحتمل كثيراً إمكانية الادّعاء أنّه مهما كثر عدد روايات الراوي الواحد، كانت النسبة المقوية من عدد الروايات القرآنية لذلك الراوي أعلى.

ابن الوليد

الاساتذة	الروايات غير المشتركه عن الأساتذه	روايات الأساتذة المشتركة	جمع الروايات بلحاظ تفكيك الأسانيد
الحسن بن متيل	١	١	٢
محمد بن الحسن الصفار	١١٧	١	١٢٠
سعد بن عبد الله الأشعري	٢٨	١	٤٠
عبد الله بن جعفر الحميري		٩ ١	١٦
محمد بن يحيى العطار	١١	٧	١٩
احمد بن ادريس	٤		١١
الحسين بن الحسن بن ايان	٣٣		٣٣
مجموع كل الروايات من دون ملاحظة تفكيك الأساتيد	١٩٩	٢٠	٢٥٠

جدير ذكره أن أساتذة المشايخ الذين نقل عنهم ابن الوليد مشتركون في موارد كثيرة، مثل الحسين بن سعيد، أحمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين بن أبي الخطّاب.

وكذلك كان أكثر تكرار عبارة: «بهذا الإسناد» في هذه المجموعة عائد إلى روايات الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد، والصفار عن أحمد بن محمد بن خالد، ومحمد بن يحيى العطّار عن محمد بن أرومة بواسطة الحسين بن الحسن بن أبان..

أساتذة ابن الوليد في الروايات التفسيريّة

انتفع ابن الوليد في نقل هذه المجموعة من سبعة أَساتذة.. وسيتمّ تناولهم تبعاً لتناول المعلومات المتّصلة بنقول هؤلاء الأساتذة..

١- محمد بن الحسن الصفار

في هذه المجموعة ثمّ ما يزيد على نصف الروايات منها نقلت عنه بدليل المعرفة الكبيرة والشهرة العلمية للشيخ الصفّار، وهو أثر متوقّع. وقد نقل الصفار هذه المجموعة من الروايات عن (١٥) من أَساتذته ـ باستثناء البرقي ـ عن الثقات.. ومن ذلك أحمد بن محمد بن عيسى كان له الهمّ الأكبر بين أُولئك الأساتذة. ويليه العباس بن معروف وأحمد بن محمد بن خالد البرقي وإبراهيم بن هاشم ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ويعقوب بن يزيد. وكذلك لم ينقل الصفار عن تسعة آخرين[١] غير عشرين رواية..

٢- سعد بن عبد الله

نقل عنه ابن الوليد أربعين رواية. وخصوصية نقله في هذا القسم الاشتراك في النقل مع الآخرين. وفضلاً عن هذا؛ فإنّ تكرار الوسائط في رواياته كثير. وكنموذج: قد نقل في إحدى الروايات المشتركة مع عبد الله بن جعفر الحِميري عن ثلاثة من مشايخه، يعني أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن محمد بن خالد البرقي ومحمد بن الحسين بن ابي الخطاب.[٢]

٣- الحسين بن الحسن بن أبان

نقلت منه (٣٣) رواية. وخصوصية النقل عنه أنّ ابن الوليد نقل عنه أكثر روايات الحسين بن سعيد[٣] وطبقاً لنقل ابن الوليد في (الفهرست) فإن الحسين بن الحسن بن

---

١. وهم: محمد بن عيسى بن عبيد (٦ حديث)، أيوب بن نوح (٤ حديث)، على بن محمد القاسانى (٣ حديث)، الحسن بن موسى بن الخشاب (٢ حديث)، ابوالجوزاء، عبدالله بن محمد بن عيسى، على بن حسان، عبدالله بن الصلت، هارون بن موسى (١ حديث)

٢. الخصال، ص ٣٩٦.

٣. أحد الذين نقل عنهم الحسين بن سعيد؛ فضالة بن أيوب. وأورد النجاشي في ترجمته قال لنا الحسين بن يزيد السورائي: كل شيء تراه؛ (الحسين بن سعيد عن فضالة) فهو غلط، إنما هو

أبان قد أجازه الحسين بن سعيد في كتبه الثلاثين حين كان ضيفه بقم المقدسة.[1]

٤- محمد بن يحيى العطّار:

روى عنه ابن الوليد (١٩) رواية. واشترك مع أحمد بن ادريس في النقل عن محمد بن أحمد بن يحيى ـ صاحب (نوادر الحكمة) بسبع روايات[2] فيما نقل عنه أربع روايات بواسطة الحسين بن الحسن بن أبان عن محمد بن أرومة؛ صاحب (تفسير القرآن).[3]

٥- عبد الله بن جعفر الحميري:

روي عنه ابن الوليد (١٩) رواية، في نقل (٧) منها مشترك مع أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد بن يحيى صاحب (نوادر الحكمة)[4] ونقل (٤) روايات بواسطة الحسين بن الحسن بن أبان عن محمد بن أرومة صاحب (تفسير القرآن).[5]

٥- عبد الله بن جعفر الحميري:

نقل عنه (١٦) رواية. وهي أكثر وجه للاشتراك بينه وبين سعد بن عبد الله[6] وفي نقوله ثَمّ توقيع.[7]

الحسين عن أخيه الحسن عن فضالة. وكان يقول: إن الحسين بن سعيد لم يلقَ فضالة، وإن أخاه الحسن تفرّد بفضالة دون الحسين، ورأيت الجماعة تردي بأسانيد مختلفة الطرق: الحسين بن سعيد عن فضالة، والله أعلم... رجال النجاشي ص ٣١٠، رقم ٨٥٠. وأورد في موضع آخر: وكان الحسين بن يزيد السورائي يقول: الحسن شريك أخيه الحسين في جميع رجاله إلّا في زرعة بن محمد الحضرمي وفضالة بن أيوب، فإن الحسين كان يروي عن أخيه عنهما... رجال النجاشي، ص ١٥٨.

١. قال ابن الوليد: وأخرجها إلينا الحسين بن الحسن بن أبان بخط الحسين بن سعيد، وذكر أنه كان ضيف أبيه. الفهرست للطوسي، ص ١٥٠.

٢. التوحيد، ص ٢٨٤. الخصال، ص ٤٠٩، ٤٠٢، ٥٤٥. علل الشرايع، ج ١، ص ١٨ وج ٢، ص ٤٣٣.

٣. علل الشرايع، ج ١، ص ٣٦. التوحيد، ص ٢٨٢. الخصال، ص ٣٠٠.

٤. التوحيد، ص ٢٨٤. الخصال، ص ٤٠٩.

٥. علل الشرايع، ج ١، ص ٣٦. التوحيد، ص ٢٨٢. الخصال، ص ٣٠٠.

٦. قد مرّت نماذج ذلك في الرقم (٢).

٧. كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٤٨٣.

٦- احمد بن ادريس:

نقل عن محمد بن أحمد بن يحيى (١١) رواية، وفي خمس موارد اشترك مع العطار، وفي النقل عن محمد بن يحيى العطار كان مشتركاً.[١]

٧- الحسن بن متيل:

وردت عنه روايتان فقط، اشترك في واحدة منها مع الصفار.[٢]

مصادر روايات ابن الوليد

نقل الطوسي هذه الروايات في (تهذيب الأحكام) بناءً على النقل من كتب ومصنّفات الإمامية. ولهذا الموضوع أهمية خاصة في تقويم المصادر القديمة للإماميّة.. في حين أنّ الصدوق، ولا سيّما في (من لا يحضره الفقيه) وكذا في القسم الثاني لم ينقل الروايات على هذا الأساس، وإنّ مشيخة هذا الكتاب سندٌ وليس طريقاً إلى الكتاب. ومع ذلك؛ لا يمكن الاذعان بشكل قاطع أنّ الروايات المذكورة في القسم الثاني لم تؤاخذ عن كتب المؤلفين القدماء. وكنموذج؛ قد أكّد الشيخ الصدوق في مقدمة (من لا يحضره الفقيه) على هذه المسألة وذكر أن عمدة الروايات المعتمدة لديه مأخوذة عن الكتب المعتبرة.. وعلى هذا الأساس فقد امتنع عن ذكر مصادره في مطلع الروايات، وكتب أسماء المشيخة على أساس الرواية. ومن هنا؛ بدا من الصعب تحديد أيّ الروايات متعلّقة بأيّ مصدر بالنسبة إلى أسلوب الشيخ الطوسي.. كما أنّ تعلّق روايةٍ ما بأي كتاب لمؤلّف بقي محل بحث ونقاش.

إعادة وتقويم المتون القديمة

رغم أن مجرد وجود طريق إلى كتاب تفسيري، أو وجود كتاب تفسيري للأساتذة، لا يمكن أن يكفي في إثبات النقل عن ذلك الكتاب.. ولكنه ينبغي أن يُعَدَّ أمراً لازماً يمكن اعتماده في عملية إعادة وتقويم الكتب القديمة وإثباتها على أساس معايير

١. مرت نماذج ذلك في الرقم (٤).

٢. الروايات المشتركة، الاختصاص، ص ٥٤. الروايات غير المشتركة، أمالي الصدوق، ص ٦١٤.

محدّدة. وبالاستعانة بقرائن، مثل الجمع والصفّ لجميع الروايات التفسيرية الخاصّة بمدرسة تفسيرية وكثرة النقل، والنقل عن عدد محدّد من الرواة، وكذلك مراعاة وحدة الموضوع في الروايات المنقولة لأستاذ واحد.. أو وجود جملة من الروايات والاستفادة من تعبير واحد في الإسناد، مثل: وبهذا الإسناد، في ذيل سورة وآية.. ذلك كله بمثابة قرائن للنقل عن مصدر واحد لتأليف وإعداد كتاب في موضوع قرآني، أو موضوع خاص آخر.

وينبغي الالتفات إلى أنّ ابن الوليد قد أخذ رواياته عن فرد صاحب كتاب بطرق مختلفة. وهذا الأمر يمكن أن يكون له دلائل عديدة، منها أن تكون طرق ابن الوليد إلى كتب فرد واحد، مثل: الحسين بن سعيد ذات قوة وضعف، أو مختلفة، وعلى هذا الأساس؛ فإن كل قسم من مجموعة كتبه أخذه من طريق، أو لأمر عادي ولمجرد قصد التنوع في أقسام النقل.. أو لتوقير كتاب ذي علل وإشكالات.[1]

وأدناه، نشير إلى عدة نماذج لفاعلية هذه القرائن في النقل عن الكتب القديمة..

١-النقل عن المصادر العامية المعتمدة

من بين (٢١٩) رواية[2] اختصّ الصفّار بأكثر من نصف مجموع الروايات، حيث نقلها عن (١٥) راوٍ، ومن بين هؤلاء ثم ستّة. كان أحمد بن محمد بن عيسى له السهم الأكبر في النقل، وهؤلاء في الغالب، وإن كانوا يروون عن أحد أساتذتهم، حيث رووا عن تسعة منهم عشرين رواية فقط.. ومع هذا النقل القليل يمكن العثور على بضع موارد[3] من مجموعة روايات حفص بن غياث عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام،[4] وقد نقلت من كتابه فقط.

١. نقل الصدوق هذه الروايات على أساس طريق مشترك بين أستاذه ابن وليد وفرد آخر، مثل أبيه، وهو أمر طبيعي يشير إلى قوة الإسناد.

٢. تقدم في قسم الروايات التفسيرية لابن الوليد في سائر المصادر.

٣. علل الشرايع، ج ٢، ص ٤٢٢. آمالي المفيد، ص ٢٧٥.

٤. نفسه، ص ١٣٦، رقم ٣٦٦. لمزيد الاطلاع يرجع إلى دراسة للمؤلف بخصوص روايات حفص بن غياث عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢- وحدة الموضوع والسند

نقل ابن الوليد عن محمد بن يحيى العطار روايتين بسند واحد[١] من مصدرين، مع ملاحظة وحدة الموضوع بين هاتين اثنتين؛ فيما يرتبط بليلة القدر والأئمة الاثني عشر، ومتن سندهما ما أدناه:

- حدثنا محمد بن يحيى العطار عن سهل بن زياد وأحمد بن محمد بن عيسى قال الحسن بن العباس بن الحريش عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «آمنوا بليلة القدر أنها تكون لعلي بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي».[٢]

- حدثنا محمد بن يحيى العطار عن سهل بن زياد الآدمي وأحمد بن محمد بن عيسى قال الحسن بن الحريش عن أبي جعفر بن علي عن آبائه عن أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لعبد الله بن عباس: «إن ليلة القدر في كل سنة، وإنّه ينزل في تلك الليلة أمرُ السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله ﷺ. فقال ابن عباس: مَن هم؟ فقال: اَنا و أحد عشر من صلبي أئمّة محدَّثون»[٣]

في هذين السندين، وفضلاً عن العطار الذي هو صاحب كتب عديدة نحن لا نعرفها، فإن أحمد بن محمد بن عيسى وكذا الحسن بن العباس لهما كتب تفسيرية: كتاب (تفسير القرآن) وكتاب (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[٤] وأظن قوياً أن ابن الوليد قد أخذ هاتين الروايتين عن العطار بطريق من كتاب أحمد بن محمد عن كتاب الحسن بن العباس، وبطريق آخر عن سهل بن زياد عن كتاب الحسن بن العباس. وقد أورد ثقة الإسلام الكليني في بابين في شأن (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وباب: «ما جاء في الاثني عشر»[٥] وبعد نقل سند أكثر تفصيلاً، أورد للرواية الثانية الرواية الأولى ورواية أخرى بعبارة:

١. مع تجاهل التصحيف في واحدة منها.
٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٨١.
٣. كفاية الأثر، ص ٢٢١.
٤. رجال النجاشي، ص ٨١، رقم ١٩٨ و ص ٦٠، رقم ١٣٨.
٥. الكافي، ج ١، ص ٢٧١، باب: في شأن (إنا أنزلناه في ليلة القدر) و: ج ١، ص ٥٣١، باب: ما جاء في الاثني عشر عليهم السلام.

«بهذا الإسناد» وفي الواقع هي ثلاثة طرق إلى كتاب الحسن بن العباس. وسند الكليني ما أدناه:

«محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد (بن عيسى)

ومحمد بن أبي عبد الله، ومحمد بن بن الحسن عن سهل بن زياد جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش عن أبي جعفر الثاني [عليه السلام] أن أمير المؤمنين [عليه السلام] قال:...»[1]

٣- وحدة الموضوع وتحويل السند

في نموذج آخر، ينقل ابن الوليد ما مجموعه (٣٢) بواسطة الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد. ويلاحظ فيها وحدة الموضوع. مثل موضوع عرفة ومعنى قوله تعالى (وشاهد ومشهود) ثلاث روايات بمضمون واحد، ويحتمل قوياً أنه نقلها عن كتاب الحج أو كتاب (تفسير القرآن). وكذا في ذيل آية (الزانية والزاني) أربع روايات يحتمل قوياً أنه نقلها من كتاب (الطلاق) للحسين بن سعيد، أو كتاب (تفسير القرآن). وفضلاً عن وحدة الموضوع، فإن عبارته: «بهذا الإسناد» يمكن أن تكون قرينة للعلم بأنّ روايته من مصدر واحد.

وبمراجعة النماذج المختلفة في هذا القسم من الروايات وتدقيقها، وكذا بالالتفات إلى الروايات التفسيرية، يمكن الادّعاء بشكل قاطع أنّ ابن الوليد قد أخذ أقساماً من هذه الروايات من كتب الأساتذة أو المشايخ المشتملة على تفسير. لا سيما وأنّ لابن الوليد ـ في غالب الموارد ـ طريقاً لهذه الكتب، وعادة ما، كان النجاشي والشيخ في (الفهرست) قد نقلا هذه الطرق.

أصحاب الكتب التفسيرية السابقون لابن الوليد

هؤلاء أصحاب الكتب التفسيرية في ثلاثة فرق (الجدول رقم ٣). الطبقة الأولى أو الأساتذة أو الذين نقل عنهم ابن الوليد بلا واسطة. والطبقة الثانية تشمل الذين نقل عنهم

١. وقد نقل الكليني كثيراً عن كتاب الحريش. وهذا لمجرد التذكير بالانتفاع من القرائن.

أساتذة ابن الوليد. والطبقة الثالثة تشمل الذين نقل عنهم ابن الوليد بواسطة فريقين سابقين لهم إلى المعصوم. وينبغي الالتفات إلى أنه كما جرى التحقيق في روايات الإمامية في الأدوار المختلفة من حياة الأئمة، وأن حقبتي الإمامين الصادقين عليهما السلام شهدت صدور أكبر عدد من الروايات بالتناسب مع الروايات القرآنية.. وبالنتيجة كانت أكثر الروايات ذات الصلة قد صدرت عن الإمام الصادق عليه السلام، مما يمكّن من استنتاج ووضع قاعدة بهذا الصدد..

ومع أنّ ثَمّ كتباً أخرى لبعض أساتذة ابن الوليد في الموضوعات القرآنية (الجدول رقم ٣) إلّا أنّ هذا لايعني نفي وجود كتب بمحتوىً وموضوع قرآني لسائر الأساتذة الآخرين، حيث لم يذكر سوى شطر من كتبهم في بعض موارد الفهرسة لهذه الجماعة من العلماء، مثل محمد بن يحيى العطار[1] فيما ليس ثمّ معلومات عن كتب هؤلاء أو عناوينها، مثل كتاب أبي الجوزاء.[2]

وفضلاً عن ذلك؛ فإنه يلاحظ ـ تارةً ـ في طريق السند أساتذةُ أساتذةِ ابن الوليد والسلسلة السابقة لهم إلى الإمام المعصوم تراث بموضوعات أو محتويات قرآنية أيضاً. وكنموذج لذلك، نجد أنّ النجاشي لم يذكر من مجموع كتب محمد بن يحيى العطار غير كتاب (مقتل الحسين عليه السلام) و(النوادر) وبهذا؛ ليس ثمّ اطلاع على ذلك من زاوية محتوى (النوادر) ولكن ابن الوليد قد نقل قسماً من الروايات القرآنية الخاصة بمحمد بن أرومة، صاحب كتاب (تفسير القرآن) بواسطة الحسين بن الحسن بن أبان.. وكذا نقل أكثر رواياته القرآنية عن الحسين بن سعيد بواسطة الحسن بن الحسن بن أبان. وقد نقل ابن الوليد في هذا الطريق جميع كتب الحسين بن سعيد[3]، وأحدها كتاب (تفسير القرآن)[4]

الجدول (٣) يوضح التراث التفسيري للذين روى عنهم ابن الوليد الروايات القرآنية..

---

١. رجال النجاشي، ص ٣٥٣، رقم ٩٤٦.
٢. نفسه، ص ٤٢١، رقم ١١٢٩.
٣. رجال النجاشي ص ٥٧ رقم ١٣٧
٤. رجال الطوسي ص ٤٢٤ رقم ٦١٠٩

صدور الرواية	النبي، اميرالمؤمنين الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا عليهم السلام	اميرالمؤمنين، الباقر الصادق، الكاظم، الرضا عليهم السلام	السجاد، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا عليهم السلام	اميرالمؤمنين، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد عليهم السلام	الباقر، الصادق، الرضا، الصاحب	الباقر، الصادق، الكاظم عليهم السلام	الصادق عليه السلام
الطبقه الثالثة، النصف الاول للقرن الثاني وقبله الى المعصومين	الحسن بن سعيد (كتاب التفسير القرآن)، الحسن بن فضال (كتاب التفسير)، علي بن ساباط (الناسخ والمنسوخ)، محمد بن خالد (كتاب التفسير)، علي بن مهزيار (كتاب التفسير)	تأليفاته الكثيرة الحاكية عن استفادته من كتب القدماء مثل: فضالة بن ايوب	الحسن بن محبوب (كتاب التفسير)، علي بن ابي حمزة (كتاب التفسير)، واكثره من ابي بصير و محمد بن خالد وهشام بن سالم	محمد بن ارومه (تفسير القرآن)، الحسن بن العباس بن الحريش (كتاب انا انزلناه في ليلة القدر)	الحسن بن محبوب (كتاب التفسير)	علي بن أسباط (الناسخ والمنسوخ)	الحسن بن علي الفضال (كتاب التفسير)
الطبقة الثانية النصف الثاني للقرن الثاني، النصف الأول للقرن الثالث	أحمد بن محمد بن عيسى (كتاب التفسير، كتاب الناسخ و المنسوخ)، احمد بن محمد بن خالد (كتاب فضل القرآن)، عبد الله بن الصلت (يعرف له كتاب التفسير)، محمد بن عيسى بن عبيد (تفسير القرآن)	الحسن بن سعيد (كتاب تفسير القرآن)	أحمد بن محمد بن عيسى (كتاب تفسير القرآن، كتاب الناسخ ومنسوخ)، محمد بن عيسى بن عبيد (تفسير القرآن)، احمد محمد بن خالد (كتاب فضل القرآن)	احمد بن محمد بن عيسى (كتاب تفسير القرآن)، محمد بن أحمد بن يحيى (نوادر الحكمة)	احمد بن محمد بن خالد (كتاب فضل القرآن)، محمد بن عيسى بن عبيد (تفسير القرآن)	محمد بن أحمد بن يحيى (نوادر الحكمة)	أحمد بن محمد بن خالد (كتاب فضل القرآن)
الطبقة الأُولى القرن الثالث	محمد بن الحسن الصفار (م ٢٩٠) (كتاب فضل القرآن)	الحسين بن الحسن بن أبان (راوي كتب الحسين بن سعيد)	سعد بن عبد الله الأشعري (كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه متشابهه)	محمد بن يحيى العطار (منها: النوادر)	عبد الله بن جعفر الحميري (منها: قرب الاسناد الى الرضا، قرب الاسناد الى صاحب الأمر)	أحمد بن ادريس (النوادر)	الحسن بن متيل (النوادر)

ويظهر من مقارنة الجدولين (٢ و٣) أنه في الغالب وعلى أساس الكثرة أو قلّة الروايات يحصل تغيّر كبير في كثرة الأئمة في النقل. وبالنتيجة يكون الصفّار أكثر نقلاً عن المعصومين عليهم السلام من الحسن بن متيل. ومن جهة أخرى، فإن كثرة النقل في هذه المجموعة عن الإمام الصادق، ثم الإمام الباقر، ثم الإمام الكاظم، ثم أمير المؤمنين، ثم الإمام الرضا عليهم السلام، ثم النبي صلى الله عليه وآله، ثم صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف.. وهذا المسلك سارٍ بخصوص الروايات المنقولة عن كل واحد من أساتذة ابن الوليد السبعة أيضاً.

روايات ابن الوليد التفسيرية

تقدّم أن ابن الوليد ـ إزاء تحقيق الحديث وعلوم الرجال ومعرفة الكتب ـ قد اتّخذ منهجاً دقيقاً جداً، رغم أنّ تحقيق الآراء في مساحات العلوم الإسلامية المختلفة يتطلّب مجالاً آخر، ولكن لا يمكن تجاهل تأثير معاييره في النقل واختيار الروايات. إنّ ترتيب مجموعة الروايات محطّ البحث في هذه الدراسة له أهميته الواضحة ـ لمعرفة بعض آرائه على الأقل ـ وتشير المطالعة إلى امكانية تقسيم الروايات المنقولة عنه إلى ثلاث طبقات من حيث الانتفاع بها.. وهي بدورها تتوزّع على خمس شعب بالشرح أدناه:

الف – التقسيم الموضوعي

يمكن تقسيم روايات ابن الوليد القرآنية إلى ثلاث مراتب؛ فقهية وكلامية وأخلاقية:

١- الروايات الفقهية

تحتلّ الرويات الفقهية أكبر مساحة من الروايات، وتشمل الروايات الفقهية وآيات الأحكام في مختلف المواضيع، مثل الصلاة والصيام والزكاة ومسائل الحج والحدود والقصاص والديات.. وكما تقدم، فإن القسم الأكبر من هذه الروايات قد أدرجت في كتاب (تهذيب الأحكام) وكنموذج؛ قد ورد في أحكام الحج:

قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام): إذا ارتكب شخص قتلاً في خارج الحرم، ثم التجأ إلى الحرم، فماذا يُفعل به؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يُقتل في حرم الله، ولكن لا يعطى طعاماً ولا يباع له، ولا يخيّر في مكان حتى يخرج من الحرم، ثم يحدّ. فقلت:

وإذا ارتكب القتلَ أو سرق في حرم الله؟ فقال أبو عبد الله: يُحدّ في حرم الله، وذلك أنه لم يحفظ حرمة حرم الله.. وقد قال الله تعالى: (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وإن هذه الآية قد نزلت في حرم الله.. ثم قرأ أبو عبد الله من قوله تعالى:(لا عدوان الا على الظالمين).[1]

٢- الروايات الكلامية

المرتبة الثانية ذات علاقة بالمساحة العقائدية والمعارف التوحيديّه. وكنموذج على ذلك ما ورد في باب حدود المعرفة الالهية ـ معرفة الله ـ نقلاً عن ابن ماهويه في رواية الأقوام المتعمقين:[2]

قال: كتبت إلى الطيب، يعني أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام: ما الذي لا تجري معرفة الخالق بدونه؟ فكتب: «ليس كمثله شيء، ولم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعال لما يريد».[3]

وفضلاً عن الروايات الثلاث أعلاه، ثمّ روايات أخرى نقلها، والجمع بينها يحكى عن ضرورة الاعتدال والاحتياط في باب التوحيد: «إياكم والتفكّر في الله... إن الله لا تدركه الأبصار، ولا يوصف بمقدار»[4]

كما روى ابن الوليد مجموعة من الروايات ذات الصلة بالمصطلحات التوحيدية ـ القرآنية محطّ البحث في مساحة المعارف الإلهية، مثل: الواحد، يدالله، العرش، الساق، الفطرة، الكرسي، عالم الذر، ليلة القدر، الميثاق، الشرك والكفر، مراتب اليقين و الايمان، السعادة والشقاء.

وكمثال بخصوص الميثاق، ما نقل وروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«أخذ الله عزّوجلّ ميثاق المؤمن على أن لا يقبل قوله ولا يصدّق حديثه ولا ينتصف

١. تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٦٣، باب من الزيادات في فقه الحج.
٢. التوحيد، ص ٩٥.
٣. نفسه، ص ٢٨٤.
٤. كفّوا عن التفكّر في ذات الله، فإنه لا يأتيكم بغير الضلال والحيرة. الأمالي للصدوق، ص ٤١٧.

من عدّوه ولا يشفى غيظه إلّا بفضيحة نفسه لأنّ كلَّ مؤمن ملجم»[1]

كما نقل عنه في باب النبوة جملة روايات، منها ما هو عن نبوّة عامّة الأنبياء، مثل النبيّ آدم وأولي العزم عليهم السلام، وبعض الروايات عن نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله.. وكنموذج في أمّيّة نبيّ الإسلام؛ نقل روايتين عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فيما يرتبط بسبب تسمية بالأمّيّ، وذلك لكونه من مكة أمّ القرى، وبأنّه صلى الله عليه وآله أن يقرأ ويكتب ويعرف جميع لغات البشر وغير البشر.[2]

وفي موضوع الإمامة وردت عدة روايات عن ابن الوليد، من بينها روايات تشمل القول في إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.[3] وفضلاً عن ذلك، فإنّ ثمّ أسلوباً خاصّاً في التعامل والاستفادة من الآيات القرآنية محطّ البحث في الإمامة. وكمثال: أورد روايتين بخصوص آية التطهير المباركة: «الرجس هو الشك»[4] أو في ذيل الآية السابعة من سورة الرعد؛ حيث روى: «كلُّ امامٍ هادٍ لكلِّ قومٍ في زمانهم». ويبدو أن العلّة في منحى ابن الوليد؛ هذا والسبب في إيراده هذه الشاكلة من الآيات.. يمكن أن تمحّص لدى التحقيق في موضوع الغلوّ وأسباب وطبيعة انتشاره.

٣- روايات الأخلاق والأدعية

فضلاً عن المرتبتين المذكورتين، يمكن الإشارة إلى مرتبة ثالثة من روايات ابن الوليد، وهي تتضمّن القول في المواضيع الأخلاقية وفي الأدعية، مثل: تلاوة القرآن، والمستضعفين، والرهبانية، والإحسان، والقناعة، والأكل، والعدل، والعمل الصالح، والسعادة والشقاء والاستغفار والتوبة..

وكنموذج، نقل في تفسير الآية (١٨٢) من سورة الأعراف الرواية أدناه:

«إذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيراً؛ فأذنب ذنباً، تبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار.. وإذا أراد الله تعالى بعبد شرّاً؛ فأذنب ذنباً، تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار.. ويتمادى به، وهو قول الله

١. الخصال، ص ٢٢٩.
٢. علل الشرايع، ج ١، ص ١٢٥.
٣. مثل رواية كما ل الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٤١٤.
٤. معاني الأخبار، ص ١٣٨.

تعالى: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) بالنعم عند المعاصي».[1]

ب: ترتيب الانتفاع والاستفادة

فضلاً عن المراتب الثلاث الموضوعية.. ثمّ نوع آخر من الترتيب والتبويب لأجل الانتفاع وعرض فاعلية كلام المعصوم في فهم الآيات القرآنية.. وهذا ـ في الواقع ـ بمثابة الأساس والميزان ومساحة فهم الآيات.. وفي هذا الترتيب والتبويب هناك خمسة مناحي روائية يمكن ملاحظتها[2] إذ الدقّة في حدودها وأبعادها أمر مهم للغاية.. وهذه الموارد عبارة عن: روايات معرفة السورة، روايات معرفة المعنى، الروايات التفسيرية ـ التنزيلية،[3] روايات بيان التأويل والباطن، روايات الجري والتطبيق.[4]

١- روايات معرفة السورة

هذه المجموعة من الروايات تشمل ما كانت تتضمّن فضائل قراءة السور في تعداد الآيات المختلفة، أو في الأماكن والأزمنة المتنوعة.

في المجموعة المذكورة، كان عدد هذه الآيات يزيد على ستة موارد.. كنموذج: نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من قرأ البقرة وآل عمران؛ جاء يوم القيامة تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين، أو مثل الغيابتين».[5]

أو الروايتان الأخرتان اللتان نقلهما الطوسي عن كتاب علي بن مهزيار بطريق ابن الوليد؛[6] في حين أنّ الشيخ الصدوق قد خلت كتبه منها. وقد رواهما الشيخ الكليني بواسطة

---

١. علل الشرايع، ج ٢، ص ٥٦١.

٢. يرجع في ذلك إلى كتاب (مباني كلامي إمامية در تفسير قرآن) فارسي، للدكتور علي راد، ص ٣٢٤.

٣. كان مصطلح (التنزيل) في الحقبة الأولى يعني التفسير، ثم إن المفسرين استعملوا مصطلح (التفسير) بدلاً عنه..

٤. نفسه، بيّن المؤلف في هذا الكتاب الموارد الثلاثة من النقطة الثانية. فيما المورد ان الأوّلان منه أيضاً...

٥. ثواب الأعمال، ص ١٠٤. وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٥٠.

٦. تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ٨.

الحسين بن محمد عن عبد الله بن عامر:

علي بن مهزيار عن محمد بن يحيى الخزّاز عن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يستحبّ أن تقرأ في دبر الغداة يوم الجمعة الرحمن، ثم تقول كلما قلت: (فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان): لا بشيءٍ من آلائك ربِّ أُكذّب».[1]

وعنه عن أيوب بن نوح عن محمد بن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة، كانت كفّارة له لما بين الجمعة إلى الجمعة»[2]

وثَمّ روايات تناولت مثلاً: فضيلة آية الكرسي وسورة الواقعة وسورة السجدة وسورة لقمان أيضاً[3] كما يمكن الإشارة إلى رواية نقلها الصفّار صاحب كتاب (فضائل القرآن) في فضيلة قراءة القرآن و ختم القرآن في مكة وبين الجمعتين.[4]

٢- روايات معرفة المعنى

المراد من ذلك الروايات الخاصّة ببيان القضايا الأدبية وتحديد المصطلحات، وهي روايات قليلة جداً. نموذج ذلك ما روى عمرو بن جميع عن مولانا الامام الباقر عليه السلام عن أبيه عن أجداده عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «تعلموا القرآن بعربيته و إياكم والنبر فيه» ـ يعني الهمز.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الهمز زيادة في القرآن إلّا الهمز الأصلي، مثل قوله عزوجل: (ألّا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات والارض) ومثل قوله عزّوجلّ: (و إذ قتلتم نفساً فادّارأتم)».[5]

٣ – الروايات التنزيليّة – التفسيريّة

تعالج هذه الشاكلة من الروايات الفهم والإيضاح لظاهر الآيات، وهي تتّسع ـ تقريباً ـ لجميع الروايات الفقهيّه وقسم كبير من الروايات غير الفقهية. ويمكن ملاحظة هذه الروايات

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٤٣.
٢. الكافي، ج ٣، ص ٤٢٩.
٣. ثواب الأعمال، ص ٢٥٢.
٤. نفسه، ص ١٠١.
٥. معاني الأخبار، ص ٣٤٤.

من جهتين:

الجهة الأولى: الروايات الخاصّة بتبيين وتوضيح المصطلحات ذات العلاقة المهمّة مع فهم المتن والمعنى الظّاهري.

والجهة الثانية: الروايات الخاصّة التي يُستند عليها في مقام الاستنباط حيث لا تتّسع لما هو أبعد من المعنى الظاهري، وهي تشمل حوالي ثلاثة أرباع مجموع الروايات الفقهية وغير الفقهية. مثال ذلك:

الروايات التنزيلية - التفسيرية	
الآيات	**العبارة الروائية**
فاذكروني أذكركم	تسبيح فاطمة (معاني الاخبار ص ٤٠٢)
فمن خاف مِن موصٍ جنفاً أو إثماً	إذا اعتدى في الوصية إذا زادت على الثلث (علل الشرايع ج ٢ ص ٥٦٧)
لتكملوا العدة	شهر رمضان ثلاثون يوماً (الخصال ص ٥٣١)
واتمّوا الحجَّ والعمرة لله	العمرة واجبة بمنزلة الحجّ مَن استطاع (علل الشرايع ج ٢ ص ٤٠٨)
فيه سكينة من ربكم	روح الله يتكلّم إذا اختلفوا في شيء (معاني الاخبار ص ٢٨٥)
اصبروا وصابروا ورابطوا	اصبروا على المصائب، وصابروهم على التقية، ورابطوا على مَن تقتدون (معاني الاخبار ص ٣٦٩)
وليخشَ الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً	من أكل مال اليتيم: سلّط الله عليه من يظلمه وعلى عقيبه (ثواب الأعمال ص ٢٣٤)
من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم	جزاؤه جهنم إن جازاه (معاني الاخبار ص ٣٨٠)
إلّا المستضعفين	هو الذي لا يستطيع الكفر، فيكفر ولا يهتدي سبيل الايمان، فيؤمن... (معاني الاخبار ص ٢٠٠)
كتاباً موقوتاً	إنما يعني بذلك وجوبها على المؤمنين (علل الشرايع ج ٢ ص ٦٠٥)
ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية	التصفير والتصفيق (معاني الاخبار ص ٢٩٧)

الحجّ الأكبر	يوم النحر، والأصغر العمرة (معانی الاخبار ص ٢٩٥)
أيام معلومات	أيام العشر(معانی الاخبار ص ٢٩٧)
أيام معلومات	هي أيام التشريق (معانی الاخبار ص ٢٩٧)
ثم ليقضوا تفثهم	قصّ الشارب و الأظفار (معانی الاخبار ص ٣٣٨)
ثم ليقضوا تفثهم	حفوف الرجل من الطيب (معانی الاخبار ص ٣٣٨)
التابعين غير أولى الإربة من الرجال	هو الأبله المولى (معانی الاخبار ص ١٦٢)
و الطير صافات كل...	من الديكة (التوحيد ص ٢٨٢)
و جعلناهم ائمة يهدون بأمرنا	الائمّة أمامان، لا بأمر الناس (الاختصاص، ص ٢١)
و جعلناهم ائمّة يدعون إلى النار	يقدمون أمرهم قبل أمر الله (الاختصاص، ص ٢١)
فطرت الله	التوحيد، فطرهم على التوحيد (التوحيد ص ٣٢٨)
ليذهب عنكم الرجس	الرجس هو الشك (معانی الاخبار ص ١٣٨)
الّا ليعبدون	خلقهم للعبادة (علل الشرايع ج ١ ص ١٤)
ما كذب الفؤاد ما رآى	لم يره بالبصر و لكن رآه بالفؤاد (التوحيد ص ١١٦)
رهبانيّة	سكوت (الخصال ص ١٣٧)
النبي الأمّي	لأنه نسب إلى المكّة... فأمّ القرى مكة (علل الشرايع ج ١ ص ١٢٥)
يدعون إلى السجود و هم سالمون	و هم مستطيعون (التوحيد ص ١٥٥)
رب المشارق و المغارب	له ثلاثمائة و ستون مشرقا و ثلاثمائة و ستون مغربا (معانی الاخبار ص ٢٢١)
نقر فی الناقور	ان منا امام مستتر(كمال الدين ج ١ ص ٣٤٩)
الانسان غلی نفسه بصيرة	انّ السريرة إذا صلحت قويت العلانية (أمالی المفيد ص ٢١٤)
فلينظر الإنسان إلى طعامه	علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه (الاختصاص، ص ٤)
و شاهد و مشهود	يوم الجمعة و يوم عرفة (معانی الاخبار ص ٢٩٩؛ أربعة أحاديث)
إلى غسق الليل	نصف الليل (تهذيب الاحكام ج ٢ ص٣٠)
و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	ركعتی طواف الفريضة (تهذيب الأحكام ج ٥ ص ١٣٧)
الذين يطيقونه	الشيخ الكبير و الذی يأخذه العطاش (تهذيب الأحكام ج ٤ ص ٢٣٨)
لا تباشروهن	الغشيان فی شهر رمضان بالنهار (تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٨٣)

٤- روايات بيان التأويل والباطن:

ثم روايات تقابل الحالات التنزيلة، وهي مرتبطة بفهم المعاني العميقة، بل والأعمق فى الظاهر، أو باطن المتن، ولها صلة وثيقة بالمعنى الظاهري، وهذه المجموعة أقل عدد في رواياتها من المجموعة السالفة، وهي تشمل:

روايات التأويل والباطن	
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب	إن القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للإمام أن يفتى على سبعة وجوه (الخصال ص ٣٥٨)
فبشر عباد الذين يستمعون القول...	هم المسلّمون لآل محمد (الاختصاص، ص ٥)
و اذكر فى الكتاب إسماعيل	انّ إسماعيل الذى قال الله فى الكتاب.. لم يكن إسماعيل بن إبراهيم (علل الشرايع ج ١ ص ٧٨)
فقد جعلنا لوليه سلطانا	ذلك قائم آل محمد (كامل الزيارات ص ١٣٥)

٥- روايات الجري والتطبيق:

وأهمّ خصيصة مستعملة في هذه الروايات، ايجاد العلاقة بين مصطلحات الآيات مع فهمها بالاستعانة بالنماذج والمصاديق الخارجية.. وإن كان في الحالات العامّة يكون الطبع الذاتي لهذا النوع من الرواية يكون شمول الروايات الصحيحة محتملاً وباطلاً. ولكن أهمّ خصوصيات هذه المجموعة في هذا القسم الدقّة في اختيار القسم المعتبر منها في مدرسة قم

روايات الجري والتطبيق	
إن أصبح ماؤكم غورا	هذه نزلت فى القائم (كمال الدين ج ١ ص ٣٢٦)
ليلة القدر	آمنوا بليلة القدر، إنّها تكون لعلي بن أبي طالب و ولده الأحد عشر من بعده (كمال الدين ج ١ ص ٢٨١؛ كفاية الأثر ص ٢٢١)
كلمة باقية في عقبه	انّها في الحسين، تنتقل من ولد إلى ولد (كمال الدين ج ٢ ص ٤١٥)

النتائج:

١- التحقيق في الروايات التفسيرية وبلحاظ الفهم القرآني ذو مرتبة خاصّة، ومن هنا، كان التعرف إلى آراء علماء التفسير في مساحة الحديث ذا أهمية.

٢- يمكن لهذا النموذج المعروض في هذه الدراسة فيما يرتبط بالتحقيق في رواية ابن الوليد مستقى من مساعي الحوزة القميّة القائمة على أساس معرفة الأسانيد وتقييم محتوى المتون الروائية.. يمكن أن يكون مفيداً لتعريف ومطابقة مجموعة الروايات القرآنية في إطار التفسير القمي.

٣- في بحث الأسانيد ثمّ عدد جدير بالملاحظة من الروايات المأخوذة عن الأشخاص أصحاب التفسير ولهم مؤلفات، وبالاستعانة بقرائن أخرى يتسنّى التعريف إلى تلكم الروايات أو تقويمها.

٤- بلحاظ موضوعية أكبر عدد من روايات ابن الوليد في الفقه، حيث كان قسمها الأكبر قد رواه الطوسي في (تهذيب الأحكام) عن كتب الأصحاب بواسطة ابن الوليد.. وبعد الفقه، هناك موضوع العقائد والأخلاق يمكن العثور على الروايات في هذين المجالين.

٥- بلحاظ الفاعلية من بين الأقسام الخمسة، يمكن القول إنّ الروايات التفسيرية ـ أو التنزيلية ـ ذات عدد أكبر، وأقلّ الروايات عائدة الى روايات معرفة المعنى.

وهذا النموذج عموماً بمثابة أول خطوة في إطار تحليل البُعد التفسيري في المدارس الحديثية، بعرض نماذج تطبيقية أخرى يمكن رفدها وتقويتها.

المصادر:

ابن الغضائري، أحمد بن حسين، الرجال، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٣٦٤ هـ ق.
ابن طاووس، سيد علي بن موسى، فرج المهموم، دار الذخائر، قم.
الحلي، العلامة، رجال العلامة الحلي، دار الذخائر، قم ١٤١١ هـ ق.
الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، انتشارات جهان، طهران، ١٣٧٨ هـ ق.
الصدوق، كمال الدين، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٥ هـ ق.

الصدوق، معاني الأخبار، جامعة المدرسين، قم، ١٣٦١ هـ.ش.
الطوسي، الفهرست، المكتبة المرتضوية، النجف الاشرف.
ابن النديم، محمد بن إسحق، الفهرست، أمير كبير، طهران، ١٣٦٦ هـ.ش.
ابن داود الحلي، رجال ابن داود، دانشگاه طهران، ١٣٨٢ هـ.ق.
ابن شهرآشوب، معالم العلماء، قم.
ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجّة لثمرة المهجة، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، ١٤١٢ هـ.
ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٤٠٩ هـ.ق.
ابن قولويه، جعفربن محمد، كامل الزيارات، المطبعة المرتضوية.
الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤ هـ.ق.
الاردبيلي، محمد بن علي، جامع الرواة، مكتبة المحمدي.
الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ هـ.ش.
الصدوق، من لا يحضره الفقيه، جامعة المدرسين، قم، ١٤١٣ هـ.ق.
الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ هـ.ش.
المفيد، محمد بن محمد، عدم سهوالنبي، قم، ١٤١٣ هـ.ق.
النجاشي، رجال النجاشي، جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٧ هـ.ق.
الشيخ الصدوق، الأمالي، مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ.ق.
ابن بابويه، على بن الحسين، الإمامة والتبصرة من الحيرة، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ١٤٠٧ هـ.ق.
الحرالعاملي، أمل الآمل، بغداد، مكتبة الأندلس.
الشريف المرتضى، الانتصار، جامعة المدرسين، قم، ١٤١٥ هـ.ق.
القمي، عباس، الانوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، مؤسسة النشرالاسلامي، قم، ١٤١٧ هـ.ق.
المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، دار احياء التراث، بيروت، ١٤١٢ هـ.ق.
البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، مؤسسة النشرالإسلامي. قم المقدسة.
البحراني، السيد هاشم، مدينة المعاجز، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم، ١٤١٣ هـ.ق.
المفيد، محمد بن محمد، تصحيح الاعتقادات، المؤتمر العالمي لألفية المفيد، ١٤١٣ هـ.ق.
التفرشي، مصطفى بن الحسين، نقد الرجال، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ١٤١٨ هـ.ق.
العروسي الحويزي، عبدعلى، تفسيرنورالثقلين، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٤١٢ هـ.ق.
الشيخ الصدوق، التوحيد، مؤسسة النشرالإسلامي، قم، ١٣٩٨ هـ.ق.
الموحد الأبطحي، محمد على، تهذيب المقال، قم (ابن المؤلف)، ١٤١٧ هـ.ق.

الجبعي العاملي، زين الدين على، الرعاية في علم الدراية، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٨ هـق.
جديدي نجاد، محمد رضا، معجم مصطلحات الرجال والدراية، دار الحديث، قم، ١٤٢٤ هـق.
النجفى، محمد بن الحسن، جواهر الكلام، دار الكتب الإسلامية، طهران.
الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت(ع)، قم، ١٤٠٩ هـق.
الحلي، العلامة، منتهى المطلب، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤١٢ هـق.
الحلي، العلامة، رجال العلامة (خلاصة الأقوال)، منشورات الشريف الرضي ١٤١٧ هـق.
خادميان، مهدى، فهارس الشيعة، مؤسسة كتاب شناسي شيعة، قم، ١٣٨٩ هـش.
الخزاز القمي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، نشر بيدار، قم، ١٤٠١ هـق.
ابن بابويه، الخصال، جماعة المدرسين، قم.
الخوئي، ابوالقاسم، معجم رجال الحديث، مركز نشر آثار الشيعة، قم، ١٣٦٩ هـش.
المؤمن السبزواري، ذخيرة المعاد.
آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٣هـق.
راد، علي، مباني كلامي إمامية (فارسي)، ١٣٩٠ هـش.
ربانى، محمدحسن، دانش دراية الحديث (فارسي)، دانشگاه علوم اسلامي، مشهد، ١٣٨٠ هـش.
البرقي، الرجال، جامعة طهران، ١٣٤٢ هـش.
الطوسي، محمد بن الحسن، الرجال، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٥ هـق.
النجاشي، رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة)، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦ هـق.
السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٤ هـق.
الصدوق، محمد، معاني الأخبار دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٧٧ هـش.
المروج، محمد جعفر، منتهى الدراية، دار الكتاب، ١٤١٥ هـق.
الصدر، حسن، نهاية الدراية، قم، نشر المشعر.
الصدوق، علل الشرايع، دار إحياء التراث. ١٤٠٨ هـق.
الصدوق، عيون أخبار الرضا، منشورات جهان.
الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي.
الصدوق، التوحيد، قم، ١٣٩٨ هـق.
الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، دار الكتب الإسلامية، قم ١٣٩٥ هـق.
الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، جامعة المدرسين ١٤١٧ هـق.
الطبرسي، مكارم الأخلاق، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٤ هـق.
الطوسي، الغيبة، مؤسسة معارف إسلامي، قم، ١٤١١ هـق.

الطوسي، العدّة، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧ هـ ق.
الطوسي، الاستبصار، دار الكتاب الإسلامية ١٣٦٣ هـ ش.
الطوسي، التهذيب، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هـ ش.
العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠ هـ ق.
الغروي، محمدحسين، نهاية الدراية، انتشارات سيد الشهداء(ع) ١٣٧٤ هـ ش.
الفاضل الهندي، كشف اللثام، مؤسسة النشر الاسلامي ١٤١٨ هـ ق.
ابن طاووس، على بن موسى، فرج المهموم، قم، منشورات الشريف الرضي.
الفيض الكاشاني، الوافي، مركز التحقيقات الدينية، ١٣٧٤، هـ ش.
الكراجكي، كنز الفوائد، قم، مكتبة المصطفوي ١٣٦٩ هـ ق.
الكشي، رجال الكشي، دانشگاه مشهد ١٣٤٨ هـ ش.
الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٩، هـ ش.
المشهدي، محمد رضا، كنز الدقائق وبحر الغرائب، وزارة الإرشاد، ١٣٦٨ هـ ش.
اللاري، عبد الحسين، التعليقة على رياض المسائل، قم، موسسة آل البيت(ع) ١٤١٦ هـ ق.
المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت، ١٤٠٤ هـ ق.
المجلسي، محمد تقى، اللوامع، مطبوعات إسماعيليان.
الكلباسي، الرسائل الرجالية، قم، دار الحديث، ١٤٢٢ هـ ق.
التستري، محمدتقى، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ هـ ق.
المفيد، محمد، المزار، قم، المؤتمر العالمي، ١٤١٣ هـ ق.
المفيد، تصحيح الاعتقاد، المؤتمر العالي ١٤١٣ هـ ق.
النراقي، ابوالقاسم، شعب المقال في درجات الرجال، موسسة النشر الإسلامي ١٤٢٢ هـ ق.
النوري، مستدرک الوسائل، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٨ هـ ق.

١٧٥
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

تحقيق في نسبة كتاب (روضة الكافي) للكليني

السيد رضا مؤدّب
إبراهيم يعقوبيان

الملخّص: أبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله من علماء ومحدّثي الإمامية الأجلّاء (م ٣٢٩ ق) صاحب السِفر العظيم (الكافي)، من أهمّ وأعظم الجوامع الحديثية الشيعية.. وقد نسبوا إلى الملّا خليل القزوينى أنّه تردّد في نسبة كتاب (الروضة من الكافي) للكليني، وعدّه من تأليف ابن إدريس أو الشهيد الثاني.

وفي هذا التحقيق سيتمّ استعراض شكوك الملّا خليل القزويني في نسبة كتاب (الروضة) للكليني وما يؤيّد ذلك.. ويتبيّن أن قسم (الروضة) من (الكافي) وبناءً على شهادة النجاشي والطوسي واتحاد طرق روايات (الروضة) مع الأصول والفروع مع شيوخ (روضة الكافي) أنه من مؤلّفات الكليني رحمه الله بلا أدنى شك.

المصطلحات: روضة الكافي، نسبة الروضة للكليني، الملّا خليل القزويني.

الف: شخصية الكليني:

أبوجعفر محمد بن يعقوب[1] بن إسحق الكليني الرازي، الملقب بثقة الإسلام ورئيس المحدّثين الكليني، والرازي، والبغدادي. ولد في القرن الثالث الهجري في (كُلين)[2] ولا معلومة عن تاريخ ولادته. ولكن يحتمل أن تكون ولادته في سنة (٢٥٥ ق) قبل أو بعد ولادة مولانا الإمام الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واحتمل السيد بحر العلوم أن الكليني أدرك شطراً من حياة الإمام العسكري عليه السلام، وكتب: يبدو من تاريخ وفاة الشيخ رحمه الله أنه في الطبقة السادسة والسابعة من سلسلة طبقات الرواة، وأنه توفّي بعد (٦٩) سنة من استشهاد الإمام العسكري عليه السلام. ويمكن القول إنه عاصر جميع سنوات الغيبة الصغرى وحتى شطراً من أيام الإمام العسكري عليه السلام.[3]

واستحسن الشيخ السبحاني هذا الرأي وكتب: ولد محمد بن يعقوب الكليني في عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام بين سنوات (٢٥٤-٢٦٠ ق).[4]

واحتمل الغفاري، مؤلّف كتاب (الكليني والكاني) قوة الاحتمال المذكور وذهب إلى أنّ الشيخ الكليني فقد أشار في مقدمة كتابه أنه ألّف كتابه تلبيةً لطلب أحد أعزائه، وما هو متعارف بين أهل العلم أن يطلب من أحد تأليف كتاب وعمره خمسون أو زاد على الأربعين، وقد نقل ـ حسب الأخبار المتواترة في كتب الرجال - أنّ مدة تأليف كتاب (الكافي) قد استغرقت عشرين عاماً.[5]

---

١. لا مخالفة في اسم والد الكليني وتاريخ وفاته إلا من ابن الأثير، حيث ذكر في (الكامل في التاريخ) حين تطرق إلى أحداث سنة (٣٢٥) أورد أن اسم أبيه (علي) (الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي، ص ٦٧)

٢. هذه القرية تبعد (٣٨) من الجنوب الغربي لمدينة الري في منطقة حسن آباد.. وثمّ اختلاف بين المحققين بخصوص كلمة (كُلين) (روضات الجنات، ج ٦، ص ١٠٨؛ الكنى والألقاب، ج ٣، ص ١٢١؛ الكليني والكافي، ص ١١٣؛ الكليني وكتابه الكافي، ص ٦٩).

٣. الفوائد الرجالية، ج ٣، ص ٣٣٦.

٤. بحوث في الملل والنحل، ج ٦، ص ٧٥٧.

٥. الكليني والكافي، ص ١٢٧.

ومن ناحية أُخرى؛ فإن كتّاب السير ذكروا أن الكليني هو شيخ أصحابنا (الشيعة) ووجههم والأوثق في الحديث والأثبت بين أقرائه، كما صرّح بذلك النجاشي.[1]

وكذلك نعلم أنّ الكليني هاجر إلى بغداد وانشغل بالتدريس في هذه المدينة وعمل على الترويج لـ(الكافي) وربّى فيها جملة تلاميذ.. وهذا ما يستغرق أعواماً وأعواماً.

وعلى هذا؛ وطبقاً لأصحّ الآراء بخصوص تاريخ وفاة اللكليني؛ وهو سنة (٣٢٩ ق)[2] فإن عمره الشريف في هذه السنة كان بين (٦٩-٧٥) وبهذا يكون الكليني قد أدرك سنيناً في إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.[3]

ب: مسقط رأس الكليني:

مدينة الكليني، أي: مدينة الري، خضعت للفتح في عهد عمر بن الخطاب.. ولكن سكانها سرعان ما ثاروا ضد الحكم الجديد.. ثم إنها خضعت للفتح تارة ثانية في أيام عثمان، وضمّت إلى الحكم القائم آنذاك.

وقام محمد المهدي؛ من الحكّام العباسيين بين سنوات (١٤١-١٥٢ ق) بتجديد بناء هذه المدينة وسمّاها (المحمّدية) وقد ولد ابنه هارون العباسي في سنة (١٤٨ ق) في هذه المدينة. ومن جملة الحوادث المهمة التي شهدتها المدينة غلبة المأمون على أخيه الأمين. ثم إن مدينة الري خضعت لسيطرة الطاهريين.. وبعد تأسيس دولة العلويين في طبرستان واتّساع رقعة سيطرة هذه الدولة على هذه المدينة.. حتى غلب السامانيّون على العلويين في سنة (٢٧٢ ق) وأخضعوا الري لسيطرتهم. ثم إن أحمد بن الحسن المارداني ضمّ الري إلى سلطته، واهتمّ بنشر التشيع فيها مرة أخرى، وما تزال على حالها.[4] وإلى جانب الحوادث الطبيعية، مثل السيول والزلازل والأوبئة.. بقي التاريخ العلمي والثقافي للري في القرنين الثاني والثالث مبهماً. ولهذا؛ لم نجد ما يشفي الغليل

١. رجال النجاشي، ص ٣٧٧، رقم ١٠٢٦.
٢. توفي الكليني في سنة (٣٢٨ ق) وعلى قول: في سنة (٣٢٩ ق) ودفن في باب الكوفة ببغداد.
٣. الكيني والكافي، ص ١٢٧.
٤. الكليني وكتابه الكافي، ص ٢٥ ٢٧.

فيما يرتبط بتفاصيل حياة ودراسة ومرحلة شباب الكليني حتى مرحلة تدوين كتاب (الكافي) الشريف. ويحتمل أن يكون الكليني قد قضى سنوات عمره الأولى في مسقط رأسه (الري) ثم إنه هاجر إلى مدينة قم المقدسة لتحصيل العلوم الدينية، فانتفع من مشايخ مدارسها، فيما عمد إلى جملة سفرات لتكميل دروسه.. ومن ذلك أنه يمّم شطر الكوفة ونيشابور وبغداد.

وبعد لقائه كبار مدرّسي ومشايخ تلكم المدارس الدينية، عاد إلى الري مرة أخرى في الوقت الذي كانت فيه حوزة الري حوزة يانعة.. ولم نجد شاهداً دقيقاً على تاريخ عودته إلى الري. ولكن يحتمل قوياً أنّ إقامته في هذه المدينة كانت في العقدين الرابع والخامس من عمره، وبعد سنة (٣٠٠ ق) عاد إليها.. وذلك أنّ الكليني ألّف (الكافي) حين مرجعيّته لشيعة الري. ويبدو أن مقامه ومنزلته حدت بأحد المقربين إليه أن يطلب منه تأليف كتاب حديثي جامع..[١]

ج: مشايخ ورواة الكليني

أحصي مشايخ المرحوم الكليني خمسين شيخاً. ولكن الكليني قد روى في (الكافي) عن (٣٤). وإن حوالي (٩٩٪) من روايات الكتاب وردت عن ثمانية أشخاص؛ وهم بالترتيب:

١- علي بن إبراهيم القمي، (٧٠٦٨) رواية.

٢- محمد بن يحيى العطار، (٥٠٧٣) رواية.

٣- أبو علي الأشعري، (٨٧٥) رواية.

١. كتب المرحوم الشيخ محمد باقر كمره‌اي بخصوص الشخص المتقدّم بالطلب من الكليني: ورد في الشروح العديدة لـ(الكافي) أنه لم يرد ذكر لاسمه وصفته أو مقامه وبلده.. واحتمل الملّا خليل القزويني في (شرحه) أنه كان من أهل الري، ولكن هذا الاحتمال مفتقر إلى الشاهد. يبقى أن تأليف كتاب مثل (الكافي) لحفظ دين الشيعة الامامية، يمثل في عصر الكليني إنجازاً عظيماً جداً.. ولعل الشخص المتقدم بالطلب كان ذا منزلة جليلة جداً.. ولربما يكون في ذلك الإشارة إلى الناحية المقدسة في عصر الغيبة الصغرى.. (شرح أصول الكافي، للكمره‌اي، ص ٤٨٣).

٤- الحسين بن محمد، (٨٣٠) رواية.

٥- محمد بن إسماعيل، (٧٥٨) رواية.

٦- حميد بن زياد، (٤٥٠) رواية.

٧- أحمد بن إدريس، (١٥٤) رواية.

٨- علي بن محمد، (٧٦) رواية.

وكان للكليني رواة مهمّين أيضاً، أبرزهم أولئك الذين وفّقوا اِلى رواية كتاب (الكافي) الشريف بلا واسطة عن صاحبه، ويمكن الإشارة اِلى بعضهم:

١- أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، صاحب (كامل الزيارات) (م ٣٦٧ ق).

٢- أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (م ٣٨٥ق).

٣- أبو غالب أحمد بن محمد الزراري (م ٣٦٨ ق).

٤- أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم الصيمري (المعروف بابن أبي رافع).

٥- أبو المفضل محمد بن عبد الله بن مطلب الشيباني.

٦- أبو الحسين أحمد بن علي بن سعيد الكوفي.

٧- أبو الحسين عبد الكريم بن عبد الله بن نصر البزّاز.

٨- أحمد بن أحمد الكاتب الكوفي.

٩- أبو الحسين العقراني.[1]

د: منزلة كتاب (الكافي):

(الكافي) الشريف أكبر وأفخم مصنفات ثقة الإسلام الكليني، وفي الغالب طبع و يطبع في ثمانية مجلدات.. مجلدان منهم في العقائد والأخلاق، ويقال لهما: (أصول الكافي) وخمس مجلدات منه خاصة بالفروع الفقهية والأحكام، ويقال لهنّ: (فروع الكافي). ومجلد واحد في الروايات المختلفة في تفاسير الآيات والمواعظ، ويقال له (روضة الكافي) ومشهور بها.

١. پژوهشی در تاریخ حدیث شیعة، ص ۴۶۴ (فارسي). الكليني وكتابه الكافي، ص ٩٧.

يتضمّن (الكافي) (٣٦) كتاباً و(١٥٣٥٥) رواية. وذهب الطوسي إلى أن أول هذه الكتب؛ كتاب (العقل والجهل) وآخرها كتاب (الروضة)[١] وكذا ذهب النجاشي في شرحه كتب (الكافي).[٢]

هـ: روضة (الكافي) وترديد الملّا خليل القزويني في نسبته إلى الكليني

كما سلف؛ فإن (الروضة) هو آخر أقسام (الكافي). ولدى المتقدّمين: ومنهم النجاشي والطوسي ورغم الاختلاف في صفّه وترتبيبه وأنواع كتب (الكافي) المتاحة؛ فإنه لا شكّ في نسبته إلى الكليني.[٣] ولكن وقع بين المتأخّرين ـ بناءً على نقل صاحب كتاب (رياض العلماء) ـ أن أنكر الملّا خليل القزويني نسبة هذا الكتاب إلى الكليني.

وللتحقيق في مذهبه هذا، صحّة أو عدم صحّة، نبدأ بمراجعة شخصيته ثم بيان رأيه ثم نقده..

و: شخصية الملّا خليل القزويني

الملّا خليل بن غازي القزويني المتوفّى في سنة (١٠٩٨ ق) مدحه علماء الرجال الشيعة وأثنوا على دقة نظره.[٤]

من جملة أساتذته الأكثر شهرة: الشيخ البهائي والميرداماد. ومن جملة تلامذته: الملّا علي أصغر بن محمد بن يوسف القزويني؛ صاحب (المقالات الخمس).[٥]

---

١. رجال الطوسي، ص ١٣٥.

٢. رجال النجاشي، ص ٣٧٧. الكليني والكافي، ص ٤٠٣.

٣. رجال النجاشي، ص ٣٧٧. رجال الطوسي، ص ١٣٥.

٤. منها: الف؛ الميرزا عبد الله أفندي صاحب (رياض العلماء): المولى الكبير خليل بن الغازي القزويني، فاضل عالم متكلم أصولي جامع دقيق النظر قوي الفكر، من أجلّة مشاهير علماء عصرنا وأكمل أكابر دهرنا (رياض العلماء وحياض الفضلاء، ج ٢، ص ٦١). ب؛ الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، صاحب (روضات الجنات): الفاضل المدقق النبيل مولانا خليل بن الغازي... ذكره شيخنا الحر العاملي في تتمة أمله الموسومة بـ(التذكرة) فقال: فاضل علامة حكيم متكلم محقق مدقق فقيه ثقة ثقة، جامع للفضائل، ماهر معاصر (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج ٣، ص ٢٦٩).

٥. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٣٥٦. رياض العلماء، ج ٢، ص ٢٦٣.

والملّا خليل القزويني من جملة شرّاح كتاب (الكافي) .. وقد كتب الشيخ آقا بزرگ الطهراني عن شرحه هذا: هذا الشرح ترجمة للشرح العربي تحت عنوان (الشافي) وقد شرع بالشرح العربي لـ(الكافي) في سنة (١٠٥٧ق) ولكنه عجز عن إتمامه، وإنما شرحه إلى منتهى كتاب الطهارة.

وفي سنة (١٠٦٤ ق) شرع في الشرح الفارسي لـ(الكافي) في محلّة الديلمية بقزوين، وصادف في تلك السنة أن زار الشاه عباس الصفوي لمدينة قزوين. وسماه باسمه.. وفي مطلعه أورد روايتين وطبقهما على الشاه عباس. وفي سنة (١٠٦٧ ق) أتم شرح (أصول الكافي) ثم شرع بشرح الفروع، وأتمه في سنة (١٠٧٤ ق) وأتم شرح (الروضة) في سنة (١٠٨٤ ق) وعلى هذا؛ فقد استغرق تأليف (شرح الكافي) كما هو أصله (الكافي) عشرين سنة.[١]

ز: انفرادات الملّا خليل القزويني

الملّا خليل القزويني؛ وإن كان من كبار علماء الإمامية، ولكن نسبت إليه أقوال شاذّة، وبعضها كالتالي:

١- عرض جميع (الكافي) على الإمام المهدى عجل الله فرجه.

٢- مهما ورد في (الكافي) بلفظ «روي» فهو بلا واسطة عن الإمام المهدى عجل الله فرجه.

٣- جميع أخبار وروايات (الكافي) صحيح، والعمل بها واجب.

٤- ليس ثم رواية في (الكافي) عن تقية.

٥- أن (الروضة) ليس من تأليفات الكليني. وإنما هو من تأليفات ابن إدريس أو الشهيد الثاني.

قد أورد الأقول أعلاه صاحب (أعيان الشيعة)[٢] و(رياض العلماء)[٣] و(روضات الجنات)[٤] عنه رحمه الله.

---

١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ١٥، ص ١٦٨.
٢. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٣٥٥.
٣. رياض العلماء، ج ٢، ص ٢٦١.
٤. روضات الجنات، ج ٣، ص ٢٧٠.

ح: تحقيق في ترديد الملّا خليل، في نسبة (الروضة) للكليني

ما تقدّم؛ من جملة الانفرادات والأقوال النادرة المنسوبة للملّا خليل القزويني. وفي الشك بنسبة (الروضة) للكليني، نقل صاحب (رياض العلماء) رأيه بالتالي: من أعجب كلام الملّا خليل القزويني قوله: إن (الروضة) ليس للكليني، وإنما هو من تأليفات ابن إدريس أو الشهيد الثاني، ولكن هذا القول ليس ثابتاً.[1]

وصاحب (روضات الجنات) نقل في الشك برأي الملا خليل القزويني عن (رياض العلماء)، وختم قوله بعبارة «لا تغفل».[2]

كما نقل السيد محسن الآمين العاملي[3] وثامر هاشم حبيب[4] وعبد الرسول الغفاري[5] هذا الترديد عن (رياض العلماء) وعمدوا إلى نقده.. ولكنّ السؤال الأهمّ الذي ينبغي أن يقع فيه التحقيق هو: هل أن نسبة الترديد إلى الملّا خليل القزويني نسبة صحيحة أم لا؟

يبدو أن نسبة الترديد إلى الملّا خليل القزويني لا تحظى بنقل صحيح، ولا يعلم مصدر (رياض العلماء) الذي هو بمثابة مرجع لاستناد واعتماد العلماء الآخرين، بحيث نقل هذه النسبة... ولدى التحقيقات ولدى الرجوع إلى النسخة الخطية لشرح الملا خليل القزويني على (الكافي) المتوفّرة يبدو أنه اعتمد أقوال آخرين ونسبه إلى الشهيد الثاني، وإنما اكتفى بذكر مؤيد لذلك.[6] وعلى أي حال؛ فإن هكذا نسبة فيما يرتبط بـ (الروضة) غير صحيحة، وإن كتاب (الروضة) خاصّ بالكليني بلا ريب؛ واستناداً إلى الأدلة التي سنتناولها..

---

١. رياض العلماء، ج ٢، ص ٢٦٢.
٢. روضات الجنات، ج ٢، ص ٢٧٢.
٣. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٣٥٥.
٤. الكليني وكتابه الكافي، ص ١٣٦.
٥. الكليني والكافي، ص ٤٠٨.
٦. الصافي في شرح الكافي، ج ١، ص ٣٣ (نسخة خطية).

ط: أدّلة صحة نسبة (الروضة) للكليني

من جملة دلائل صحة نسبة (الروضة) للكليني رحمه الله، وبالنظر إلى آراء المحقّقين والذين يذهبون إلى تأليف (الروضة) من قبل (الكافي) مايلي:

١- شهادة النجاشي والطوسي

أهمّ دليل على صحة نسبة (الروضة) إلى الكليني؛ شهادة النجاشي والطوسي، وهما من الرجاليّين الكبار والقريبين من عصر الكليني، وذلك أنّ النجاشي والطوسي؛ ورغم اختلاف رأييهما في صفّ وترتيب كتب (الكافي) وفصوله، إلّا أنهما لم يبديا أيّ وجه من وجوه الريب في نسبة (الروضة) للكليني، بل إنهما صرّحا بأن (الروضة) هو آخر جزء من كتاب وموسوعة (الكافي) الشريف. وقد قال النجاشي في شرح سيرة محمد بن يعقوب الكليني: قد ألف كتابه الكبير الموسوم بـ(الكافي) طيلة عشرين عاماً، وفصوله تحت عنوان: كتاب العقل، كتاب فضل العلم، كتاب الوصايا، كتاب الفرائض... كتاب (الروضة).[١]

فيما قال الطوسي في شرح سيرة الكليني وكتاب (الكافي) وبيان أجزائه:... كتاب الديات وكتاب (الروضة) الذي هو آخر كتب (الكافي).[٢]

٢- اتّحاد طرق روايات (الروضة) مع (أصول وزرع الكافي)

طرق روايات كتاب (الروضة) متحدة مع طرق روايات (أصول وفروع الكافي). وهذا حاكٍ عن أنّ تأليفهما من قبل شخص واحد، وهو الكليني نفسه. وهنا نورد (١٦) نموذجاً لطرق رواية كتاب (الروضة) مع ذكر رقم حديثها، وبيان عشرة نماذج مشابهة لذلك في الأصل والفروع.

١- الحديث ٨: علي بن إبراهيم عن أبيه عن عمرو بن عثمان. الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦ و٥٦٦، ج ٣، ص ٧٠، ١١٣، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٤٩، ٤٥٣ و٤٦٣، ج ٤، ص ٢٥٢

١. رجال النجاشي، ص ٣٧٧.
٢. رجال الطوسي، ص ١٣٥. الفهرست، ص ١٦١.

و ٣٧٦، ج ٥، ص ٣٣، ٣٧٦، ٤٥٥، ٤٥٨ و ٥٥٢، ج ٦، ص ١٨٦، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤٥، ٣٤٥، ٤٠٥، ج ٧، ص ١٨٥، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٩٣، ٣٢٦ و ٤٣٤.

٢- الحديث ١٥: علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن فضّال [وعن ثعلبة بن ميمون]. الكافي، ج ٢، ص ١٣، ج ٣، ص ١١١، ١٦٩، ١٨٧، ٣٣٩، ٥٠٤ و ٥٥٧، ج ٤، ص ٣٩، ٦٠، ٢١٣ و ٢٥٩، ج ٥، ص ٢٥٠، ٣٤٥ و ٥٤٦، ج ٦، ص ٢٧٤، ج ٧، ص ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٤.

وأما طريق [وعن ثعلبة بن ميمون] ورد في (الكافي) ج ٥، ص ٣٤٥ و ج ٧، ص ٤٠٧.

٣- الحديث ١٦: محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل بن بزيع [عن عمّه حمزة بن بزيع] (الكافي) ج ١، ص ١٤٤، ١٤٥، ٢١١، ٢٩٣، ٤٠٥، ٤٣٦ و ٤٦٠، ج ٢، ص ١٠، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٦و ٢٠٧، ج ٣، ص ١٦، ٣٠٥، ٣١٤، ٣٤٢ و ٤٩٣، ج ٤، ص ٥٦، ٦٠، ١٤٤، ١٥٠، ٣٦٦، ٣٨٨، ٣٩٥، ٥٧، ٥٧٩ و ٥٨٠، ج ٥، ص ١٥٤، ٢٠٨، ٢٦٣، ٣٠٨، ٤٠٤، ٤١٣، ج ٦، ص ٤٦٠ و ٥٥٣، ج ٧، ص ٣٠٥، ٢٢٤، ٣٤٥ و ٤٣٨.

وأما طريق [عن عمه حمزة بن بزيع] ذكر في (الكافي) ج ١، ص ١٢٤ و ج ٦، ص ١٤٥.

٤- الحديث ٢٣: علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب [عن علي بن رئاب]. (الكافي) ج ١، ص ٥٤، ١٨٨ و ٥٤٦، ج ٢، ص ٦٤، ٧٨، ٨٤، ٩٠، ١٠٣، ١٣٥، ١٤٦ و ١٨٩، ج ٣، ص ١٠٣، ١١٧، ١٢٠، ١٣٦، ١٧١، ٢١٢ و ٢٤٠، ج ٤، ص ٧٣، ٢١٢، ٢٢٦، ج ٥، ص ٨، ٤٣، ٥٣، ١٦٣، ١٧٤، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٠، ج ٧، ص ١١١، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩.

وأما طريق [عن علي بن رئاب] ورد في (الكافي) ج ٣، ص ١٠٣ و ١٧٤، ج ٤، ص ٧٢، ج ٥، ص ٣٨٥، ج ٦، ص ١١٧ و ١٩١.

٥- الحديث ٢٤: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب. (الكافي) ج ١، ص ٤٢، ٥٢، ٥٤، ٢٠٣، ٢١٦، ٣٧٤، ٤٢٢، ٤٤٤، ج ٢، ص ٤٧، ٥٢، ٥٦، ٦١، ٦٨، ٧٢، ٨٠، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٨، ١٩٠، ١٩٢، ج ٣، ص ١٨، ٢٣٦، ٢٦٤، ٥٠٥ و ٥١٩، ج ٤، ص ١٦، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٣٨ و ٥٣، ج ٥، ص ٣، ٤٢، ٦٣، ٣٠٢، ٣٣٩ و ٤٢٤، ج ٦، ص ٣١٤، ٤٥٦ و ٥٠٦، ج ٧، ص ٢٨٤.

٦- الحديث ٣٠: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان. (الكافي) ج ١، ص ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٦٥ و ١٤٣، ج ٢، ص ٤٥، ٨٦، ٩٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٩، ١٦٨، ١٧٣ و ١٧٥، ج ٣، ص ٢٢٠، ج ٤، ص ٢٢ و ٢٦، ج ٥، ص ٧١ و ١٤٩، ج ٦، ص ٢٦٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٥٥، ٣٨٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٦٧.

٧- الحديث ٩٦: حميد بن زياد عن الحسن بن محمد بن سماعة. (الكافي) ج ٣، ص ١٥٥، ج ٦، ص ٥٦، ٦٩، ج ٧، ص ٨٨، ١٢٦، ١٣٦ و ١٥٦.

٨- الحديث ١٢٥: سهل بن زياد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة. (الكافي) ج ٢، ص ٦٧، ٩٥، ١٦٥، ١٨٦، ٢٥٦، ٣٨٨، ٣٩٧، ٥١١، ٦١٣، ج ٤، ص ٥٤٧، ج ٦، ص ٣٠٦، ٤٣١، ٤٨٥.

٩- الحديث ١٠١: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر. (الكافي) ج ٢، ص ١٤، ٢١، ٦١، ١٨٠ و ٢٥٠، ج ٣، ص ١١٢، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٣١، ٤٩٧، ٥١٦، ٥٢٩، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٦٣ و ٥٦٨، ج ٤، ص ١٨، ٩٣، ١٠١، ١٤٤، ١٨٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤ و ٢٩٧، ج ٥، ص ٢٢، ١٢٨، ١٣٧، ١٧٤، ١٨٨، ٢٧٥، ٣٣٤، ٣٤٨، ٣٥٤، ٣٧٥ و ٣٧٦، ج ٦، ص ٤٣، ٥٧، ٥٨، ٦٨، ٧٩، ٩٩، ١٣٤، ١٤١، ١٤٤، ١٦٢، ١٩١، ٢٠٨ و ٢١٣، ج ٧، ص ١٠، ٨٣، ١٠٤، ١٤٠، ١٥٤، ٢١١، ٢١٦، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣٥٩ و ٣٨٩.

١٠- الحديث ٢٢٤: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد، (الكافي) ج٢، ص ٤٥٩، ج ٣، ص ١٤٧، ج ٤، ص ٧٦، ٢٠٩ و ٤٠٩، ج ٥، ص ١٦٢، ٣١٤، ٣١٨، ج ٦، ص ٩، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٩٩.

١١- الحديث ١٥٩: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن ابن محبوب، (الكافي) ج ٢، ص ١٠٦، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٥، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٥١، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٩٧، ج ٣، ص ١١٤، ١٢٠، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٦، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٣٠، ج ٤، ص ١٧٩، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٧٦، ٣٠٧، ٣٣٥، ٤٦٣، ج ٥، ص ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ٩٨، ١٠٥، ١١٥، ٤١٦، ٤٥٦، ٤٥٩،

ج ٦، ص ١١٩، ١٥٦، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٠، ٣٨٩، ٤١٤، ٤٣٧، ٥١٠، ج ٧، ص ٦٧، ٩١، ١٣٢، ١٥٠، ٢٨٨، ٣٠٥.

١٢- الحديث ٨٣: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن أبي نجران، (الكافي)، ج ١، ص ٢٦٥، ج ٣، ص ٤٧٤، ج ٤، ص ١٧١ و ١١٤.

١٣- الحديث ٩٣: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن الحسن بن محبوب (الكافي) ج ٢، ص ٢٦، ١٧٥، ٢٣٥.

١٤- الحديث ٢٣٢: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بكر بن صالح، (الكافي) ج ٢، ص ٣٦٥، ج ٤، ص ٦٥ و ٣٥٣، ج ٥، ص ٣٣٥، ج ٦، ص ٢٨٩، ٣٩٩ و ٥٤٨، ج ٧، ص ١٩٩.

١٥- الحديث ٢٥٠: عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسن، (الكافي) ج ٢، ص ٢٧٢، ٢٣٦، ٣٩٦ و ٤٤٥، ج ٣، ص ٢١٤، ٢٣٧ و ٥٠٣، ج ٤، ص ٢٧٨، ج ٥، ص ٣٤، ٣٦، ٩٢، ١٤١، ١٦٧؛ ١٩٤، ٢٢٧، ٢٢٤، ٢٩٥، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥١٩، ٢٥٠، ج ٦، ص ١٢٩، ١٧٩، ٢١٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٣٥٧، ٤٧٩، ٥٤٢ و ٥٥٣، ج ٧، ص ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١٤، ٢١٦، ٢٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٢٣٣، ٣٣٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٤٠٤ و ٤٦٣.

وبالسند المذكور، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ (الكافي) ج ٢، ص ٢٧٢ و ٣٣٦، ج ٤، ص ٢٧٨، ج ٥، ص ٣٤، ١٢٧، ٢٩٥ و ٤١٧، ج ٦، ص ١٧٩، ج ٧، ص ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٦٧، ٣٦٦، ٤٦٣.

١٦- الحديث ٤٠٠: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى، (الكافي) ج ١، ص ٣٨، ج ٢، ص ٣٨، ٥٦، ٧٦، ١٢٧، ١٦٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٩٥، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧٥، ٤١٠، ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٦٣، ٦٤٩، ٦٦٠، ٦٦٣ و ٦٦٥، ج ٣، ص ١٩٩ و ٢٣٦، ج ٤، ص ١٨ و ٤٨. ج ٥، ص ٥٣، ١٧٦، ٤٧٢، ٥٠٤، ٥٣٥، ٥٦٤، ج ٦، ص ٢٦، ١٠٦، ١٨٣، ٢١٠، ٢١٥،

٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٧٥، ٣٧٧، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٤٩، ٥٠٢، ٥١٢، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٤١، ج ٧، ص ١٨٤، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٧٥، ٣٠٢، ٣١١، ٣٦٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٨٧، ٤٥١.

وحدة مشايخ روايات (الروضة) مع أُصول وفروع (الكافي)

مشايخ الرواة الكائنة أسماؤهم في سلسلة روايات (الروضة) من الطبقة الثامنة أو التاسعة من طبقات الرواة، ومنهم الكليني باعتباره في الطبقة التاسعة، في حين أن ابن إدريس من الطبقة الخامسة عشرة.. فكيف تكون (الروضة) من تأليفات ابن إدريس؟[١]

٤- شهادة الكليني في خاتمة الفروع؛ على كتاب (الروضة)

قد صرح الكليني نفسه بنسبة (الروضة) إليه واعترف بأن (الروضة) قسم من كتاب (الكافي)، وهذا المطلب يُعرف من أسلوبه في الكتاب، وذلك أنّ أسلوب الكليني لدى تأليف (الكافي) الشريف أنه كان في خاتمة كل فصل وكتاب يشير إلى انتهاء ذلك الكتاب وكذا كان يشير إلى اسم وعنوان الكتاب التالي.. كما كتب في خاتمة كتاب التوحيد: «تمّ كتاب العقل والعلم والتوحيد في كتاب (الكافي) ويتلوه كتاب الحجة في الجزء الآتي» وكذا كتب في خاتمة كتاب الحجة: «كمل الجزء الثاني من كتاب الحجة من كتاب (الكافي) ويتلوه كتاب الإيمان والكفر، والحمد الله ربّ العالمين، والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين». وكتب في خاتمة كتاب الأَيمان والنذور: «وبه تمّ كتاب الفروع من (الكافي) تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني رحمه الله، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً، ويتلوه كتاب (الروضة) من (الكافي) إن شاء الله».[٢]

٥- نقل كامل السند ومراعاة الأولوية في ذكر الروايات

من جملة خصائص (الكافي) وميزته عن الكتب الأخرى أنه ينقل سند الرواية في

١. الكليني والكافي، ص ٤٠٨.
٢. الكليني وكتابه الكافي، ص ١٣٣.

الغالب بشكل كامل، ويحرص على إيراد الروايات الأهمّ فالأهمّ في مطلع كل باب.. واعتمد هذا الأسلوب في (الروضة)، وأن كانت روايات (الروضة) وردت مرقّمة لا تنصوي تحت عنوان باب يعينه.[1]

واستناداً اِلى الأدلّة المذكورة؛ ينبغي القول أُنه لا مجال للشك في صحة نسبة (الروضة) اِلى الكليني، وأنه على سبيل القطع جزء من كتاب (الكافي) وأنه من تأليفات الشيخ الكليني الجليل رحمه الله .. ومن هنا؛ فإن صاحب (رياض العلماء) الذي نقل ترديد الملّا خليل القزويني، قال بأنّ هذا الشك من أغرب الأقوال، وأشار اِلى هذا القول بعبارة «ولكن لم يثبت».[2]

ي: تحقيق في وثائق الملا خليل القزويني

السؤال الأساسي هو هل أن ما نسبه صاحب (رياض العلماء) اِلى الملّا خليل القزويني صحيح أم لا؟ وهل أن الملّا خليل لم يعدّ (الروضة) للكليني حقاً؟

يبدو أن صاحب (رياض العلماء) والذي اعتمدوا قوله لم يتح لهم شرح الملّا خليل القزويني على (الكافي) وهو نسخة خطّيّة، وأنهم استندوا اِلى مسموعاتٍ أو منقولات غير معتبرة. ومن هنا؛ نسبوا اِليه الترديد والشك المشار اليه.

ونصّ كلام الملّا خليل في شرحه على (الروضة) كما يلي:

منقول عن الشيخ زين الدين العاملي اَن (كتاب الروضة) ليس جزءاً من (الكافي) ومن مويّدات ذلك ما يلي فى الفصل الثالث الذي هو «خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي خطبة الوسيلة؛ محمد بن علي بن معمّر.. اِلى آخره». وهذا الراوي تلميذ هارون بن موسى التلّعُكبري وهو تلميذ محمد بن يعقوب الكليني كما في (الفهرست) وتستبعد رواية الكليني عن تلميذ تلميذه... ومن جملة مؤيدات ذلك أيضاً ما يلي في الحديث الأوّل؛ الفصل الثامن والثلاثين من أنّ آزر كان أبوه إبراهيم، وستبيّن وجوه بطلان الحديث..[3]

---

١. نفسه.

٢. رياض العلماء، ج ٢، ص ٢٦٢.

٣. الصافي ج ١، ص ٣٣ (نسخة خطبة)

وكما يلاحظ؛ فإن الملّا خليل نسب عدم انتساب (الروضة) اِلى الكليني اِلى الشهيد الثاني بسند نقلي لم يذكر مصدره .. ومع هذا؛ كيف يمكن القول: إن (الروضة) من تأليف الشهيد الثاني؟ ثم اِنه لم تعثر على شاهد يؤيد أن الشهيد الثاني قد صدر عنه مثل هذا القول ولو في مؤلّفاته..

بالإضافة اِلى أن قوله: «محمد بن عليّ بن معمّر من تلامذة هارون بن موسى» ليس كاملاً صائباً، بل اِن تصريح الطوسي في كتاب (رجاله): إنّ هارون بن موسى من تلامذة محمد بن علي بن معمّر. وقول الشيخ الطوسي ما أدناه: محمد بن علي بن معمر الكوفي الكليني؛ أبو الحسين صاحب الصبيحي، سمع منه التلعكبري سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وله منه إجازة.[1]

واكتفى النجاشي في موردين بذكر اسم عنه ونقل رواية هارون بن موسى عنه. وقد كتب في ذيل ترجمة (حمدان بن المعاني): له كتاب (شرائع الإيمان) وكتاب (الإهليلجة) أخبرنا محمد بن علي الكاتب قال: حدّثنا هارون بن موسى قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر عن حمدان بن المعاني[2]

كما كتب ضمن ترجمة عبد الرحمن بن أبي نجران: واسمه عمرو بن مسلم... له كتب كثيرة... وأخبرنا بكتابه (المطعم والمشرب) محمد بن علي الكاتب قال: حدّثنا هارون بن موسى قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر الكوفي قال: حدّثنا حمدان المعانى...[3]

وأورد الخوئي أيضاً في (معجم رجال الحديث) في ترجمة محمد بن علي بن معمر: محمد بن علي بن معمر، روى عن الحسن بن علي بن فضّال وعلي بن محمد بن مسعدة أبي الحسن، وروى عنه هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري. التهذيب، جزء باب من الزيادات من الزيارات.. الحديث (٢٠١) وروى عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب..

---

١. رجال الطوسي، ص ٤٤٢.
٢. رجال النجاشي، ص ١٣٨.
٣. نفسه، ص ٢٣٥.

وروى عنه هارون بن موسى أبو محمد.[1]

وعدّه صاحب (طرائف المقال) صاحب كتب، منها (قرب الإسناد) وكتب: أبو الحسين بن معمّر الكوفي، له كتب؛ منها: (قرب الإسناد) ويظهر من ذلك أنه من علماء الإمامية كما في (المنتهى) وهو محمد بن علي بن معمر الكوفي.[2]

واحتمل الخوئي أن أباالحسين معمّر هو نفسه .. محمد بن علي بن معمر: أبو الحسين بن معمّر قال: الشيخ أبو الحسن الكوفي ابن معمّر، له كتب، منها: كتاب (قرب الإسناد) ذكره ابن النديم. أقول: لا يبعد أنه محمد بن علي بن معمّر المتقدّم.[3]

وعدّ صاحب كتاب (الكليني والكافي) في بيان مشايخ الكيني رحمه الله؛ «محمد بن علي بن معمّر» باعتباره أحد مشيخ الكليني وكتب: محمد بن علي بن معمر؛ ابو الحسين الكوفي حسن، روى عنه الكليني ثلاثة أحاديث (انظر: الكافي ٤/ ٤٩ والروضة ٤ و٥) وروى محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي بن عكاية التميمي في موردين، وفي الثالث رواه مرفوعاً.[4]

وذكرت كتب الحديث والمصادر الرجالية الأخرى أن هارون بن موسى هو راوي محمد بن علي بن معمّر.. ونذكّر هنا بعدة نماذج:

١- (تهذيب الاحكام): أخبرنا جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى بن أحمد التلّعكبري. قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر، حدّثني أبو الحسن...[5]

٢- (مصباح المتهجّد): أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدّثني أبو الحسن علي بن محمد بن سعدة

١. معجم رجال الحديث، ج ١٨، ص ٣١.
٢. طرائف المقال، ج ١، ص ١٩٧.
٣. معجم رجال الحديث، ج ٢٢، ص ١٣٥.
٤. الكليني والكافي، ص ١٨١.
٥. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١١٣.

والحسن بن علي بن فضّال عن سعدان بن مسلم عن صفوان بن مهران...[1]

٣- (الأمالي): وعنه؛ قال: أخبرنا الحسين بن عبيد الله عن أبي محمد هارون بن موسى، قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدّثني حمدان بن المعانى.[2]

٤- (الإقبال بالأعمال الحسنة): فإننا روينا بإسنادنا الى أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدّثني أبو الحسن علي بن مسعدة والحسن بن علي بن فضّال...[3]

٥- (وسائل الشيعة): وبإسناده؛ علي بن حاتم عن محمد بن جعفربن أحمد بن بطّة، وبإسناده عن أبي محمد هارون بن موسى عن محمد بن علي بن معمر؛ جميعاً عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب...[4]

وعلى هذا؛ لا يبقى مجال للشك في أن «محمد بن علي بن معمّر» ليس أنه تلميذ الكليني (يعني هارون بن موسى) فحسب، وإنما يحتمل ـ كما قيل في كتاب (الكليني والكافي) سلفاً ـ كونه من جملة مشايخ الكليني.. ولذا؛ فلااعتبار لاستبعاد الملّا خليل القزويني في رواية الكليني عن «محمد بن علي بن معمر» ويمكن أن يكون الملّا خليل قد أخطأ بين هارون بن موسى وأحمد بن موسى، وذلك أن هارون بن موسى هو راوي محمد بن علي بن معمر وينقل عنه الرواية. ولكن محمد بن علي بن معمر من رواة أحمد بن موسى بواسطة أحمد بن علي الرملي.

وكتب العلامة المجلسي في سند رواية: عن محمد بن علي بن معمر، عن أحمد بن علي الرملي، عن أحمد بن موسى بن يعقوب بن إسحق.[5]

فما نسبه الملّا خليل القزويني إلى (فهرست) الطوسي وأن «محمد بن علي بن معمر»

١. مصباح المتهجد، ص ٧٨٨.
٢. الأمالي للطوسي، ص ٦٤٤.
٣. الإقبال بالأعمال الحسنة، ج ٣، ص ١٠١.
٤. وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٤٤٥.
٥. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٧٤.

هو من تلامذة «هارون بن موسى» يبدو أنها نسبة خطأ كما هو مراد (فهرست) الطوسي. وذلك أن هذا الأخير في (الفهرست) اكتفى بترجمة «محمد بن علي بن معمر» في ذيل عنوان: «أبو الحسين ابن معمر» ولم يعرّفه على انه تلميذ «هارون بن موسى».[٦]

ك: وجود روايات ضعيفة في (الروضة)

لإثبات أن (الروضة) ليس للكليني؛ أشار الملّاخليل القزويني إلى وجود ضعف في بعض روايات قسم الروضة، مثل الرواية الواردة فيه والحاكية عن أنّ «آزر» هو أبو النبي إبراهيم عليه السلام، وهذا خلاف عقيدة الإمامية القائلة بأن آباء الأنبياء موحّدون، والحال أن «آزر» عابد وثن ومشرك. ونكتفي بمورد الحاجة مما رواه الكليني في كتاب (الروضة) وهي رواية مديدة: ... علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سليم، عن أبي أيوب الخزّاز، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: أن آزر أبا إبراهيم عليه السلام كان منجّماً لنمرود، ولم يكن يصدر إلّا عن أمره...[٧]

بخصوص ضعف متن الرواية هذي ينبغي القول: إن وجود بعض الروايات الضعيفة في (الروضة) هي غير قابلة للإنكار عند طائفة من المحدّثين.. وكنموذج لذلك؛ يشار إلى موارد أخرى، مثل: الحديث (٤٥٧) بخصوص إسلام أبي ذر رضوان الله عليه، والحديث (٣٠٨) بخصوص طول قامة النبي آدم عليه السلام، والحديث (٣٠٥) بخصوص لزوم قتل الوزَغ، والحديث (٤٠٦) بوجود ديك لله تعالى، والحديث (٣٦٥) بخصوص كون الأرض على ظهر سمكة.

والعلامة المجلسي قد عدّ الحديث (٣٠٥) مجهولاً في كتابه (مرآة العقول)[٨] و الحديث (٤٠٦) و (٣٠٨)[٩]

٦. الفهرست، ص ٢٧٧.
٧. الكافي، ج ٨، ص ٣٦، الحديث ٥٥٨.
٨. مرآة العقول ج ٢٦ ص ١٦٩
٩. نفسه ص ١٧١ و ٢٧٨

ضعيفاً، والحديث (٤٥٧)[1] مرسلاً مجهولاً، وإن كان مضمون الروايات المذكورة مقبولاً عند بعض المحدثين.. لكن وجود بعض الروايات الضعيفة لا يصلح أن يكون سبباً للقول بعدم نسبة (الروضة) إلى الكليني.. وكذلك ثمّ روايات في (أُصول الكافي وفروعه) يمكن أن تُعدَّ ضعيفة.. مضافاً إلى أن معيار المتقدمين والمتأخرين في اعتبار الروايات ضعيفة غير ذي مغزى ونسقٍ واحد.. ولعل روايات لدى المتأخرين ضعيفة، فيما المتقدمون لا يعدّونها كذلك، وهم عاملون بها..

المصادر

آشنائي با جوامع حديثي شيعة وأهل سنت (فارسي) علي نصيري، قم، مركز جهاني علوم إسلامي، ١٣٨٥ ش.

الإقبال بالأعمال الحسنة، علي بن موسى الحلي (ابن طاووس) تحقيق: جواد القيومي، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤ ق.

الأمالي، الشيخ الطوسي، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم، دار الثقافة ١٤١٤ ق.

أعيان الشيعة، محسن الامين.. إشراف حسن الأمين، بيروت، دار التعارف ١٤٠٣ ق.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ ش.

بحوث في الملل والنحل، جعفر سبحاني، قم، دفتر انتشارات إسلامي ١٣٧٣ ش.

پژوهش در تاريخ حديث شيعة (فارسي) مجيد معارف، طهران، ضريح ١٣٧٦ ش.

تهذيب الأحكام، الطوسي، قم، صدوق ١٤١٧ ق.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن علي المنزوي (آقا بزرگ الطهراني) بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣ ق.

رجال الطوسي، الشيخ الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٥ ق.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٧ ق.

روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، قم، إسماعيليان.

رياض العلماء، عبدالله الأفندي الإصفهاني، تحقيق: أحمد الحسيني، قم، مكتبة المرعشي ١٤٠١ ق.

شرح أصول الكافي، محمد باقر كمره‌اي، طهران، كتاب فروشي إسلامية ١٣٧٩ ق.

شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٣ق.

١. نفسه ص ٣٤٧

الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي، ثامر هاشم حبيب العميدي، قم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي ١٣٧٢ ش.
الصافي، ملّا خليل القزويني، مشهد، آستان قدس رضوي (نسخة خطية).
طرائف المقال، محمد شفيع الجابلقي البروجردي، قم، مكتبة المرعشي ١٤١٠ ق.
الفوائد الرجالية، محمد مهدي بحر العلوم، طهران، مكتبة الصادق ١٣٦٣ ش.
الفهرست، الطوسي، قم، منشورات الرحين.
الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨ ش.
الكليني والكافي، عبد الرسول الغفار، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٦ ق.
الكلنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، طهران، مكتبة الصدر ١٣٩٧ ق.
مرآة العقول، العلامة المجلسي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، دار الكتب الإسلاميه ١٣٧٠ ش.
مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، تحقيق: علي أصغر مرواريد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعه ١٤١١ ق.
معجم رجال الحديث، السيد أبوالقاسم الخوئي، قم، دار الزهراء ١٤٠٣ ق.
وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، قم، آل البيت عليهم السلام ١٣٧٥ ش.

١٩٥
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الأربعة ـ العدد السبعه (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

نقد و تحقيق في كتاب (المدرسة الشيعيّة في مسار التّكامل) القسم الثاني

أستاذ حسن طارمی راد

تكملة الفصل الأوّل

يكتب المؤلّف بأنه بعد امتناع الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن المشاركة في النهضة المضادّة للحكم الأُموي ـ التي تصدى لها بنو العباس ـ طرأ تغيّر في نمط التفكير لدى الشيعة شيئاً فشيئاً فيما يرتبط بالنظرة إزاء مقام الإمامة. وأنه مجرد العالم الأعلم في الأسرة النبوية الشريفة، وأنّ مهمّته مجرّد بيان مسائل الحلال والحرام وتفسير القرآن وبيان العقائد. فصار التأكيد السالف على دور الإمام السياسي قد اَخذ منحىً آخر يتمثل في الدور الديني والعلمي..

إن مسألة اِيمان الشيعة بدور الإمام ـ المعصوم ـ في إيضاح معارف الدين مسألة صحيحة، أمّا أن تكون مسألة التأسيس لحكومة العدل خارجة عن نطاق وظائف الإمام، فهذا قول خاطئ. فالروايات الشريفة تشير اِلى أنّ الأئمة عليهم السلام كان لهم موقفهم الخاصّ إزاء الحكم، ولطالما صرّحوا بعدم مشروعية حكومة الخلفاء الغاصبين للخلافة، بل كانوا عليهم السلام يعدّون ضرورة اتخاذ الموقف من عدم مشروعية الحكام من أهمّ شؤون الإمامة.

مثال ذلك؛ حينما يرجع أحدهم اِلى الإمام الباقر عليه السلام ويخبره بأن الحكومة الأُموية طلبت منه أن يكون عريف قومه باعتباره شخصاً معروفاً في مدينته، رأينا الإمام عليه السلام يأمره

بعدم قبول هذا العرض و هذا الطلب، إذ أن النظام الحاكم اِذ ذاك سيتوقع منه القيام بمهام مخالفة للشرع، مضافاً اِلى أصل عدم مشروعية هذا النظام (رجال الكشيّ، مدخل عقبة بن بشير الأسدي، ص ٢٠٤).

ويذكر رجل آخر أنه نذر اَن يذهب اِلى الجهاد، فيسأل الإمام عليه السلام عمّا عليه أن يفعل؟ فيجيبه عليه السلام بأن لا يذهب مع جيش النظام الحاكم، ولكن لمّا كان حفظ الحدود وحراسة المسلمين أمرٌ لابد منه، فله أن يشارك في حراسة الثغور. (بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ٤٤).

وحينما يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن زواج أمير المؤمنين عليه السلام من خولة الحنفية، تراه يجيب بصراحة أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان لا يرى مشروعية لحكومة الخلفاء، بل إن أميرالمؤمنين عليه السلام قد استأذن أخا خولة الحنفية. ولم يعاملها كسبية من السبايا. ومثل هذه الأسئلة وإجاباتها كانت تعكس الموقف من عدم مشروعية الأنظمة الحاكمة الغاصبة لدى الشيعة؛ ومن قبلهم أئمتهم المعصومين عليهم السلام.

فيما المؤلّف بهذا الصدد؛ فقد ادّعى بأن «نظرية العصمة مسألة جرى اقتراحها للمرة الأُولى من قبل هشام بن الحكم، وأنه قد بذل جهوداً لتسريب هذه النظرية والقاعدة».

ولكن المؤلف ـ أوّلاً ـ لم يحدّد دليلاً على أن هشام بن الحكم كان أوّل من أُسّس لهذه النظريّة. فهل كان مراد المؤلّف أن القول بعصمة الأئمة لم تكن معروفة في عصور الأئمة السالفين، وأن الشيعة إذ ذاك لم يكونوا يعتقدون بعصمة الأئمة؟ لعلّ مراد المؤلف الإشارة اِلى قول ابن عمير بأنه ليس أحد كهشام اَوضح له مسألة العصمة. (أمالي الصدوق، المجلس الثاني والتسعون، الحديث الخامس).

أقول: رغم أن هشام بن الحكم كان له دور مميّز في تدوين المسائل الكلامية لدى الشيعة؛ ولكن هذا لا يعني أنه هو أول من ابتدع هذه النظرية وقعّد لها. كما أن هناك من الأصحاب والشيعة الأوائل ممن تقدموا هشاماً بسنين مديدة من كان يقول بعصمة الأئمة ... مضافاً اِلى أن ثمّ روايات لا تحصى قد صدرت عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بهذا الخصوص، مما تؤكد بمجموعها على أن هشاماً لم يبدع هذه المسألة وهذه العقيدة ـ الإلهية ـ الأصيلة.. بل إننا إذا أمعنّا النظر؛ وجدنا الاستدلال بالاضطرار اِلى الحجة

قد فاضت به وعنه النصوص المعصومية فيما يرتبط ببحث العصمة من قبل، بمعنى أن الناس كانوا مؤمنين بضرورة ولزوم أخذ الدين ومعالمه عن مصدر لا يدنو منه الخطأ والسهو والغفلة، وحيث لا يسع التعرّف إلى هذا المصدر؛ كانت الحاجة اِلى النصّ. وعليه؛ كانت قضية لزوم العصمة قبل المنصوص قضية معروفة.

مثال ذلك (الكافي، ج ١، ص ١٨٩) عن قول منصور بن حازم تشير بوضوح اِلى هذه الحقيقة، حيث قال للإمام عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حجة على الخلق، وإنما يكون للحجية معنىً حينما يقول ويصرح الحجة ـ والموصوف بكونه حجة بالحق والصواب دَوماً. أما إذا اشتبه هذا الموصوف بالحجية، لا يعود للحجية معنىً. ويضيف قائلاً: حيث الاختلاف في الأمة واقع في تفسير القرآن، كان لابدّ من وجود شخص لا يرتكب الخطأ والفساد في الرأي ليتسنّى له التفسير الصحيح للقرآن وبيان العقائد ومسائل الدين.. ويدلي بالقول أيضاً: إن الأئمة بعد النبي حجج على الخلق، وطاعتهم مفروضة. وهذا يشير ويفصح عن أن تلقّي فردٍ مثل المنصور بن حازم ينتهي اِلى اَنّ الدين و العقائد وتفسير القرآن ينبغي أن لا يؤخذ إلا عن مصدر منزّهٍ عن الخطأ ولا يصدر عنه غير الصواب والحق؛ ليستوجب بذلك على الناس الطاعة والامتثال.

و روى المجلسي في (بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٤٢) في باب الاضطرار اِلى الحجة من روايات كريمة عن الأئمة الطاهرين، وهي تشير اِلى أنه كما كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ينطق ويفعل ويقرّ الحقّ ولم يكن للباطل والخطأ والسهو والغفلة طريق إليه، كذلك كان شأن الأئمة عليهم السلام. فمثلاً؛ نجد في (ج ٤٣، ص ٤٢) قول علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله! أَمِنّا الهداة أم من غيرنا؟ قال: بل منّا الهداة اِلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخواناً بعد الضلالة...

في هذه الرواية؛ يكون للهداية معنى حين لا يتعرّض الإمام للخطأ أو يعتريه الخطأ. وكذا في الرواية الواردة عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام الذي نقلها عن النبيّ الأكرم صلوات الله عليه وآله (بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٢٥، ص ١٩٣)، قال الراوي: حدّثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «من سرّه

أن ينظر إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عزّوجلّ بيده ويكون متمسّكاً به؛ فليتولَّ علياً والأئمّة من ولده، فإنهم خيرة الله عزّوجلّ وصفوته، وهم المعصومون من كلّ ذنب وخطيئة».

والإمام عليه السلام هنا يؤكّد بأن العصمة ليست بالأمر الذي يمكن تحديدها من خلال ظاهر ووجه الفرد، بل إن النصّ ـ وليس شيءٌ آخر ـ له أن يحدّد المعصوم من غيره. والمراد من إيراد هذه الروايات هو الإشارة إلى أنّ بحث العصمة كان ذا سابقة عريضة، وأنه ليس بالبحث الجديد، أو أنه ابتدع من قبل هشام بن الحكم...

بل إنّ بعض الأصحاب وأتباع وتلامذة الأئمة عليهم السلام قالوا بالإجماع على أصل العصمة، كما هو قول الحسين بن سعيد الأهوازي، وهو من معاصري وأصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن مشايخ ثقة الإسلام الكليني: إنه «لاخلاف بين علمائنا في أنهم عليهم السلام معصومون من كل قبيح مطلقاً» (كتاب الزهد، ص ٧٤). فلو كان جماعة قليلة من الأصحاب المتقدمين قائلين بعدم معصومية الأئمة، ما كان له أن يدّعي الإجماع بهذه القاطعيّة.. وإن جملة من علماء أهل السنّة واستناداً إلى هذا الحديث؛ قالوا بعصمة الأُمة، بمعنى أنه ما دامت الأُمة متمسّكة بالثقلين؛ فهي مصونة عن الضلال والانحراف.

مثال ذلك؛ أنّ السيوطي في أحد مؤلّفاته، وفي مقدمته قال: «الحمد لله الذي وعد هذه الأُمّة المحمديةَ العصمةَ من الضلالة ما إن تمسّك بكتابه و...» وعلى هذا؟ فإن مفهوم العصمة كان موجوداً من العصر النبويّ..

والقضية الأخرى التي أشار المؤلّف إليها؛ هي: أن الشيعة قد جعلوا للإمام ـ شيئاً فشيئاً ـ مقاماً علمياً بديلاً عن المقام والدور السياسي، وأن الإمام هو من ينبغي أخذ العلم الديني عنه .. هذا في حين أن الأئمة عليهم السام ومنذ اليوم الاول قد أشاروا إلى مقامهم العلمي الذي لا يضاهى. وثمّ حديث معروف ورد من عدة طرق وبصيغ شتى، ورواه الشيخ الصدوق عن الأصبغ بن نباته في (كتاب التوحيد) إذ ورد فيه أن أميرالمؤمنين عليه السلام وفي اليوم الأول لبيعة الناس إياه ألقى خطبة عصماء ثم أشار إلى صدره الشريف وقال: «... يا معشر الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم... هذا ما زقّني رسول اللهُ

زقّاً زقّاً...» (التوحيد للصدوق، ص ٣٠٥) وبعبارة اخرى: أن لا مجال ولا مبرّر للقياس بين علم الأئمة وسيرتهم النورانية وبين الحكام السابقين.. وعليه؛ فإن أهل البيت عليهم السلام ومنذ البداية قد لفتوا أنظار أصحابهم إلى مقامهم العلمي الأعظم.

ثم إن المؤلّف ادّعى ـ في جملة ما ادّعى وزعم ـ أن ثمّ حديثاً تناقلته الأفواه والألسن في عصر مولانا الإمام موسى الكاظم عليه السلام؛ مؤدّاه أنّ سابع الأئمة هو قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، وأنه بعد سجن الإمام الكاظم عليه السلام ثم استشهاده في السجن، ادّعى جماعة غيبته وأنه سيظهر فيما بعد ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.. وأنه هكذا تشكل تيار مذهب الواقفة، أو الواقفية، وشاغل التفكير الشيعي مدةً ليست بالقصيرة.

إن زعم المؤلف يفضي إلى أنّ السبب الرئيس في تكوّن الواقفة جملة أحاديث خاصّة بالإمام القائم وأنه هو الإمام الكاظم عليه السلام.

ولكن ينبغي أن يُعلم أنّ المجتمع الشيعي في عهد الإمام الكاظم عليه السلام اتّسع بشكل ملحوظ.. فيما كان نظام الوكالة عن الأئمة عليهم السلام قد تأسس وتعاظم، والعلّة الأصلية في ذلك ظروف الضغط الأمني الرهيب الذي عمد إليه نظام الحكم العباسي الظالم، ممّا ادّى إلى تشكيل نظام اجتماعي وديني يتصدّى إلى توفير الإجابات عن الاسئلة والمسائل المالية الشيعية.. مضافاً إلى لزوم التذكير بحقيقة أنّ الأفراد الذين كانوا يرشّحون إلى منصب الوكيل عن الإمام لابدّ أن يكونوا أمناء ماليّين تماماً، بل إنّ بعضهم كان موصوفاً بالمقام العلمي أيضاً، فيما الأئمة عليهم السلام كانوا يوثّقونهم من الناحية العلمية..

وبعد أن تعرّض الإمام الكاظم عليه السلام للاعتقال المتوالي.. ظهرت الاختلافات بين جملة من الوكلاء، حتى انتهى الأمر والحال إلى بروز تيار الواقفة على إمامته عليه السلام وعدم الإقرار بامامة الإمام الرضا عليه السلام.

وإن الكثير من الروايات عزت هذا الموقف الجديد لبعض وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام ممّا كان في أيديهم من الأموال الشرعية إلى الدافع المالي والطمع حيث كان قد تجمّع في أيديهم مقادير عظيمة من أموال الخمس والزكاة والنذور، فلم يهرعوا إلى تسليمها

لصاحبها الشرعي الذي هو الإمام الرضا عليه السلام، وزعموا ـ زوراً وكذباً ـ ببقاء أبيه الإمام الكاظم عليه السلام حيّاً وبكونه قد غاب ثم ستكون له عودة ورجعة.. ولقد عمد المؤلف اِلى نقل حكاية بروز وتشكّل هذا التيار الضالّ و أيّد صحّته..

ولعلّ اِحدى شبهات الواقفة التي طالما روّجوا لها، هي أنّ الإمام الرضا عليه السلام حين تصدّيه للإمامة كان عديم الابن. واستناداً اِلى هذه القضيّة كان أفراد الواقفة يشيعون بأنّ الرضا ليس اِماماً حقّاً.. ولكنّا بعد ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام عاد كثير ممن كان يقول بالوقف عن معتقده الضال، حتى انتهى أمر الواقفة اِلى الانزواء.. والنص الروائي أدناه يوضح هذه القضية التاريخية جيداً:

روى الكليني فى (الكافي، ج ١، ص ٣٢٠) عن الحسبن بن بشّار قال: كتب ابن قياما اِلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام شبه الغَضِبِ: «وما علّمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيّام واللّيالى حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق به بين الحقّ والباطل». وكان ابن قياما أحد زعماء الواقفة.. وإن تعبير الإمام لمثير حيث تكلّم بأمر غيبي مستقبلي وبعاقبته..

و روى الكليني أيضاً فى (الكافي، ج ١، ص ٣٢١) عن أبي يحيى الصنعاني قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام، فجيء بابنه أبي جعفر ـ الجواد ـ عليه السلام، فقال: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه». وهذه الروايات تشير اِلى اضمحلال تيار الواقفة ـ الذي مثّل حصول فتنة عظيمة في الصفّ الشيعي المضطهد ـ حين ولادة مولانا الإمام محمد الجواد عليه السلام.

وللشيخ الطوسي في (كتاب الغيبة) باب في ردّ الواقفة، وفيه حقّق وانتقد جميع الأحاديث التي تذرّع بها زعماء تيار الواقفة واستندوا إليها.. وللراغبين في متابعة هذا الأمر أن يرجعوا اِلى المصدر المذكور وأمثاله. وفي حديث أو حديثين اعتمدهما المؤلّف ورد القول: «إنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء»، والقول هذا يشير اِلى أنه لو كان مقرّراً للإمام الكاظم عليه السلام أن يثور، فإنه قد حصل فيه البداء، وقد تعوّق وتأخّر (الأُصول الستة عشر، أصل محمد بن المثنى الحضرمي، ص ٩١). وقد ذكر ابن داود في كتاب (الرجال)

عديدَ أفراد الواقفة وأنهم (٦٦) شخصاً، والعدد هذا أقلّ بقليل جدّاً من جملة أصحاب الأئمة، وعليه؛ لا يمكن القول ـ اعتماداً على بعض الروايات أعلاه ـ بأنّ أكثر الشيعة مالوا إلى تيار الواقفة، أو إنّ أكثر الناس صاروا إذ ذاك ينتظرون ويتوقعون الظهور المزعوم للإمام الكاظم عليه السلام، أو أنّهم كانوا لا يقرّون ولا يذهبون إلى وفاته واستشهاده عليه السلام مسموماً...

تحقيق الفصل الثاني

معنى و مفهوم الغلوّ

عمد المؤلف في الفصل الثاني إلى تقصّي كيفية تشكل تيار الغلوّ والتفويض لدى الشيعة، فبدأ القسم الثاني بالعبارات التالية: «في آيات أخرى ورد التأكيد على أن الأنبياء كانوا رجالاً عادّيين كسائر الناس يعيشون ويموتون... و بخصوص نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وجدنا القرآن مؤكّداً على أنه إنسان وبشر عادي طبيعي... رغم... أما اعتباره صلوات الله عليه وآله موجوداً أعلى من سائر البشر، فقد الاعتقاد بذلك فور وفاته»

وباستطلاع تاريخ التيار المعالي استنتج أنّ كثيراً من روايات المعاجز والخوارق والمقامات العظيمة عليهم السلام هي من وضع الغلاة.

أما السؤال الذي لم يورد له المؤلف جواباً، فهو: ما هو معيار الفوقية وغير الطبيعية للنبي وآله صلوات الله عليه وعليهم؟ و هل أنّ كل أمرٍ غير عادي وغير طبيعي لفرد من أفراد البشر يُعدُّ غلوّا؟ فإذا كان ثمّ إنسان صاحب علم و معلومات كثيرة جدّاً، أو كانت له ذاكرة حادّة للغاية، أو إذا كان ذا قدرة وطاقة جسمانية استثنائية، فهل يمكن اعتباره فوق مستوى البشر الآخرين؟!

لقد نسب القرآن المجيد في موارد عديدة أموراً غير عادية إلى الأنبياء... مثل: ولادة النبي عيسى بن مريم من غير أب، وكذا تكلمه في المهد صبيّاً، وادّعائه النبوّة حين ولادته، أو في اليوم الأول في ولادته عليه السلام. وكذا تشرف النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى النبوّة في صباه. وكذا القدرة على التكلم مع الحيوانات ومعرفة منطقها من قبل النبيَّين داود و سليمان عليهما السلام، أو شفاء المرضى و إحياء الموتى من قبل النبي عيسى عليه السلام، و شفاء الأعمى (يعقوب عليه السلام)

بواسطة قميص ابنه النبيّ يوسف عليه السلام، وكذا تسخير قوى الطبيعة بواسطة الريح للنبي سليمان عليه السلام... وهذه النماذج بمثابة موارد تشير إلى استثنائية أشخاص وحالات قد ذكرت في القرآن الكريم و قصد بها ونسبت إلى الأنبياء والمرسلين...

ولكنّ هذه الأُمور والحالات غير العادية لم يختصّ بها الأنبياء، بل إنّ ثمّ موارد استثنائية عديدة نسبت إلى غير الأنبياء أيضاً، مثل: نزول طعام الجنة على السيدة مريم بنت عمران عليها السلام، وكذا تكلم الملائكة مع السيدة سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، وكذا القدرة الجسمانية غير الطبيعية لـ(ذوالقرنين)، وكذا إحضار عرش بلقيس من منطقة إلى منطقة بطرفة عين من قبل (آصف بن برخيا)، وكذا النوم واليقظة بعد ما يزيد على ثلاث مئة سنة من قبل (أصحاب الكهف)... وعليه؛ فهل أنّ وجود هكذا مسئلة غير عادية مما ينسب إلى بعض الأشخاص يُعدّ مغالاة من صناعة المغالين؟!

ويعرّف المؤلّف الغلوّ بأنّ أول ملامحه في العهد الإسلامي تجسّد في الاعتقاد بعدم موت شخص و إخفاء نفسه عن أعين الناس، كما هو مذهب الكيسانية القائل في محمد بن الحنفية... فعرف هذا المعتقد بين السواد الاعظم للمسلمين بكونه غلوّاً، فيما عُرف القائلون به بأنهم (المغالون) و(الغلاة).

والمسألة التي ينبغي ملاحظتها هنا، هي أن الفرق بين أن نقول بالخلود وعدم الموت لشخص ما، وأنه لن يموت.. وبين أنه حيٌّ ولم يمت... بل إن مفهوم الغيبة متفاوت عن مفهوم الخلود... وهذا التمايز والتفاوت لم يقل به المؤلف.

والأمارات التي يعرضها المؤلّف للغلوّ، هي من قبيل الاعتقاد بأنّ اَفراداً ما لهم علم غير محدود وعلم بالغيب وقدرة على التصرف بالموجودات... ولكي ندقّق ونستنتج طبيعة مدّعَى المؤلّف فيما يرتبط بالغلاة والمغالاة... يلزمنا ـ بدءاً ـ تفسير مفهوم الغلوّ... فما هو مفهوم الغلوّ؟ ولما ذا لعن الأئمة عليهم السلام الغلاة؟

الغلوّ لغةً هو تجاوز الحدّ، وارتفاع معنىً غير المعنى الطبيعي للشيء والحالة. وفي كتاب (الزينة) لأبي حاتم الرازي الذي اتّخذه المؤلف مرجعاً، ورد في معنى الغلوّ:

الغلوّ كل تجاوز للحدّ، وفي الاعتقاد، يعني: الاعتقاد بصفة ما غير لائقة بالموصوف أو لم يكن جديداً بها... كالإيمان بنبوة شخص ليس بنبي، أو ألوهية شخص، وهو لا ريب ليس بإله.

وقد أورد في القرآن نموذجين ـ في آيتين ـ ومفردتين للغلوّ (النساء / ١٧١ و المائدة / ٧٧) وخوطب بهما النصارى، حيث اعتبروا مخلوقاً إلهاً... وهكذا عدّ البعض من الضالين عن العقيدة الحق، حيث شبّهوا أمير المؤمنين بالنبي عيسى عليه السلام كما في بعض الروايات بهذا الصدد.

والغلوّ والغلاة في الاصطلاح بين بعض من يسمّون شيعة وكذا المخالفون لهم استعمل في معنيين متفاوتين. فعند أهل السنّة؛ أطلق الغلوّ على جماعات يتشيّعون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما في كتاب (الكيسانية في التاريخ والأدب) تأليف وداد القاضي حيث قالت: «أطلق عنوان الشيعة على جماعتين عاشوا في القرن الأول للهجرة: جماعة معتدلة قدّمت علياً على عثمان، و جماعة تبعوا عبدالله بن سبأ، عدّوا عليّاً وصيّاً و خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله؛ وهذه الجماعة الثانية قالت بالغلوّ في شأن علي». وفي (ميزان الاعتدال) للذهبي ورد بخصوص أبان بن تغلب: «كل من أساء القول في عثمان في القرن الأوّل وتبرّأ من طلحة والزبير ومعاوية، كان يُطلَق عليه: شيعي مغالي، وفي زماننا (القرن السابع) يقال لمن كفّر معاوية وطلحة والزبير وتبرّأ من الشيخين: شيعي غالي» (ميزان الاعتدال للذهبي، ج ١، ص ٥).

إن اصطلاح (الشيعي المغالي) المرتبط بأبناء العامّة... مختلف عما هو وارد في اصطلاح الشيعة، وهو بعيد غريب عن التشيع... وعليه؛ فقد أطلق في تراجم العامّة عنوان المغالاة والمغالي على كلّ شيعي، أي: على كل فرد قائل بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يلزم أن يكون الشيعي قائلاً بألوهية علي عليه السلام أو عروجه إلى السماء.

وقد عُرف في المجتمع الشيعي تيارات مختلفة تحت عنوان (الغلاة) ويعدّ الشيعة أفراد هذه التيارات مغالين وخارجين عن المذهب.

ثم إن اصطلاح الشيعة لا يعرف شيئاً تحت عنون (شيعة مغالون)

وقال أبوحاتم الرازي ـ الذي كان إسماعيلي المذهب ـ في كتاب (الزينة): أوّل من قال بالغلو عبدالله بن سبأ، حيث قال بغيبة وألوهية أميرالمؤمنين عليه السلام. وقد عرف الغلو في التشيع بألوهية الأئمة، أو أن الله تعالى قد حلّ في أجسامهم.

وقال الشيخ الصدوق في كتاب (الاعتقادات): الغلوّ بمعنى الاعتقاد بعدم موت الأئمة وخلودهم وحلولهم و تناسخهم... وبهذا المبرّرات ذهب المغالون إلى الإباحية، حيث عمدوا إلى نسخ بعض الأحكام أو تغييرها.. والوجه المشترك بينهم: الاعتقاد بألوهية الأئمة أو نبوة بعض زعمائهم. ولقد كان تأكيد الأئمة عليهم السلام على الفصل بين الغلاة وبين الشيعة والتشيّع بهذا الدليل

والوثيقة الأخرى التي اعتمدها المؤلّف أبيات شعر لإسماعيل الحِميَري الذي كان شاعراً معروفاً في زمان الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ كان قائلاً ـ بدواً ـ بإمامة محمد بن الحنفية، ثم استبصر وتشيع ببركة الإمام الصادق عليه السلام، وقد ورد الحديث في سيرته في كتاب (كمال الدين) للشيخ الصدوق. وقد أنشد شعراً بمناسبة استبصاره وتشيعه وقال: «كنت أقول بالغلوّ و اعتقد غيبة محمد بن الحنفية». فاعتمد المؤلّف هذه العبارة وأشار إلى أن الغلوّ هو الاعتقاد بعدم موت الأئمة عليهم السلام وخلودهم... في حين أنّ وداد القاضي أوردت في كتاب (الكيسانية في التاريخ والأدب) أنّ الكيسانية لدى موت محمد بن الحنفية ادّعى اتباعه: «شبّه لهم...» أي ذات الشبهة التي وقع فيها النصارى إزاء النبي عيسى عليه السلام، أي أنهم تصوّروا أنّ محمد بن الحنفية قد مات في حين أنه لم يمت، وهذا معتقد آمن به الكيسانية... ومع ذلك لا يسع الاستنتاج بأنّ «السواد الأعظم» من المسلمين كان يقولون بالغلوّ؛ بمعنى الاعتقاد بعدم موت أحدٍ، كما أن وداد القاضي لا تذهب إلى تشيع السيد الحميري، أو تنسب الشعر المشار إليه إليه ... وعليه؛ لا يمكن اعتماد قول فيه مناقشة واستنتاج القاعدة القائلة بأن الغلوّ يعني الإيمان بعدم موت أحد.

وبالنظر إلى معنى الغلوّ، ينبغي القول إنّ المؤلف قد أخطأ في توضيح معنى الغلوّ، بمعنى أنّ مجرد الاعتقاد بحياة أحد وغيبته غلوّاً. بل إن ما عُرف عن الغلوّ هو الاعتقاد بالخلود والحلول أو ألوهية إنسان، كما تقول الكيسانيّة في تشبيه الأئمة بالله عزّوجلّ...

كما أنّ الغلاة كانوا يفعلون شيئاً؛ إضافة إلى ذلك، وهو التشريح وتغيير الأحكام المنجرّ إلى الإباحية...

معنى و مفهوم التفويض:

تناول المؤلّف في كتابه معنى التفويض، واستخرج معنى التفويض بناءً على بعض المتون الروائية وكتب المفوّضة. وما يرد من إشكال على منحى المؤلّف هو أنّه لم يعرض أسلوباً واضحاً في نقد المتون الشيعية أو كونه أولى بمعيار شخصي لصحّة أو عدم صحّة الاستنتاج، أو كونه جديراً بالاعتماد على مطلب أو رواية... مضافاً إلى أنه في بعض الموارد أشار إلى كتب ليست داخلة تحت عنوان (المصادر الشيعية) ولا تُعدُّ منها، مثل كتاب (الهداية الكبرى) للحسين بن حمدان الخصيبي، أو كتاب (الهفت) المنسوب للمفضّل بن عمر.

والمعنى الذي عرضه المؤلّف للتفويض هو أنّ الله تعالى قد فوّض جميع أُمور الخلق والرزق والموت و الحياة للأئمة عليهم السلام، و أنّ كل ما يحصل في عالم الوجود صيره منوطاً بإرادتهم، كما خوّلهم تعالى بنسخ الأحكام وتقعيد الحلال والحرام، فأضحوا قادرين على تحليل الحرام وتحريم الحلال... وأنهم عليهم السلام عالِمون بكل شيء، و يتكلّمون بجميع لغات الخلائق بما في ذلك لغات الحيوانات...

إنّ التعريف الذي قدّمه المؤلف للتفويض هنا، بعضه صحيح وبعضه الآخر غير صحيح، إذ خلطه بمسائل أخرى ـ لاعلاقة لها بالأمر ـ ولكي تعرف مَن هم المفوّضة، وما هو تعريفهم للتفويض، ولماذا عارضهم الأئمة عليهم السلام... يلزمنا الرجوع إلى المصادر الاعتقادية الشيعية.

قد عرّف الشيخ المفيد في كتابه (تصحيح الاعتقاد) المفوّضة وبيّن معتقداتهم: «المفوضة صنف من الغلاة. و قولهم الذي فارقوا به مِن سواهم مِن الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة و خلقهم و نفي القدم عنهم و إضافة الخلق و الرزق مع ذلك إليهم، و دعواهم أن الله سبحانه و تعالى تفرد بخلقهم خاصة، و أنه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه و جميع الأفعال.» (تصحيح الاعتقاد، للمفيد، ص ١٣٣-١٣٥).

وكذا العلامة المجلسي في (بحارالأنوار، ج ٢٥) ذكر عدة معاني للتفويض. فقال فيما قال: إن كان معنى التفويض أن الله قد خلقهم ـ الأئمة عليهم السلام ـ ثم فوّض اليهم جميع الأُمور، فهذا كفر صريح ومخالف للعقل والنقل... أما إذا كان معنى التفويض في أُمور الدين والأحكام، فيمكن القول فيه بمعنيين: الأوّل أنهم يحرّمون ويحلّلون برأيهم وظنّهم وكيفما شاؤوا، فهذا مخالف للعقل والنقل أيضاً، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر ويترقّب الوحي أياماً ليجيبه عن سؤال ـ مثلاً ـ وجّه إليه من أحد الأشخاص. أما أن يكون موكّلاً في بعض الأحكام والحدود، مثل عدد ركعات الصلاة والنوافل والصيام وكيفية تقسيم الإرث، ثم إنه تعالى يمضي ما حدّد الرسول، فهذا حريٌّ أن يُقبل، وهذا ضمن آفاق القول بأن الله تعالى قد أوكل لنبيّه أمر الدين. وقوله سبحانه و تعالى: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) إشارة إلى هذا المطلب. فيما المعنى الآخر للتفويض، فيتمثل في كونهم عليهم السلام مفوّضون في أمر هداية وتربية الخلق، وأنّ على الناس أن يرجعوا إليهم لمعرفة الأحكام الإلهية، وذلك مصداق المأثور عنهم: «نحن محلّلون لحلاله ومحرّمون لحرامه» وهذا المعنى يطابق العقل والنقل.

وعلى هذا؛ إذا ورد في روايات أنّ أمر الدين قد فُوّض إليهم عليهم السلام بمعنى إيكال أمر هداية الناس، وليس بمعنى صلاحيتهم في نسخ كل حكم كما يريدون، أو يحلّلون الحرام ويحرّمون الحلال بما يشاؤون. وعليه؛ بالنظر إلى التعاريف المذكورة أعلاه، يكون التعريف الذي أورده المؤلّف مخدوشاً، كما أشير إلى ذلك في مبحث الغلوّ.

إن التمتع بقدرات وصلاحيات وعلم استثنائي ـ لم يطلع الله تعالى عليه غيرهم عليهم السلام ـ لا يعني حيازتهم صفات أعلى من صفات البشر، كما لا يجرّنا إلى الغلوّ أو التفويض... بل إنّ الدليل الأصل للانحراف ثم طرد الغلاة والمفوّضة أنهم وصفوا أئمة الهدى عليهم السلام بصفات الأُلوهية أو صفات الربوبية، أو عدّوا كمالاتهم وعظيم وجودهم على سبيل الاستقلال عن الله عزّوجلّ. فكان أكثر هؤلاء الغلاة والمفوّضة قائلين بالإباحية وعدم الالتزام بأداء الاحكام والعبادات وإقامتهما.. ولهذا؛ وجدنا الأئمة عليهم السلام قد تبرّؤوا منهم ولعنوهم..

وبعد بيان تعريف الغلوّ والتفويض، عمد المؤلّف إلى ذكر زعماء المفوّضة، فذكر ـ أول ما ذكر ـ المفضّل بن عمر باعتباره زعيم المفوّضة، وعدّه من أوّل أتباع أبي الخطّاب، وهو من الغلاة المعروفين وأول من وصف بايمانه بهكذا عقائد باطلة..

ولقد ورد في المفضّل مدح وذمّ. إذ اتّهمه النجاشي وابن الغضائري بالغلوّ، وقالا: قد زيّف الغلاة كتبه... أما المفيد والطوسي فقد وثّقاه وعدّاه من خواصّ أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. في ما نقل عنه الشيخ الصدوق ـ وهو من يعرف بالحساسية البالغة تجاه الغلاة والمفوّضة ـ جملة روايات في كتابه (من لا يحضره الفقيه) بل بنقله وتصريحه هذا، يكون جميع رواة ذلك الكتاب ثقات ومحطّ اعتماد برأيه. والروايات التي نقلها الكشّي بخصوصه تضمّنت المدح والذمّ له، وإن كان أكثرها ذمّاً غير ثلاثة موارد ضعيفة... ومن خلال التحقيق وملاحظة مجموعة الروايات الواردة فيه، لا يمكن إبداء الرأي القاطع بخصوصه بيسر، فثمّ روايات تشير إلى وجود علاقات له مع الخطابية، ولكن نوع هذه العلاقات غير واضحة. وقد ورد في كتاب الكشّي أنّ جماعات من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام شكوا إليه الغلاة وأتباع أبي الخطّاب، وقالوا: عرّف لنا شخصاً ترجع إليه المعرفة الأحكام، فأجابهم الإمام عليه السلام بالقول: «قد أقمت عليكم المفضل فاسمعوا منه واقبلوا عنه...» (رجال الكشي، ص ٣٢٨) بمعنى أنه عليه السلام قد عرّف المفضّل للمؤمنين لمواجهة الخطّابيّين...

وثمَّ رواية جديرة بالاهتمام بهذا الصدد أوردها المجلسي في (بحار الأنوار، ج ٢٤، باب ٦٦، ص ٢٨٦) وأشير اليها في (رجال الكشّي) إذ أفصحت الرواية عن أنّ الإمام الصادق عليه السلام كتب للمفضّل رسالة بيّن فيها بعضاً من أقوال وأباطيل الغلاة و التفاوت بينها وبين معارف الأئمة عليهم السلام. ويفهم من مقدّمة هذه الرواية ـ الرسالة ـ أن الإمام الصادق عليه السلام قد كتبها إجابةً على اسئلة كان المفضّل قد كتبها ووجهها إليه .. ويفهم من مضمونها أيضاً وفى سائر الروايات المشابهة أن المفضل كانت له مراودات مع بعض الغلاة بأمرٍ من الإمام نفسه لغرض إرشادهم إلى جادة الصواب.. ومن هنا وقع اللبس لدى البعض في أنّ المفضل كان فى جملة المغالين.

ولكن من حيثية ومنظار آخر؛ يمكن توجيه النقد إلى كلام المؤلف، بخصوص سراية آراء المفوضة إلى الكتب الروائية الشيعية. فإن افترضنا أنّ المفضل كان زعيماً معروفاً لتيار الخطّابية. ولكنّ بين روايات الفريقين ثمّ سلسلة طبقات الأساتذة والتلاميذ... فمثلاً؛ يُحدّد الراوي للرواية وعمّن روى، أو عن أيّ نسخة أخذ الرواية ونقلها. و(الفهرست) للنجاشي يشير إلى كلّ كتاب وعن أيّ طريق تكون الرواية أكثر اعتباراً... وليس الأمر أن يعمد كلّ شخص الى أيّ كتاب ثم يضيف عليه المطالب من عنده؛ فلا يلتفت إليه أحد. وبخصوص المفضل بن عمر، قال النجاشي إنه تمّ التلاعب بكتبه، ولكن هل وقعت الإضافات على الكتب الروائية الشيعية؟ محل بحث.

وأحد الكتب التي كانت محطّ استناد المؤلف؛ كتاب (الهفت) المنسوب إلى المفضل. وقد حقق وطبع هذا الكتاب من قبل الطائفة الإسماعيلية وأحد الكتّاب الإسماعيليّين، وقد صرّح هذا المؤلف بأنّ هذا الكتاب لم يكتبه المفضل، بل أحد مؤلّفي طائفته؛ هذا بالإضافة إلى أنّ مطالب هذا الكتاب لم يكن ضمن المصادر الروائية الشيعية ولم ينقل عنه محقق شيعي...

بالنظر إلى هذه النقاط؛ لا يمكن القطع والتصريح بغلوّ المفضل بن عمر أبداً، كما لا يسعنا وضع اسمه في قائمة تيار المفوّضة، مضافاً إلى أنّ بعض علماء الرجال قالوا بأنّ الغلاة قد حرّفوا كتبه، دون أن يكون هو من وضع الحديث فيها. مثال ذلك؛ ثمّ رواية لأبي الخطاب أو المغيرة بن سعيد عن الإمام الصادق عليه السلام تصرّح بأنه كان يدسّ الروايات في كتب أصحاب الأئمة عليهم السلام، في حين أننا لم نجد نصّاً مشابهاً يوجّه هذه التهمة للمفضل من قبل الأئمة المعصومين سلام الله عليهم.

وإذا ما دقّقنا النظر في الروايات التي نقلها المفضّل، لا سيما ما يتعلق بباب الحجّة في موسوعة (الكافي) الشريف، وجدنا أكثرها مطالب لا تشير ـ من قريب أو بعيد ـ إلى أنه كان يقول بالتفويض. ولو رجعنا إلى كتاب (معجم رجال الحديث) للسيد الخوئي، لاحظنا فهرستاً للرويات الواردة عن كل راوٍ من رواة الكتب الأربعة، وإذا ما مررنا على مواضيع هذه الروايات ودقّقنا في متونها، لم نجد مطلباً صريحاً فيما يرتبط بعقيدة

التفويض الباطلة (اِذا ما اعتبرنا ركن التفويض في الخالقية والرازقية) بشكل خاصّ ومباشر عن المفضل وقد نقل ضمن الكتب الأربعة..

وبعد إيراد المؤلّف اسم المفضل بن عمر تحت عنوان مؤسس الفرقة المفوضة وجدنا يورد اسم محمد بن سنان الزاهري باعتباره الزعيم التالي للمفضل لفرقة المفوضة.. وهو الذي كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام..

وقد وثّقه بعض علماء الرجال مثل الشيخ المفيد والطوسي. وجاء في شرح سيرته بأنه كان يميل اِلى الغلاة ولكنه لم يصح منهم ولم يثبت، ولهذا؛ نسب اِليه بعض الرجاليين مثل النجاشي وابن الغضائري. وورد في (الرجال) للكشي عن قول صفوان بن يحيى: «فقصصناه حتى ثبت معنا». وهذه العبارة لم ينقلها السيد المدرسي مع الأسف، مع أنها مصرّحة بأنه كان يميل اِلى الغلاة ولكننا لم نتركه فبقي ثابت القدم... ولا قرينة تبرّر لنا القول بأنّ هذه العبارة قد أضيفت فيما بعد.

والقضية الأخرى التي يجب التذكر بها هنا هي أن في كتاب الكشي ورد ان محمد بن سنان كان يقول في المسجد: من أراد أن يسأل عن المعضلات، المسائل العقائدية العسيرة فليأتني، وإن اَراد أن يسأل عن الحلال والحرام؛ فليأتِ صفوان بن يحيى. ولقد كان الأئمة عليهم السلام يحرصون كلّ الحرص في تلك الفترة أن يعلّموا الناس مسائل الاحكام والقضايا العقائدية، ولم تكن المسائل المعرفية المعقدة بالشيء والذي يمكن أن يقال ويذكر لأيٍّ كان وفي الشوارع والازقّة. وما نقل عن أفرادٍ مثل جابربن يزيد الجعفي والمفضل ومحمد بن سنان أو كميل بن زياد؛ كان فيه التصريح والإشارة اِلى أنّهم أصحاب أسرار الأئمة... ولم يكن مقرراً أو متاحاً أن يُحدّثَ الجميع بالمسائل المعرفية العميقة.

وعلى افتراض أن نعدّه من المغالين، فإنه لا دليل على أنه أصبح نائباً أو حلّ محلّ المفضل أو كانت تربطه به علاقة تنظيميّة، ولا يمكن القول بوجود هكذا علاقة بين الرجلين لمجرّد وجود بعض التشابه بين بعض ما رويا... كما أنه لم ترد أيّ اِشارة اِلى أنّ محمد بن سنان كان رئيساً وزعيماً للغلاة في زمانه..

وأمّا محمد بن نصير النُميري الذي جعله المؤلف نائباً للمفضل ومحمد بن سنان؛ فهو مَن ادّعى النيابة عن صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه كذباً، ثم ادّعى النبوّة حتى صدر عن الناحية المقدسة اللعن والتكذيب له... وقد كان مشهوراً بالفسق والإباحية وأسّس فيما بعد ما يعرف بالفرقة النصيرية، ولكن قد خلت الكتب الرجالية والتاريخية عن ملاحظة أيّ رواية ونقل يفيد وجود اَدنى علاقة بينه وبين المفضّل أو محمد بن سنان.. ولا يعرف كيف تسنّى للمؤلف أن يجعل النصيرى نائباً وخلفاً لهما، والحال أنّ أحداً من الرجاليين والمؤرخين لم يدّع القول بالإباحية للرجلين؛ كما خلت المصادر الشيعية الروائية من النقل عن النصيري. ثم عدّ المؤلف الحسين بن حمدان الخصيبي نائباً وخلفاً للنصيري، وأنّ كتاب (الهداية الكبرى) أهمّ مصادر الفرقة المفوّضة.

وبناءً على نقل النجاشي وابن الغضائري؛ فإنه كان من الغلاة، ويبدو أنه كانت له علاقات مع الحكام العباسيّين.. ومع ذلك ليس ثمّ ما يثبت وجود علاقة بينه وبين محمد بن نصير.. ومع أنّ العلامة المجلسي قد أورد في (بحارالأنوار) بعض روايات كتابه، اِلّا أنّ هذا الكتاب يبقى مفتقراً اِلى القيمة المرجوّة، لا سيّما وأن كتب المتقدمين قد خلت من الرواية والنقل عنه.

والمسألة التي ينبغي الالتفات إليها، أنّ زعماء الغلاة والمفوّضة قد خرجوا عن دائرة التشيّع، وقد عدّهم أئمّتنا عليهم السلام مشركين، وعلى هذا؛ لا يمكن اعتبارهم من جماعة الشيعة أبداً، ولا قول دالّاً على وجود علاقة تنظيمية ترتبط بين هؤلاء الأربعة بعنوانهم رؤوس المفوضة، وإنما ادّعاه المؤلف بخصوص ناشئ عن الحدس والظنّ المجرّد عن الدليل...

وقضية أخرى، إنه بمراجعة كتب الرجال، مثل (رجال النجاشي) وابن الغضائري يتبيّن أن القرن الرابع الهجري شهد حساسية شديدة تجاه المفوضة وهيكليّة آرائهم وأَفكارهم وأشخاصهم.

فمثلاً كان بعض علماء فم المقدسة، كسعد بن عبدالله الأشعري ومحمد بن عيسى ـ رحمهما الله ـ شديدي الحساسية و التدقيق بهذا الصدد، بل وعمدا اِلى طرد وإخراج

المحدّثين غير الدقيقين في نقل الروايات عنهم من بلدة قم... وهذا التشدّد وصل إلى الحدّ الذي دفع بالشيخ الصدوق إلى توجيه تهمة الغلوّ إلى منكر السهو عن شخص النبي الأعظم المعصوم صلوات الله عليه وآله. ومع هذا التشدّد لا يتسنّى الادّعاء أن كثيراً من مطالب المفوضة والغلاة قد تسرّبت إلى كتب الشيعة دون أن يلتفت أحد إلى ذلك...

ولنشر هنا إلى مسألة خاصة بنسبة السهو إلى النبيّ المعصوم... فقد نقلت أقوال تفصح عن أن الشيخ الصدوق قال لدى إيضاح المرويّ بأنّ النبي ﷺ اعتراه سهو في صلاته: نحن لا نقول بأن النبي يسهو كسهو البشر، وإنما نقول بأن الله تعالى أسهى نبيّه أحياناً ـ في المسائل الجزئية وليس في باب تبليغ القرآن والأحكام ـ لكي يدفع عن الناس النظرة المحتملة إلى النّبيّ وكونه ذا مسحة ربوبية. ويقول الصدوق أيضاً: إن من علامة أهل الغلو أنهم يتهمون مشايخ قم بالتقصير، أي: لكوننا قائلين بسهو النبي؛ فإنهم يتهموننا بالتقصير...

وقد أشكل الشيخ المفيد ـ مفصّلاً ـ على هذا القول وهذه المسألة... إذ قال: علامة الغلوّ أن ندقّق فيما هو الغلوّ ومن هو المتكلّم بالغلوّ، لا أن نتّهم بالغلوّ كل من اتّهم مشايخ قم بالتقصير. (لمزيد الملاحظة، يمكن مراجعة الدراسة التي قدّمها السيد الطارمي في مؤتمر تخليد الشيخ المفيد وما يرتبط باختلافات الصدوق والمفيد).

وينقل المؤلف المحترم أسماء بعض الأفراد الذين نسب إليهم الغلوّ... ولا ريب أنّ بعضاً منهم غلاة حقاً... ولكن ليس من اتفاق بين علماء الرجال على كون جميعهم غلاة ولا يمكن إصرار حكم المغالاة عليهم. ونشير هنا إلى بضعة نماذج:

أحمد بن محمد السياري، ممن روى عنهم الكليني، ونقل عنه بعض النصوص القائلة بحصول تحريف القرآن. وينبغي الالتفات هنا إلى مسألة مهمة، وهي أنّ أفراداً مثل الشيخ الكليني والصدوق قد كانوا رجاليين أيضاً وكانت لهم كتب رجالية، فلم يكونوا ينقلون الحديث عن أيٍّ كان... هذا بالإضافة إلى النجاشي قال بخصوص هذا الرجل: أخبرنا الحسين بن عبيد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى وأخبرنا أبو

عبد الله القزويني قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه قال: حدّثنا السياري، إلا ما كان من غلوٍّ وتخليط. أي: أننا نروي عن السياري إلّا ما كان يرويه مما هو غلوٌّ وتخليط. (رجال النجاشي، ص ٨٠).

فهذا المطلب يشير إلى أن مسلكاً خاصّاً كانت المصادر الحديثية في تلك الحقبة تمتاز به، بل إن كثيراً من الأحاديث المتوفّرة ـ إذ ذاك ـ قد حُذفت و عُبث بها بداعي الحساسية الشديدة تجاهها وتجاه رواتها. والشيخ الصدوق في (كتاب التوحيد) قال في أحد أبوابه: عندي روايات في هذا الباب؛ كلّها صحيحة، ولكن حيث احتمل عدم التفات البعض لمعناها الصحيح، فإني لا أُنقلها (توحيد الصدوق، باب ما جاء في الرؤية، ص ١١٩)

ونموذج آخر: جعفر بن محمد بن مالك الذي ضعّفه النجاشي وابن الغضائري ولكن هذا النجاشي نفسه يقول: إني لأعجب كيف روى أساتذتنا ـ أبوعلي بن همام وأبوغالب الزراري ـ عنه. وهذا المطلب بحدّ ذاته يشير إلى أنّ ثم أقوالاً متعددة ومختلفته بخصوص هذا الرجل، وإلى أنه لم يضعّف من قبل الجميع...

وعن داود بن كثير الرقّي قال الكشي في كتابه: قال أبوعمرو: يذكر الغلاة أنه من أركانهم، وقد يروى عنه المناكير من الغلو، وينسب إليه أقاويلهم. ولم أسمع أحداً من مشايخ العصابة يطعن فيه. (اختيار معرفة الرجال، الطوسي، ج ٢، ص ٧٠٨).

وعن أبي بصير، نقل عن الكشي في كتابه مطلباً عن قول علي بن حسن الفضّال: علي بن حسن الفضال: فطحي المذهب و لكنه ثقه، وكان له كتاب في الرجال، وهو غير موجود، ونقل عنه في كتاب الكشي منقولات لم ترد في كتاب آخر، من جملتها هذا المطلب: «فسألته: هل يُتَّهم بالغلوّ؟ قال: أمّا الغلوّ؛ فلا، لم يُتّهم؛ ولكن كان يخلّط» (اختيار معرفة الرجال، الطوسى، ج ١، ص ٤٠٤ و ٤٠٥).

ثم الكشي نفسه يقول في موضع آخر: أبوبصير من أصحاب الإجماع، مع أن كتب الرجال تضمنت ذكر رجلين تحت مسمى (أبوبصير): أبوبصير المرادي وأبوبصير الأسدي... و إن الاختلاف في نسبة الروايات إلى أحدهما على قدر كبير في الأهمية إلى

الحدّ الذي حدا بعلماء الرجال إلى تحرير عدة رسائل بهذا الصدد. ويبدو أن نقل هذا القول عن الكشي، بخصوص أبي بصير المرادي. وقال النجاشي عن أبي بصير الاسدي: ثقة وجيه. وعلى أي حال، فإن الغاية هي أن نشير إلى أنه ليس من السهل إصدار الرأي في جميع الأفراد الذين ذكرهم المؤلف في هوامش الكتاب ... والأمر الممكن هو القول بوجود الاختلاف حولهم..

وبعد تطرق المؤلف إلى الحديث عن تيار الغلوّ، عمد إلى الكلام عن المعتدلين من أصحاب الأئمة عليهم السلام، أي: القائلون بكون الأئمة عليهم السلام علماء أبرار.. فعدّ أهمّ شخصيّتين في هذا المنحى والتيار، وهي عبد الله بن أبي يعفور وأبان بن تغلب.

ولقد ذكرنا في الاقسام السالفة رواية تناولت اختلاف ابن أبي يعفور والمعلّى بن خنيس فيما يتعلق بمقامات الأئمة عليهم السلام، وأشرنا إلى أنّ الاستنتاج الذي انتهى إليه المؤلف من تلك الرواية لم يكن صحيحاً.

والسيد المدرسي اعتبر أنّ أحد شواخص التفويض التشريع في الأحكام، وأن للأئمة عليهم السلام أن يحلّلوا ويحرّموا. والحال أنّ رواية وردت في كتاب الكشّي عن عبد الله بن أبي يعفور بيّنت تعريفه للتفويض وحكت تناقض ابن أبي يعفور..

عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «والله! لو فلقتَ رمّانةً بنصفين، فقلتَ: هذا حرام وهذا حلال؛ لشهدتُ أن الذي قلت حلال حلال، وأن الذي قلتَ حرام حرام. فقال عليه السلام: رحمك الله» (اختيار معرفة الرجال، للطوسي، ج ٢، ص ٥١٨-٥١٩).

وهنا نجد ابن أبي يعفور الذي عدّه المؤلّف من أعلام تيار الاعتدال يقول للإمام الصادق عليه السلام، ويقسم بالله على عقيدته فيه. وأنه لو خلق رمانة نصفين ثم قال بأن نصفاً منها حلال ونصفاً حرام، لقبل منه وسلّم لتشريعه.. والواقع هو إيمان ابن أبي يعفور بأنّ الحلال ما حلّله الإمام والحرام ما حلّله الإمام. وعلى هذا، فإن استنتاج المؤلف من عقيدة ابن أبي يعفور ـ باعتباره رمزاً للاعتدال العقائدي ـ وأنه قائل بعصمة الإمام ليس له قاعدة رصينة...

وقد ارجع المؤلفُ القارئَ في كتابه ـ لمزيد التعريف بآراء ابن أبي يعفور ـ إلى عدة

روايات، ولكنّ ما حدث؛ أنّ هذه الروايات تؤكّد خطل ما ذهب إليه المؤلف بهذا الصدد.

*عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لا يموت الإمام حتّى يعلم مَن يكونُ من بعده فيوصي إليه» (الكافي، ج ١، ص ٢٧٧).

*عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان عليُّ بن أبي طالب عليه السلام عالَم هذه الأُمة، والعلم يُتَوارث، وليس يمضي منّا أُحدٌ حتى يرى مِن ولده مَن يعلم علمه، ولا تبقى الأرض يوماً بغير إمام منّا تفزع إليه الأمة». قلت: يكون إمامان؟ قال: «لا؛ إلّا وأحدهما صامت لا يتكلم حتّى يمضى الأول» (بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٥٣).

وكما نرئ، فإن هذه الروايات لا تعكس عقيدة ما نسب إلى ابن أبي يعفور من القول بأنّ الإمام مجرد عالِم، بل هي تؤكّد بأنه كان يؤمن بكون الأئمة مفترضي الطاعة ولابدّ أن يكون ملجأ الأمة إليهم... مضافاً إلى إيمانه بأنّ الأرض لا يمكن أن تخلو من إمام.

ثم إن الرواية الأخرى التي نقلها المؤلف من الكشي، و هي موضوعة من قبل الغلاة ونسبت زوراً إلى ابن أبي يعفور.. إذ ورد فيها أنّ أحد الأصحاب سأله الإمام الصادق عليه السلام عمّا إذا كان حضر تشييع جنازة عبدالله؟ فأجابه الرجل بالإيجاب وأخبره بحضور جموع كثيرة في مراسم التشييع.. فقال له عليه السلام: «أنك سترى فيها من مرجئة الشيعة كثيراً». (رجال الكشي، ص ٢٤٧).

وقد شرحنا اصطلاح المرجئة، وقلنا: في تلك الحقبة وجرى على لسان الأئمة عليهم السلام أنّ اصطلاح المرجئة يطلق على القائلين بأن خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام قد وقعت بالتأخير (إلارجاء) وكان يذهبون إلى تقديم أبي بكر و عمر عليه.. ولكن الإمام الصادق عليه السلام يقول هنا: إن كثيراً ممن حضروا تشييع جنازة ابن أبي يعفور كانوا فى جماعة المُرجئة، وليس أن جميع مَن حضر التشييع مِن المرجئة. والمؤلّف يشير إلى أن الذين كانوا مختلفين مع ابن أبي يعفور قد وضعوا هذه الرواية. فنقول:

أولاً: ما وجه العلاقة بين هذه الرواية وبين ابن ابي يعفور؟ وهل يمكن نسبته إلى المرجئة بناءً على هذا الأساس؟

وثانياً: كيف استنتج المؤلف أنّ الغلاة هم مَن وضع هذه الرواية؟

قد عدّ المؤلف أبان بن تغلب من جملة المميّزين في تيار الاعتدال. وقد كان أبان بن تغلب فقيهاً لامعاً، وكان الإمام الصادق عليه السلام كثيرالحب له، وإن أباناً هذا كان جليل القدر من علماء الشيعة، فينقلون عنه ويردون أقواله ويستنتجون أنه كان يذهب اِلى أن الأئمة مجرد علماء أبرار..

ولكن الحكاية اَساساً هي رجلاً حضر مجلس أبان وسأله عن عدد الذين استشهدوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في معركتي صفين والجمل مع أميرالمؤمنين عليه السلام ؟ فأجابه أبان بالقول: وهل تريد أن تعرف مقام وفضل علي عليه السلام ممن اتبعوه من الصحابة ؟ ولكننا نعرف فضل هؤلاء لمشايعتهم اَمير المؤمنين عليه السلام واتّباعهم له. ثم أضاف أبان قائلاً: الشيعة هم من شايعوا علياً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.. والشيعة اليوم من يشايعون جعفر بن محمد عليهما السلام. (رجال النجاشي، ص ١٢).

فاستنتج المؤلّف من هذا الجواب أن أبان بن تغلب لم يكن يؤمن بسائر الخصوصيات المعروفة التي تقول بها الشيعة للإمام، من قبيل علمه بالغيب والعصمة. والحال أنه بمجرد رواية واحدة لا يمكن إبداء الرأي و الحكم على مجموع عقائد شخص.. فثَمَّ روايات عديدة منقولة في المصادر الروائية عن أبان، وهي تردّ هذا المنحى من التفكير وإبداء الرأي في أبان...

فمثلاً؛ عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة ربي، جنة عدنٍ غرسها ربي بيده، فليتولَّ عليّ بن أبي طالب و ليتولَّ وليه وليعادِ عدوّه و ليسلّم للأوصياء من بعده، فإنهم عترتي من لحمي ودمي؛ أعطاهم الله فهمي وعلمي.. اِلى الله اَشكو من اُمّتي المنكرين لفضلهم والقاطعين صلتي...». (بصائر الدرجات، ص ٧٠).

وشاهد آخر مما نقله المؤلّف بخصوص الفضل بن شاذان النيشابوري، أنه ادّعى أن الفضل كان يذهب اِلى كون الإمام إنساناً عادياً ومطلعاً على الأحكام وأنّ التفسير الصحيح للقرآن عنده، وأنّ الأحاديث الصحيحة الواردة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في فضله تشير اِلى جليل قدره.

وشاهد المؤلف رواية وردت في كتاب (عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠) حيث نقل الفضل بن شاذان عن محمد بن إسماعيل عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «الأئمة علماء صادقون مفهّمون محدّثون»، فالرواية هذه تشير إلى تفهيم الأئمة وتحديثهم ... والمحدّث من يسمع كلام الملائكة، وقد أشير إلى هذه المسألة وحقيقتها في القرآن الكريم، كالسيدة مريم بنت عمران أو سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام حيث كانتا محدثتين، أي: كانتا تسمعان صوت و كلام الملائكة وتحدّثهما، وقد عبّر في روايات المعصومين عليهم السلام عن هذه الحقيقة بـ (النكت والنقر). وعليه؛ لا يمكن القول أبداً بأنّ الفضل بن شاذان كان يرى في أهل البيت عليهم السلام مجرّد علماء عادّيين.

إن الإشكال ـ العريض ـ الذي يرد في الكثير من أقسام هذا الكتاب وعلى المؤلّف، هو أنه يفتقر إلى أي معيار وملاك في قبول ما ورد في الروايات التاريخية.. و إنما هو يستند ـ لدى استنتاجاته و إبداء رأيه ـ إلى ما يحلوله من النصوص، ولعلّه يعمد إلى الاستنتاج والرأي على عكس ما تنطق به النصوص، والقارئ النبيه سرعان ما يلتفت إلى هذه الحقيقة وإلى خطئه الجسيم. ونراه تارة يجتزئ الرواية الواحدة، فينتهي إلى تغيير مسارها وغايتها... وسنعمد إلى تفصيل القول في منهجيته العاطلة فيما يلي من أقسام هذه الدراسة، إن شاء الله تعالى.

other titles. Moreover, this title also establishes his mastership and his immediate .succession to the Holy Prophet (s.a.w.a.) without any gap

Keywords: Ascension (meraaj); the Messenger of Allah (s.a.w.a.); excellences of Ali .(.(a.s.); Ameerul Momineen (a.s.); Jibraeel (a.s

2

Al-Sadidi Al-Hilli's Efforts in documenting the written heritage: Nahj Al-Balaghah as a example

Dr. Qasem Shahri

Dr. Reza Arab Al-Bafrani

Sheikh Qais Bahjat Al-Attar

Abstract: Al-Hilla Al-Fayhaa is one of the famous cities in the Islamic civilization. In some eras, it was a center of science, culture and civilization, and its scholars had a .leading role in the Islamic scientific heritage

Among the most important efforts of the scholars of this inhabited city is the preservation, control and dissemination of the hadith heritage - especially Nahj al-Balaghah and the Sahifa al-Sajjadiyah and other sources of the Imami Shiite heritage -. Al-Sadidi Al-Hilli considers one of the forgotten scholars whose efforts in the field of the noble approach have been forgotten. This article aims, with its descriptive-analytical approach, to study the efforts of this scholar in the noble approach, and .to show what distinguished him in controlling and transcribing Nahj al-Balaghah

Key words: Nahj al-Balaghah, al-Sadidi al-Hilli, al-Sahifa al-Sajjadiyah, Ibn al-.Sakoon al-Hilli

Analysis of the Excellences of Ali (a.s.) in the Ascension of the Holy Prophet (s.a.w.a).

Authors: Aliasghar Hadadian Naayeni[1], Amir Tauheedi[2], Sayed Mohammad Razavi[3]

Summary: The ascension of the Holy Prophet (s.a.w.a.) was a material and spiritual journey from the earth to the seven heavens and beyond i.e., the position of proximity **"or even nearer"** and the purpose of this visit was to show him (s.a.w.a.) the greatest signs of Allah the High as stated in the 1st verse of Surah Israa (17) and the 18th verse of Surah Najm (53). During this journey, the Messenger of Allah (s.a.w.a.) came across several great and different kinds of subjects and observations like seeing the divine Prophets (a.s.) and angels, the tree of Tooba and the Sedrah al-Muntaha, heaven, and hell, etc. Among all these, a major part of contents of the Prophet's (s.a.w.a.) ascension was his seeing and listening the excellences and merits of Ali (a.s.). The current research while deriving these excellences from the traditions related to the ascension in the method of qualitative research and analysis of the information has accumulated them, and from the explanation of their qualitative aspect using the "method of analytical description", has classified them in 3 parts: statements, writings, and manifestations. He has also categorized them vis-à-vis their relations and prioritized them as related to Allah, related to the Messenger of Allah (s.a.w.a.) and related to the people. Therefore, despite the excessive importance and the extraordinary quantity and quality of these excellences, the conclusion is that one of the most important aims of the ascension of the Holy Prophet (s.a.w.a.) was to explain and convey these excellences and positions and generally, this conveyance is enumerated as one of the major aims of the prophetic ascension. At the end, this research proceeds to explain one of the excellences of Ali (a.s.) and that is, his title "the Chief of the Faithful" (Ameerul Momineen). The title of "Chief of the Faithful" was restricted to only one individual and is his most famous one among all the

1. Ph.d. Student, Group of Quran and Hadis Sciences, Islamic Free University, Tehran, Iran. s.hadadian110@gmail.com

2. Assistant Professor, Group of Quran and Hadis Sciences, Islamic Free University, Tehran, Iran (Author and In-charge), amir_tohidi@yahoo.com

3. Assistant Professor, Group of Quran and Hadis Sciences, Islamic Free University, Tehran, Iran. dsmrazavi@yahoo.com

article also extensively examines the concept of "istithna" (exception) from the perspective of the science of hadith. Furthermore, it delves into Ibn al-Walid's interpretive narrations found in available hadith sources. The author identifies the hadith scholars in this group of narrations, illustrates the reconstruction of his book of Tafsir (interpretation), and analyses the typology of these hadiths using two .criteria, thematic and practical

Keywords: Ibn al-Walid, Muhammad ibn al-Hasan (d. 343 AH) - Biography and Works; Shiite Scholars - Fourth Century; Science of Hadith; Early Shiite Hadith .Scholars in Qom; Interpretive Hadiths; Book of Tafsir - Reconstruction and Analysis

(Poems about Mastership (Manzoomah Fi al-Welaayah

Author: Ayatollah Sayed Mohammad Hasan Mirjahaani

Abstract: In this discourse, a brief biography of Ayatollah Sayed Mohammad Hasan Mirjahani Isfahani (1319-1413 AH) is provided, followed by approximately 500 verses from his poetic work titled "Al-Durr Al-Maknunah Fi Al-Imamah Wa Al-Imam Wa Sifatuh Al-Jami'ah" (The Hidden Pearls in Imamate, the Imam, and His Comprehensive Attributes). In this poetic composition, Sayed Mirjahani conveys various topics in a rhymed form, including divine wisdom in Imamate and divine selection therein, the exclusivity of Imamate among the Prophet's family (Ahl al-Bayt) (a.s.), the necessity of recognizing the Imam (a.s.) and its benefits, the rejection of exaggeration concerning the Imams (a.s.), the roles of the Imams (a.s.) in creation, the characteristics of the Imams (a.s.), the place of Imamate teachings in the fundamentals of religion, the comprehensive knowledge of the Imams (a.s.), the perfections, virtues, and merits of the Imams (a.s.), the infallibility of the Imams (a.s.), the biography and noble ethical traits of the Imams (a.s.), and Quranic verses .(.related to the Imams (a.s

Keywords: Al-Durr Al-Maknunah (poetic composition); Imamate - Rational Arguments; Mirjahani, Sayed Mohammad Hasan - Biography and Works; Affairs of .the Infallible Imams (a.s.); Religious Poetic Compositions

and Toosi, and the teachers of their traditions being the same, without any doubt, it .(.is the work of Kulaini (r.a

Keywords: Rauzah al-Kafi; Attribution of Rauzah al-Kafi to Kulaini (r.a.); Mulla Khaleel Qazweeni

6

SUMMARIES OF LEWAA AL-HAMD 7 – CONCLUSION (.The Epic of Zahra (s.a

Author: Dr. Mohammad Masjed-Jamei

Summary: After examining the position of women in the society of during paganism (Jaahiliyyah), the author highlights the status and position of Hazrat Fatimah Zahra (a.s.) in two distinct time periods (the Meccan phase and the Medina phase) within the context of social transformations. The importance of the marriage of Hazrat Zahra (a.s.) to Amir al-Mu'minin (a.s.) is elucidated within its temporal and geographical framework, and the status of Hazrat Zahra (a.s.) is analysed in relation to the condition of women in the early Islamic society. Additionally, the author investigates the interaction of the Messenger of Allah (s.a.w.a.) with Hazrat Zahra (a.s.). The author also narrates the biography of Hazrat Zahra (a.s.) after the passing of the Messenger of God (s.a.w.a.), emphasizing the significance of her narrations .concerning the deviation of the Ummah from the clear path of the Prophet's guidance

Keywords: Fatimah Zahra (a.s.) - Biography and Virtues; Early Islamic History - Status of Women; Messenger of God - Interaction with Fatimah Zahra (a.s.); Amir .(.al-Mu'minin (a.s.)- Interaction with Fatimah Zahra (a.s

…Muhammad Ibn Hasan Ibn al-Waleed

Author: Sayed Mustafa Mutahhari

Summary: This article discusses Abu Ja'far Muhammad ibn al-Hasan ibn Ahmad ibn al-Walid al-Qummi (d. 343 AH), one of the Shiite hadith scholars in the fourth century. The author provides an in-depth analysis of Ibn al-Walid's biography, including his teachers, students, scholarly standing, writings, and his methodologies in dealing with narrators, the jurisprudence of hadith, and theological issues. The

A Report on the meetings pertaining to the criticism and analysis of the book "Crisis and Consolidation in the Formative Period of Shi'ite Islam": Sections Two and Three

Author: Imaan Noorbakhsh[1]

Summary: This talk is a criticism and analysis of the Sections Two and Three of the book "**Crisis and Consolidation in the Formative Period of Shi'ite Islam"** penned by Dr. Hossein Modarresi Tabatabai. The original focus of the discussion is as follows: A criticism of the interpretations of the author from traditional and historical texts, picking up parts of incidents and generalizing them as beliefs of most of the Shiite society, the book al-Kafi and the authenticity of its traditions, characteristics of the infallible Imams (a.s.), especially the divine texts on their Imamate, the indecisiveness .(.that occurred after the martyrdom of some of the Imams (a.s

Keywords: Characteristics of Imamate; Divine texts on Imamate; Authenticity of the book al-Kafi; History of Shiism; the book "**Crisis and Consolidation in the Formative Period of Shi'ite Islam"**; Sayed Hossein Modarresi Tabatabai

7

Analysis of Attribution of the book Rauzah al-Kafi to Kulaini (.(r.a

Authors: Sayed Reza Muaddab and Ibrahim Yaqoobian

Summary: Abu Ja'far Muhammad Ibn Yaqoob Kulaini (r.a.) (exp. 329 A.H.) is among the most eminent scholars and traditionalists of the Imamiyyah sect and is the author of their most important compendium of Shiite traditions 'al-Kafi'. It is said that Mulla Khaleel Qazweeni has doubted the attribution of the eighth volume of al-Kafi, viz. al-Rauzah min al-Kafi to Kulaini and considers it as the writing of Ibn Idress (al-Hilli) .(or the second martyr (Shaheed-e-Saani) (viz., Shaikh Zainuddin al-Aameli

In this research, the skepticism of Mulla Khaleel Qazweeni in attributing Rauzah al-Kafi to Kulaini has been analyzed, the documents brought by him in support of his idea has been criticized, and it has been mentioned that part of the Rauzah al-Kafi's chains of narrators is the same as its Usul and Furu as per the testimonies of Najashi

---

1. Masters in financial management

Liwa، al-Hamd

The Biannual Journal of Islamic Studes

Vol. 4 No. 7

October - February 2024 Safar - Rajab 1445

Publisher: Naba Cultural Organization

Tehran